



• شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
• تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. الرباط. المغرب



شوال/ذو القعدة 1402 • غشت/شتنبر 1982

المملكة المغربية

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

تنظم

معرض مجلة دعوة الحق

بمناسبة



من 14 إلى 21 شتنبر 1982

ببهو وزارة الشؤون الثقافية بالرباط

أثمان مخفضة لمجموعات الأعداد القديمة

بيانات إدارية :

دعوة الحق

شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
الرباط - المملكة المغربية

• تبعث المقالات إلى العنوان التالي :

مجلة « دعوة الحق »

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الرباط - المغرب

الهاتف :

- التحرير : 85 - 601
- الإدارة : 04 - 627
- والتوزيع : 03 - 627

• الاشتراك العادي عن سنة 55 درهما للداخل و 67 درهما للخارج. والشرفي 100 درهم فأكثر.

• السنة : 8 أعداد. لايقبل الاشتراك إلا عن سنة كاملة.

• تدفع قيمة الاشتراك في حساب :
مجلة « دعــوة الحــق » رقم الحساب البريدي 485.55 - الرباط.

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

أو تبعث رأسا في حوالة بالعنوان أعلاه.

• لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر.

هذا العدد

يحمل هذا العدد رقم 224 . وهو ثاني عدد من هذه المجلة يحمل رقما ترتيبيا . وكانت (دعوة الحق) تعتمد نظام السنة والارقام المحدودة التي تنتهي بانتهاء السنة ، ولما كان عمر المجلة 25 عاما وسنتها 23 سنة ، قررنا العدول عن هذا الاسلوب في الترقيم والعمل بالطريقة الحديثة التي تعمل بها كبريات المجلات والدوريات العربية والعالمية .

وهكذا ، سيجد القارىء على غلاف كل عدد جديد رقما متسلسلا يبدأ من اول عدد صدر من (دعوة الحق) في شهر يوليوز من عام 1957 .

وهذا التغيير في الشكل يتبعه تغيير في المضمون ، ذلك ان اسرة المجلة تبذل جهدا متواصلا لانتقاء المادة العلمية والثقافية والدينية التي تناسب مستوى المجلة وتحترم نوعية القارىء الذي يتعامل معها . وليس شك ان قراء (دعوة الحق) من صنف ممتاز مما يقتضي المحافظة على مستوى الدراسات والبحوث والمقالات والاعمال الادبية التي تنشرها .

وليس أصعب من عملية الانتقاء الفكري والاختيار الادبي ، فبالاضافة الى الانكباب على قراءة الانتاج الذي يرد على التحرير يتطلب الامر متابعة دقيقة ونشيطة لما تنشره الصحافة العربية والاسلامية للمقارنة والموازنة من جهة وللتاكد من عدم نشر الانتاج الوارد علينا في مطبوعات اخرى .

وكثيرا ما نمر بهذه الحالة ، واحيانا من بعض الاقلام التي يتوسم فيها الصدق في التعامل . ولسنا في حاجة الى القول ان تكرار النشر عن قصد عملية ليست مما يحمد للكاتب .

ثم ان هناك مسالة اخرى يجب الاشارة اليها هنا ، ذلك ان بعض الموضوعات التي تصلنا يتاخر نشرها لسبب واحد فقط ، يتصل بعملية الطبع ، فمثلا مواد هذا العدد سلمت الى المطبعة في شهر يونيو الماضي على أساس أن يصدر العدد في اوائل غشت . ومعنى ذلك ان الانتاج الوارد في آخر شهر يونيو - على سبيل المثال - لن ياخذ سبيله الى النشر الا فى آخر شهر شتنبر.

ومع ذلك ، فان المجلة حريصة الحرص كله على نشر المادة الجيدة الممتازة تقديرا منها لاصحابها واحتراما لعقل القارىء الممتاز .

.. وفي هذا العدد مواد تستحق القراءة .

رئيس التحرير

العدد 224

شوال/ذو القعدة 1402
غشت/شتنبر 1982

الثمن : 5 دراهم

الدورة الأولى للمجلس العلمي الأعلى:

جلالة الملك الحسن الثاني يلقي كلمتين توجيهيتين هامتين في الجلستين الافتتاحية والختامية

ملتمسات شاملة يرفعها علماء المغرب إلى صاحب الجلالة نصره الله

●● اجتمع المجلس العلمي الاعلى في دورته الاولى برئاسة جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وبحضور رؤساء المجالس العلمية باقاليم المملكة واعضاء المجالس .

وكان جلالة الملك قد استقبل في قصره العامر بالرباط أعضاء المجلس العلمي الاعلى بحضور ولي العهد وبعض اعضاء الحكومة وكبار الشخصيات المدنية والعسكرية .

وبهذه المناسبة القى جلالته في علماء المملكة كلمة توجيهية هامة هذا نصها :

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وءاله وصحبه .

حضرات السادة العلماء

ان الجلسة التي نعقدها اليوم معكم تعود بذاكرتنا الى زمن قريب وبعيد في آن واحد ، الى زمن قريب بان صدى اجتماعات والدنا المنعم مولانا محمد الخامس طيب الله ثراه بالمجالس العلمية سواء كانت في فاس او في مراكش لا يزال ذلك الصدى يرن في آذاننا بعيد ، لان تلك الجلسات التي كان يعقدها سنويا رحمة الله عليه كانت تعقد ابتداء من السنة الاولى للاربعينيات حينما اتكب المغرب ملكا وعلماء وشعبا ، حينما انكبوا على ثورتهم الفكرية ، والتعليمية، علما ويقينا منهم بان العلم سيبلغهم مراميهم وان المعرفة ستطوى امامهم المسافات التي كانت تحول دون المغرب ودون استقلاله .

…اضة الفكر والوجدان

وكان طبيعيا ان تفضي الى انتفاضة مماثلة في الفكر والوجدان ، تتحرر بها ارادة الامة، ويستقيم امرها ويضمن الاستمرار والتواصل جيلا بعد جيل .

ولعل أثر انتفاضة الملك والشعب سنة 1953 في الفكر المغربي ابرز ما تكون في المناحي الدستورية والتشريعية والقانونية من هذا الفكر . ذلك ان التشبث بالحرية واعتمادها أساسا لعمل اليوم والغد ومنهجا للممارسة السياسية ، هو احدى النتائج المترتبة عنها ، وابرز معطيات تلك المرحلة الحاسمة ، واحد المحاور الاساسية التي تدور حولها المعاني السامية والاهداف النبيلة التي استشهد من اجلها المغاربة وراء ملكهم . فقد رسخت انتفاضة 20 غشت في الواقع وفي الافكار قيم الصمود الذي لا نظير له والجسارة التي تقوي الثقة بالنفس والشجاعة الادبية التي تجعل المرء يقبل على الموت لتوهب له الحياة الحرة الكريمة .

● ولا يزال هذا الاثر العميق في الفكر والوجدان لم ياخذ حظه من التحليل العلمي المتزن . ولا يزال كتابنا ومفكرونا وادباؤنا والمشتغلون بالدراسات الاجتماعية لم يوفوا هذا الجانب من تاريخ الحركة الوطنية في المغرب حقه من العناية . والامل قوي في النهضة الحديثة التي تشهدها جامعاتنا والتي اخذت تولي لمثل هذه الموضوعات عناية واهتماما .

●● ان اثر انتفاضة الملك والشعب ،وجهاد العرش المغربي من اجل الحرية والاستقلال ، في تطوير الفكر وصياغة الوجدان،وتاصيل تقاليد جديدة يقوم اليوم شاهدا على الدور الكبير الذي اضطلع به العرش ، لا من اجل اقرار المشروعية السياسية والقانونية والدستورية فحسب ، ولكن من اجل احلال الفكر والمفكرين المكانة الذين هم جديرون بها وأهل لها .

● وهي مسيرة طويلة متشعبة وممتدة تمضي على هدى من الله ورضوان ، وعلى بصيرة من العلم والمعرفة ، وعلى وعي بالعصر وفهمه .



اولا : لان درء المفسدة يسبق جلب المصلحة اماطة الاذى عن الطريق ، وما هي اماطة الاذى عن الطريق في هذا الباب ؛ كلما من شانه رأيتم انه يمكن ان يكون خطرا على حسن العبادات او اتقانها او معرفتها و تطبيقها او كلمامن شانه ان يزحزح المسلم عن فضيلة وعن اخلاق دينه ، عليكم ان تحاولوا اماطته، وهذه الاماطة تكون اولا بالتبشير وبالوعظ لا بالتنفير والقهر ولان المهم حينما يلتقي بكم مسلم هو ان يرجع بعد لقائه بكم مقتنعا لا خائفا او منافقا او مستعملا للرياء .

اذن عليكم ان تميطوا الاذى عن الطريق ثم اذا انتم أمطتم الاذى عن الطريق ، ان تقفوا عند هذا الحد، حتى لا يخلف دون ان تشعر برهبانية ، خاصة والاسلام ضد الرهبانية ، لا رهبانية في الاسلام . فلا يريد ان يقال عندنا في المغرب كما يقال في بعض البلاد المعروفة رجال الدين ،، بمعنى اوضح يجب ان لا تكونوا مجتمعا في المجتمع او فرقة خاصة ، من فرق المجتمع ، عليكم ان تندمجوا فيه ، فأنتم منهم وهم منكم ، اياكم ثم اياكم ان تظهروا اما فرادى او جماعات او مجالس او هيكل كهذا ، انكم رجال الدين ، والا سنصبح في الرهبانية ، وسنصبح في البدع وسنصبح مخالفين للسنة ، تلك السنة ، واتباع السنة التي جعلت من المغرب هيكلا ودولة ونظاما وقلعة وحصنا حصينا منذ ان دخل الاسلام الى هذا البلد الى يومنا هذا والى ان يرث الله الارض ومن عليها .

اولا كما قلت لكم ابتدئوا باماطة الاذى عن الطريق والاماطة تكون بالتبشير لا بالتنفير ، بالاقناع لا بالخوف

ثانيا : عليكم ان تندمجوا حتى اذا احسستم منهم خيفة فلا تخافوا ، فعليكم انتم الذين اتاكم الله بسطة في العلم والمعرفة ، عليكم انتم ان تمدوا اليد ، لا ان تنظروا ان ياتي اناس اليكم . وهذا لا يمنعكم بان تخالطوهم في مذاكراتهم وفي مناقشات الجميع في الاندية جميع المواضيع التي يناقشها اي رجل مع اصدقائه او مع اصحابه ، حتى لا تخلقوا حقيقة طبقة خاصة يمكن في هذه السنين المظلمة الحالكة التي ترى المؤامرة تخيم بكيفية متقنة وبكيفية مخططة على الاسلام وروح الاسلام وتطابق الاسلام مع الحياة اليومية .

ان الله سبحانه وتعالى حبا هذا الدين الاسلامي برسول صلى الله عليه وسلم أراد الله له ان يعرف كل شيء فليس هو الرجل الذي عاش في قصور الفراعنة ، ولم يعرف اليتم والفقر ، وليس هو الرجل الذي شرع في الزواج والطلاق وهو الذي لم يتزوج قط . بل اراد الله لنبينا صلى الله عليه وسلم وانتم اعلم الناس بهذا ، ولكن من خلالكم اخاطب زبناءكم والمستهلكين لما ستروجونه ، العامة الذين ينظرون الي ويسمعونني .

اما نبينا صلى الله عليه وسلم فقد أراد الله له ان يكبر في اليتم ، وان ترضعه مرضعة من مجتمع فقير، وأراد الله له ان يعرفه بعد ذلك بما يعرفه الناس اذ ذاك عن طريق النقل لان النبي صلى الله عليه وسلم كان اميا فسخر له الله الوسيلة حتى تمكن من السفر ومن الخروج الى الخارج ومن معرفة البيع والشراء ، وقواعد الاقتصاد وقواعد المعاملات بين الناس لهذا ، النبي صلى الله عليه وسلم ، أكد دائما ، الدين المعاملات ، وتمكن من معرفة المال والتجارة بالمال ، وفرق بين الربا ، والربح الحلال في التجارة بالمال ، ثم بعد ذلك اراد الله له ان يتزوج وهنا عندي تفسير خاص في زواج النبي صلى الله عليه وسلم بمولاتنا عائشة :

عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ساله صحابي وقال له يا رسول الله اني قد تزوجت ، قال له طيب ، قال تزوجتها ثيبة ، فقال له النبي صى الله عليه وسلم: لولا تزوجتها بكرا تداعبك وتداعبها وتلاعبها وتلاعبك فلماذا اذن اراد الله سبحانه وتعالى ان يزوجه بجدتي مولاتنا خديجة رضي الله عنها – وهي ثيب ذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان يحب ان يكون عاملا فكريا وحسيا وجسمانيا وهو الذ ي لم يعرف الذنب ولا النساء حتى تزوج بمولاتنا خديجة ، كان في الامكان لو تزوج بكرا ان يقع لها ما يقع بسيكولوجيا وان يصطدم هو ببكارته مع بكارة زوجته ويبقى في ذلك مكونا له عقدة نفسانية التي لا تتلاءم مع الكمال الفكري والجسماني الذي يجب ان يتصف به خاتم النبيئين ، هذا تفسيري الخاص اذا كنت مخطئا اطلب الله ان يسمح لي ، ولكن هذا تفسيري المطابق والمدافع عن الذين قالوا هذه عشر سنوات في مؤتمر من الطلبة هنا ان النبي صلى الله عليه وسلم تزوج مولاتنا خديجة لانه كان رجل اعمال وكتبوها في لائحات وفي الجامعة وانه لم يتزوجها الا رغبة في مالها وطمعا فيه لا كانت ارادة الله ارادت ان لا يقع للنبي صلى الله عليه وسلم اى صدمة فكرية او جنسية لانه

ولا زلت اذكر الجلسة الاولى التي فتحها رحمه الله بفاس مع المجلس الاعلى لمدينة فاس بمحضر وزارته اذ ذاك وكان النقاش محتدا حول برامج القرويين ونظام القرويين وكان اذ ذاك الزحف التقدمي والسلفي الفكري واضحا لا غبار عليه وكانت هناك من العوائق الرجعية والاستعمارية تحاول يوما بعد يوم ان ترجع بتعليم القرويين الى عهده السابق الا وهو عهد الخمول وعهد الفصل بين تعليم الدين وبين تعليم الوطنية نسيانا منهم او تناسيا ان حب الاوطان من الايمان .

ولم تمر على تلك الجلسات الاولى الا سنة او سنتان الا وفي ذلك فليتنافس المتنافسون الا ونحن باهل مراكش وعلمائها وطلابها يقومون بشبه مسيرة الى الرباط محتجين على ان لا يكون لهم نظام كنظام القرويين محتجين على ان لا تكون لعلماء مراكش نفس العالمية التي حظي بها اهل فاس ولا زلت اذكر ان تلك المنافسة وذلك التسابق ادخل على والدي رحمة الله عليه سرورا عميقا وطمانينة مستمرة واستقرت في نفسه بانه آمن اذ ذاك البذرة التي بذرها او النار الخامدة التي اذكاها وان كلتيهما سوف تعطي النتائج المتوخاة وسوف تصل الى الاهداف المرغوبة .

وها نحن اليوم نجتمع قريبا او بعيدا بعد تلك الفترة بعلماء مملكتنا الشريفة ، لنقول لهم ان المعركة ، التي خضناها بالماضي للتحرير الاستعماري اكتسى وجوها غير التي كانت له قبل ولكن الاستعمار لا زال موجودا ولا زال حيا استعمار فكري استعمار الرجال استعمار سوء فهم الدين ، استعمار سوء اجتهاد المجتهدين والمفكرين .

لهذا طلبت منكم في هذا التجمع الاول ان تدرسوا قبل كل شيء الهياكل الادارية والتنظيمية ذلك ان الاهداف التي نريد ان تصلوا اليها والغزوات الفكرية والعلمية ، التي نريد ان تقوموا بها هي قبل كل شيء منوطة بالهياكل او بالدواليب الادارية التي ستضعونها رهن اشارتكم ورهن اشارة المسلمين كافة .

اذن عليكم قبل كل شيء ان تنظروا في حقيقة وفي كنه وفي سر المرامي القريب منها والبعيد مرامي المهمة المقدسة التي هي منوطة بكم .

اننا نعتقد شخصيا انه اولا يجب ان يعود المغرب في هذا الباب الى سلف عهده ذلك ان العلم وافشاء العلم لاينقطع ولا يقف في اي وقت من الاوقات ولا يوضع اي حد من الحدود للسن .

فالعالم يجب عليه ما دام قادرا على ان يفشي العلم بين الناس عليه ان يدرس وان يبين للناس دينهم والا فاذا هو كتم ما علمه الله الجمه الله بلجام من النار يوم القيامة .

فلذا يجب ان تبقى مساجدنا مفتوحة فيما بين العشاءين حتى يتمكن كل مسلم ومسلمة من ان يسال عن شؤون دينه او يوسع دائرة معرفته .

يجب ان تكون تلك الدروس منظمة تنظيما عقلانيا قبل كل شيء .

علينا ان نعلم ان السلف الصالح من ايام المدينة المنورة الى ايام الامويين ثم الى ايام العباسيين انهم كانوا لا يحاربون الا الجهل ولا يحاربون الا البدع في منطقة جغرافية محدودة ، وكان الناس والجل من الناس ان لم اقل الاغلبية لا تصغى الى تلك البدع ولا تعيرها اي اهتمام لان دعاتها اولا كانوا قلة وثانيا كانوا معروفين على راس الاصابع .

اما الآن فنحن نحارب التحريف والانحراف والبدع في كل منعطف من منعطفات ازقتنا نحاربها في كل المنشورات التي تدخل الى المغرب باي لغة دخلت .

فلذا يجب علينا ان نعالج هذا الموضوع لا باخذ العصا والصياح في الازقة او في المنتديات باللهم هذا منكر والجهر باقامة جماعات للهجرة والتكفير او التكفير والهجرة او ما شابه ذلك او الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بكيفية عشوائية .

علينا ان نقرب الشقتين شقة الدين من شقة المستهلكين لهذا الدين ، ولا يمكننا ان نقرب الشقة بينهما الا اذا كونتم انتم العلماء الجسر السليم الذي يربط بينهما ، ولا يمكنكم ان تكونوا ذلك الجسر السليم الا اولا ، اذا حصرتم مهمتكم في الاول عند نقطتين مهمتين .

تراس جلالة الملك الحسن الثاني حفلا دينيا كبيرا بمناسبة ليلة القدر المباركة أدى جلالته خلاله صلاة التراويح بحضور ولي العهد الامير سيدي محمد وصنوه الامير مولاي رشيد والامير مولاي عبد الله .

واثر ذلك تراس جلالة الملك الجلسة الختامية لاشغال الدورة الاولى للمجلس العلمي الاعلى التي كانت قد بدات برئاسة جلالته .

وفي بداية هذه الجلسة رفع السيد الهاشمي الفيلالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الى جلالة الملك التقرير المتضمن لمختلف الملتمسات التي اعدتها اللجان الاربع المنبثقة عن هذه الدورة .

وبعد ذلك القى العاهل الكريم كلمة سامية في اعضاء المجلس العلمي الاعلى .

وقد حضر الجلسة الختامية بالاضافة الى أصحاب السمو الملكي الامراء اعضاء حكومة صاحب الجلالة ومستشارو جلالة الملك واعضاء السلك الديبلوماسي المعتمد بالرباط والسيد عبد الهادي بوطالب المدير العام للمنظمة الاسلامية للتربية والثقافة والعلوم وكبار ضباط القوات المسلحة الملكية والعلماء وعدد كبير من سامي الشخصيات المدنية والعسكرية .

وفي ما يلي نص الكلمة التي القاها جلالة الملك :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه .

وزيرنا الارضى في الشؤون الاسلامية والاوقاف

حضرات السادة ، علماءنا المحترمين .

انا تتبعنا منذ ان افتتحتم اعمالكم سيرها عن كثب . واكثر من ذلك استخبرنا لا على النتائج التي ستصلون اليها ، بل كان همنا الوحيد هو معرفة الجو السائد اثناء مناقشاتكم واثناء تناولكم المشاكل ما جد منها او ما كان منها قديما .

ولقد سرنا عظيم السرور واعمقه حينما قيل لنا ان الاعمال كانت في حماسها وتريثها في اقدامها وتحكمها على العواطف تجيب تماما الى ما كنا ننتظره من علمائنا من معرفة للواقع ومن العمل لنيل الحسن خوفا من عدم اصابته وراء البحث عن الاحسن ، وكما يقال .. ان الشيطان من عدم ليكتفي من ابن آدم من حمله الى عمل حسن الى عمل احسن حتى لا يصير لا يعمل لا الاحسن ولا الحسن .

اننا وكونوا على يقين سننكب بجد وعمق على دراسة ملتمساتكم ما هو اداري منها وما هو منهجي وما هو تربوي . واننا سوف لا نالوا جهدا مع حكومتنا وادارتنا حتى نصل الى تلبيتها كلها او ما نراه المجدي منها كما وكيفا . الا ان مطامحكم وانتم على صواب لا حد لها . اذ كما يقول جمال الدين الافغاني .. لا حد للكمال ولا نهاية للفضيلة ولكن امكانات المغرب محدودة . وكما يقول علماؤنا .. ما لا يدرك كله لا

كان بكر حتى ان تزوج مولاتنا خديجـــة رضـــي الله عنهـــا .

هذه زاوية تفتح الباب للبحث والاجتهاد حتى في السيرة او للتعليم طيب ثم بعد ذلك اراد الله سبحانه وتعالى ان يجعله يصبح تلك الصيحة الوطنية تلـــك الصيحة العجيبة الغريبة من ناحيـــة لا البلاغيـــة ولا النحوية او مخرجيهم حينما قال له ورقة بن نوفـــل سيخرجك قومك انها صيحة وطني مواطن جاءت من رجل يحب بلده ويحب وطنه ، وبعد ذلك تزوج مولاتنا عائشة فاحبها محبة فوق كل شيء حتى كان يقول فيها صلى الله عليه وسلم اهداها لي جبريل في فارورة من حليب ، وجاءت قضية الافك فعرف النبي صلى الله عليه وسلم لواعج ومرارة الحسد والغيـــرة والشك فبراها الله سبحانه وتعالى ، ولكن بذلك اعطى درسا لجميع المسلمين وهكذا ، وهكذا يطول بنا الحديث المهم ان بمعنى لاصق بكيفية مجملة ومفصلة بواقعنا اليومي ، فما من شيء شيء وقع لنا في نفسنا او في بيتنا او في معاملتنا الا ونرى ان النبي صلى الله عليه وسلم وقع له ذلك ، فبعد الوقوع جاءت امـــا آيـــة لتفسير المشكل وتاتي بحله او ان لم اتت آيـــة جاء حديث او ان لم يات حديث جاء عمومي ومواظب عليه وهو ما اخذه الائمة ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم واظهرته الجماعات وواظب عليه فاذن الله سبحانـــه وتعالى اعطانا هذا الدين الذي هو لاصق بحياتنا كلهـــا لماذا نريد ان نخلق مجتمعا في مجتمعنا ؟ ولماذا نريد اذن ان نخلق في الاسرة الكبرى للمغاربة المسلميـــن اسرة خاصة وخلية خاصة تسمى برجال الدين ، وهذا ما نحسد عليه وهذه هي الاسباب الي جعلت الخارج الغير المسلم يتآمر علينا علما منه ان فضيلتنا ستبقى لاصقة بجلدنا وروحنا وعقولنا وافئدتنا لاننا نعيش في اطار القرءان والسنة لا في اطار العبادة فقط ، بـــل في اطار المعاملات ولو تغيرت شكلها وحجمها وانواعها ولكن في اطار المعاملات الغير المغشوشة ، المعاملات التي تجعل ان كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضـــــه .

اذن حضرات العلماء المنتظر منكم ان تقربـــوا الشق بينكم وبين المغاربة الآخرين ، وهنا اريـــد ان ادعوكم الى استمرار مسيرتنا القرءانيـــة وذلـــك بالتنظيم بين العشاء والمغرب في المساجد وبالسبورة وبواسطة المدررين لان في هذا العمـــل يجـــب ان يتحمل كل واحد مسؤوليته حتى ذلك الذي لا يحفظ القرءان لازم ان يشارك معه ، فعليكم اذن ان تشركوا المدررين في الجوامع وفي المساجد بين المغـــرب والعشاء وبالاخص في شهور البرد التي يكون فيهـــا الفرق بين المغرب والعشاء اقل ، وثانيا آذان العشاء يكون في بعض الاحيان في السابعة دروس في محاربة الامية الشيء الذي كنا نعلمه قبل ايام الاستعمار حتى يمكن لكل احد ان يقرا يحيا الاستقلال او عاش الملك ويمكن ان يراها في اللافتاتويفهمها اليوم ، يجب ان نقول عاش ديننا ولنعش في ديننا علما منا ان ديننا هو الحافظ لنقاء سرائرنا ، وذلك النقاء هو الذي يجعلنا مؤتمنين على احترام مقدساتنا واحترام مقدساتنا هو الذي يجعلنا نسير دائما في هذا البلد وبهذا البلد على سبيل ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك .

وانني لمتفائل جدا بما سنقوم بـــه جميعـــا ، واعلموا وفقكم الله انني زيادة على محبتي لرجال العلم وتقديري لهم واعتباري لقيمهم ولقيمتهم الشخصية ، وما يحملونه في قلوبهم من علم اقول في قلوبهـــم ان العلم لدينا العلم الذي نتذاكر في موضوعه هو علـــم وجداني قبل كل شيء ، انني تربيت في بيت رعـــاه العلماء منذ القدم وتربيت تحت اب كان يحب ويجل العلمـــاء .

ثانيا : من واجباتي الدستورية التي انا مقتنـــع بها ومؤمن بها مصر على القيام بها الى آخـــر نفس الا وهو حماية الدين وبما ان البعض يكـــون في الكـــرة فحماية الدين والرجال الذين يشرفون على تعليمـــه ونشره وافشائه بين المسلمين .

فاذا كان طلب العلم فريضة على كـــل مسلـــم المطلوب منه ان يعطي العلم فريضة كذلك على كـــل واحد او كل احد من اصحاب ذلك العلم .

فكما قلت لكم انا متفائل ولي اليقيـــن ان الله سبحانه وتعالى سيكتب لنا جميعا بحوارنا المستمر وبحوارنا لوجه الله سيكتب لنا ان شاء الله فتوحات وانا سنرى ثمرات ما يشغل بالنا جميعا في اقـــرب مما نظن يانعة ان شاء الله وان سنابلنا ستكون تلك السنابل المحمدية القرآنية التي توتي اكلها اضعافـــا اضعافـــا .

والله سبحانه وتعالى اسأل ان يعطينا على قدر ما يعلمه في قلوبنا من ايمان وتعلق بدينه وتعلق بسنـــة رسوله واحترام لفضيلة الاسلام واستماتة شبه وثنية في خدمة هذا الوطن وهؤلاء المواطنيـــن جميعـــا واسألكم الله التوفيق والسلام عليكم ورحمة الله .

فبلسانه فان لم يقدر فبقلبه . بمعنى بسيرته اليومية . وبالمثل الذي يضربه لمواطنيه وجيرانه يوميا .

واظن ان فيما قلنا كفاية واريد ان اقول لكم بانني نمت اول أمس نوما حقيقة طيبا ومطمئنا لان هذا الثقل كان على عاتقي وحدي منذ سنين وعشرات السنين فحملته من هم كفاة لحمله . فلم انزع الامانة من عنقي ولكن اذا كنت لا زلت احملها كليا وجزئيا فقد حملتها اهلها كذلك ولم ابق وحدي في الميدان بل اصبحت ولله الحمد محفوفا بعد عناية الله وحفظه باطر عالمة واعية قادرة في هذا المضمار ان تسير هي بدورها بالمغرب في مسيرة العرفان ومسيرة الاشعاع ومسيرة الاستمساك بالاسلام وبالحنيفية وبالسنة المحمدية . والسلام عليكم ورحمة الله .

كلمة السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية بين يدي جلالة الملك

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على خير الانبياء والمرسلين

مولاي صاحب الجلالة امير المؤمنين وحامي الوطن والدين ،

ان اختياركم يا مولاي لان ينعقد المجلس الاعلى العلمي بحضور اعضاء المجالس العلمية لمملكتكم المغربية في هذه الايام المباركة وفي رحاب قصركم العامر لبرهان ودليل على ما لسدتكم العالية من عناية وتقدير للعلم والعلماء ولورثة الانبياء .

وانه في اختياركم لهذه الايام المباركة لدليل على ما ترجونه للعمل الاسلامي من توفيق في هذه البلاد . وان خطابكم يا مولاي امام حضرات العلماء الاعلام ووزراء حكومتكم الموقرة ذلك الخطاب الذي حدد منهجية الدعوة الاسلامية والذي حمل للعلماء امانة الرسالة النبوية لان يقوموا بمهمة الوعظ والارشاد والتبليغ . وان يكونوا في المواجهة والنضال لمحاربة الانحراف ولمحاربة كل التيارات الهدامة ولنصرة العقيدة ولتصحيح المفاهيم وللدعوة للحسنى وللاخذ بيد المخطئين والضالين الى ان يعودوا الى الطريق المستقيم .

انكم يا مولاي بهذه التوجيهات السامية التي أمرتم بها للعلماء وللمجالس العلمية مهمة العمل التي كانت ورقة العمل في اجتماعات اللجان التي بمجرد ان امرت جلالتكم بانعقادها انكب اعضاء المجلس الاعلى ومساعدوهم من العلماء في الليلة نفسها امتثالا لامركم الكريم وظلوا في هذين اليومين السبت والاحد موزعين على اربع لجان : لجنة المرسوم التطبيقي لظهيركم الكريم والميزانية ولجنة الكتاتيب والمدارس القرآنية وتكوين الاطر للعمل الاسلامي ولجنة الوعظ والارشاد والاهتمام بالقيمين الدينيين ولجنة شؤون الحج والاهتمام بالحجاج رعيتكم الميامين .

لقد انكبوا يا مولاي باهتمام وبعزم على دراسة كل هذه المواضيع على ضوء توجيهاتكم وعلى درب ما خططتموه لهم من عمل واستمرار واداء للامانة ، امانة العلم وامانة التبليغ . ولقد انجزت هذه الجلسات ملتمسات يشرف خديمكم وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية بأن يرفعها الى سدتكم المعظمة باسم المجلس الاعلى والسادة العلماء .

وهذه الملتمسات يا مولاي ان هي الا تعبير عن عزمهم وعن ارادتهم وعن انهم يلتمسون من جلالتكم انكم ستكونون لهم السند والعون . وان لوامركم الكريمة لحكومتكم الموقرة ستكون كذلك في مساندتكم وعونكم لاداء الرسالة رسالة الدعوة ورسالة التبليغ ورسالة المسجد التي انطتها سدتكم العالية لهم رسالة المسجد التي أبت جلالتكم ان يكون معهد العلم ومدرسة التربية والتهذيب ومنتدى اللقاء الاسلامي ورحاب الاخوة والمحبة بين قلوب المؤمنين .

هذا هو ما يرجونه يا مولاي من تحقيق هذه الملتمسات التي هي في الحقيقة ليست الا تجاوبا واظهارا لما يكنونه ولما يعزمون عليه من تنفيذ وتطبيق لارادتكم السامية .

وخديمكم يا مولاي وحضرات العلماء الاعلام ليعاهدونكم الله على انهم سيظلون اوفياء للعرش الكريم رمز الوحدة وسند العاملين المخلصين لحماية الدين وسيظلون الاوفياء والعاملين لنصرة العقيدة والنضال ضد كل انحراف وكل التيارات الهدامة وكل

يترك بعضه . فكلما توصلنا الى وسيلة من وسائل العمل وكلما اوجدنا بفضل الله وعملنا جميعا في المغرب امكانات جديدة مادية الا وكان لنشر العلم ولبث العلم ولافشاء المعرفة الحقيقية بما هو الاسلام الحق الا وسيصبح الهدف الاول علما منا ان الاخلاق وحسن الخلق يكونان العمود الفقري لكل شعب وفي كل زمان ومكان .

ولم نجمعكم في هذه الايام صدفة ، بل اردنا ان يكون عملنا هذا جميعا في بحبوحة وهيمنة الروحانية الكبرى والمعجزة المثلى للاسلام الا وهو نزول القرءان ذلك القرءان الذي اعجز به النبي صلى الله عليه وسلم اعداءه وخصومه واردنا ان نجتمع جميعا ونكب على عمل كعملنا في العشر الاواخر من رمضان اتباعا لقول النبي صلى الله عليه وسلم حينما سئل عن ليلة القدر قال : « التمسوها في العشر الاواخر من رمضان » .

الله سبحانه وتعالى اسال ان يهدينا جميعا الى ان نسير في خطى متوازنة . سيرنا سوف يكون اسرع سير ، اهدافنا سوف تكون اشرف اهداف . نيتنا سوف تكون اطيب النيات . وبناؤنا سيكون بحول الله امنع البنيان . فلي اليقين انه حينما تلتقي ارادة الله مع رغبة عباده كل شيء يسهل وكل هدف يبلغ .

فالله سبحانه وتعالى اراد لهذه الامة ان تحيى تحت ظل الاسلام . فقد عاشت في ظل الاسلام وستبقى حية طاهرة نقية ماجدة ومجيدة في ظل الاسلام .

ورغبة العباد المغاربة رغبتهم العميقة هو ان يكرعوا من مناهل العلم يوما بعد يوم أكثر واكثر . فالتقت اذن ارادة الله ورغبة العباد . ولي اليقين ان رغبة كهاته ليس بينها وبين الله حجاب . فالله سبحانه وتعالى اسال ان نكون في مستوى ما خططناه وفي مستوى ما عزمنا عليه .

وموعدي معكم بعد مرور بضعة أشهر للاجتماع بكم مرة ثانية بالمجلس الاعلى للعلماء . وفي انتظار ذلك الوقت ارجو منكم وانتظر منكم ان تبتدئوا اعمالكم بمجرد ما يقول لكم وزيرنا في الاوقاف بأننا متفقون على الاقل على الخطة التربوية والتثقيفية وتعميم التعليم في المساجد وغيرها ان تنطلقوا بمجرد ما يخبركم وزيرنا في الاوقاف والشؤون الاسلامية باننا قبلنا مناهجكم وطريقتكم . اما المسائل الاخرى الادارية والمادية فكونوا على يقين اننا سنسهر شخصيا على تنفيذ ما هو ممكن للوصول الى ما هو مرغوب . الا انكم عليكم ان تعلموا ، شيئا مدققا .. الكلام الذي سار بينكم والحوار الذي سار بينكم وبيني فالحوار يكون بالمنطوق ويكون كذلك بالمفهوم .. اشارت بطرف العين ... والمقام لا يسمح بالزيادة اكثر بحيث لا في اليوم الاول ولا اليوم نشعر جميعا والشيء الذي هو اخطر يشعر النظارة كلهم الملايين من المغاربة ان الحوار ولله الحمد بلغ منتهاه وبلغ اهدافه . فعلينا اذن في التطبيق وتحت عوامل اما ظرفية او اندفاعية او عاطفية اياكم ثم اياكم الانحراف ، فدروس العشائين هي ليست دروسا للترهيب بل هي دروس للترغيب . ليس دروسا للسياسة حينما اقول السياسة اقول السياسة اليومية لا اقول سياسة التخطيط وسياسة النماء وسياسة التحرير وسياسة الحرية وحرية الفكر البناء . لا . اقول السياسة الظرفية اياكم الدخول فيما لا يعنيكم فيما اذا ارتفع سعر الوقود لو سعر الدخان . لا اريد ان اضع هذه النقط على الحروف املا واملي ومؤملا ان تكون جميع الصدور التي هنا حاضرة والتي ليست حاضرة من العلماء الآخرين انها نقية طاهرة وان طويتها هي طوية طاهرة وان طويتها طوية العلم لا طوية اتخاذ المساجد كمنبر .

وفيما اذا قدر الله ووقع ما وقع فواجبنا لحماية الدين يقضي علينا بأن نحمي الدين من اي شيء ومن كل شيء حتى من بعض العلماء ان اقتضى الحال . ولكن هذا اقوله لا للحاضر اقوله وتقولونه معي مما لا شك فيه لمن سيتبعنا ولمن سيخلفنا من علماء ومن طلبة ومن تلاميذ . ولي اليقين ان جميع الاطراف قد فهمت معنى طريقها وواجبها وهدفها . واياناً ثم ايانا ان ننساق في طريق الافراط لان الافراط اخ التفريط واياناً ثم ايانا ان ننساق تحت تيارات العاطفة او التيارات الظرفية ولكن التنبيه من واجبات الاب ومن واجبات الملك ومن واجبات أمير المؤمنين .

ولي اليقين ان كل مجلس للعلماء من المجالس الموجودة في مملكتنا الشريفة سوف يكون بمثابة المراقب لسير امور اعضائه لا في حياتهم الخاصة ولا في حياة تعاملهم ومعاملاتهم مع الجار ومع الخضار ومع المكتري حتى يكونوا من الذين ينهون عن المنكر بقلوبهم بمعنى بسيرتهم فان لم يقدر فبيده فان لم يقدر

قبسات من جهاد

جلالة المغفور له محمد الخامس

طيب الله ثراه

للأستاذ الشيخ لاراباس ماء العينين

نص المحاضرة التي القاها الاستاذ الشيخ مـاء العينين لاربـاس بن الشيـخ محمد الاغضف رئيس المجلس العلمي للعيـون والاقاليـم الصحراوية بمناسبة موسم طانطـان موسم الولي الصالح الشيخ مـاء العينين الشيخ محمد الاغضـف .

بسم الله الرحمن الرحيم
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

اخواني المومنين ، اخواتي المومنات .

في هاته المناسبة السعيدة والتي تجمع الكثير من ابناء الشعب المغربي من جميع جهـات المغرب من الكويرة الى طنجة ، والتي يتوافد بحلولهـا على مدينة طانطان مدينة العبور المجاهـدة الكثير مـن سواح العالم للتعرف على معالم هاته المدينة والتمتع بمناظرها الطبيعية الجميلة الخلابة ، ولكون هـذا التجمع الديني والاقتصادي يشمـل انواعا مـن الطبقات الشعبيـة المختلفـة التكويـن والاذواق والمتفاوتة في السن والمعيشة ولما يتحلى به جميع هذه الطبقات المغربية من حب للعرش العلوي المجيد واخلاص له والتشوق بمعرفة المراحل النضاليـة التي خاضها هذا العرش من اجل حريتنا واستقلالنا، ولما لهذا الموضوع من اهمية بالغة لا تخفى عليكم ، ايها السادة ايتها السيدات ، فقد ارتأيت ان يكـون موضوع حديثي هو في جانب من جوانب جهاد محمد الخـامس .

وبما ان الموضوع خصب وقد كتب عنه الكثير، والمجال رحب والمكان فسيح ، فانني قصرت القلم على ذكر قبس من نضال جلالة المغفور له وما لاقاه من مآسي ومحن هو واسرته المجاهدة بكل ما يمكن من الاختصـار .

ما يمس العقيدة أو ينال من وحدة هذا الوطن الكريم في ظل عرشكم العظيم .

والله يا مولاي نسال ان يحفظكم ويرعاكم برعايته التي لا تنام ويقر عينكم بولي عهدكم سمـو الامير سيدي محمد وصنوه المولى الرشيد والاسرة الملكية الكريمة . وان الله العلي القدير الذي قاد بكم مسيرة النصر في هذا الوطن المغربي الجناح العربي للعالم الاسلامي والعروبة قاد بكم مسيرة النصر فحققتم وحدة هذه البلاد واسترجعتم الاراضي المغتصبة وجمعتم كلمة المسلمين انه القادر ان يقود بكم مسيرة النصر في عالم الاسلام وارض العروبة فتكونون العاملين لجمع كلمة المسلمين ولوحدة الصف العربي ولتحرير كل ما اغتصب من ارض العروبة والاسلام خاصة ثالث الحرمين القدس الشريف .

لقد عودنا الله النصر بكم واننا لنرجو ان ينصر بكم الاسلام والمسلمين ويوحد على يدكم قاده العالم الاسلامي ورؤسائه ويكلاكم بعينه التي لا تنام وعلى المقام الكريم العالي أزكى السلام .



1936 اشتعلت روح النضال في جميع الطبقات الحية (وكانت خلاصة هذه الحركة هي التي تضمنتها حينئذ لائحة المطالب المستعجلة والتي عمل محمد بن يوسف على تشجيع المطالبة بها ولكن الاقامة العامة قاومتها اشد المقاومة ، فان السلطان حينئذ طالب وراءه شباب الوطنية المغربية بتحقيق ما ملخصه :

1 ـ الحريات الديموقراطية : الصحافة الاجتماع الجمعيات حرية التجول في انحاء البلاد ـ النقابات .

2 ـ التعليم : توحيد البرامج في جميع نواحي المملكة ـ تكثير عدد المدارس .

3 ـ العدل : فصل السلطة الادارية عن العدلية والتنفيذية .

4 ـ الفلاحة : تاسيس الملك العائلي .

5 ـ العملة والصناع : (تجديد الصناعة المغربية وحمايتها من المزاحمة الاجنبية) .

فازداد غضب الغاصب وبدا في شن اعتقالات كان ضحيتها الكثير من ابناء هذا الوطن ، ولكن ذلك لم يزد المقاوم الاول محمد الخامس الا تحديا للمستعمر وبيادقه فلم يفت من عضده ما يواجهه منهم من تعنت وصلف وكبرياء واهانة لجميع طبقات الشعب المشتعلة حماسا ووطنية . وبقي الصراع على اشده واخذ شكلا جديدا في سنة 1943 عندما اجتمع جلالة الملك المغفور له باقطاب الحلفاء في المغرب وفي مقدمتهم الرئيس روزفلت ونستون تشرشل وان هذا اللقاء مناسبة لجلالة الملك ان ان يبرز فيه ما يرمي اليه هو وشعبه من حرية واستقلال وفوجىء العالم عندما نشرت الجرائد ووكالات الانباء ورددت الاذاعات قائلة :

(تحدث امس في موتمرانفا بالدار البيضاء عظمة سلطان مراكش الى الرئيس رزفلت ومستر تشرشل حديثا طويلا وعلم مراسلنا من مصدر خاص ان عظمة السلطان قد تكلم عن حق بلاده في حريتها واستقلالها بمجرد ما تضع الحرب اوزارها .

هكذا نرى هذا المثل الاعلى والمحرر لبلده وامته لم يترك هاته الفرصة تمر حتى يسمع صوته العادل والمشروع لاعظم قوة في العالم وابرز شخصياته على المستوى الدولي وما ان انتشر هذا النبا الذي هو اكبر صدمة واجهها الاستعمار واعنف تحد لوجوده حتى هب الشباب المناضل وغيره من ابناء هذا الشعب الوطنيين ينادي ويهتف بقائد ثورة الحرية والاستقلال ويجوب الشوارع بمظاهراته حاملا اللافتات مكتوبا عليها العبارات التالية : (عاش سيدي محمد بن يوسف ، عاش الملك يحيى زعيم الحرية والاستقلال) . ولقد عامل الاستعمار ابناء هذا الشعب الذي يدافع عن حقه في نطاق المشروعية من وراء الملك الشرعي ـ عامل الاستعمار هاته الامة ـ بانواع التنكيل والتعذيب فزج في السجن الكثير وقتل الابرياء وصادر الاموال ، ولكن :

(اذا الشعب يوما اراد الحياة
فلا بد ان يستجيب القدر)

وفي تاريخ 1945 م توجه المغفور له الى فرنسا فقدم مطالب لصالح شعبه كما هي عادته ، ومن ضمنها عدم موافقته نهائيا على مجموعة من الظهائر اصدرتها الاقامة لصالحها وتخريب اقتصاد المغرب . وكان رضي الله عنه رحمة على الخلق برمته ، ينتصر للحق ويدافع عنه ، وقد كرس جهودا مضنية لتسريح مجموعة من المناضلين اعتقلتهم سلطات الاحتلال نتيجة اعمالهم الوطنية ومواقفهم الجهادية ابان الحوادث المشار اليها آنفا ، وفعلا فقد كلل الله سعيه بالنجاح فحرر المعتقلين السياسيين من السجن سنة 1946 ، وعند اطلاق سراحهم ضيق الاستعمار على العاهل وزاد في الكيد عليه وحرك ما له من طاقات هدامة لمحاربة المناضلين السائرين في ركاب المقاوم الاول والسلطات الاستعمارية تواجه حركة التحرر بانواع الحروب المختلفة ، وبدا يفكر رضي الله عنه في تعميم الحركة وراى ان يعلن عن ذلك في مدينة طنجة على مراى ومسمع من مجموعة من دول العالم تتواجد في بلد من الوطن العزيز يطل على اوربا لينتشر ما يرمي اليه من عمل لتحرير وطنه في جميع اصقاع الدنيا ولكن كيف الوصول الى ذلك :

ـ يقول الاستاذ محمد الرشيد مليين في كتابه : « نضال الملك صاحب الجلالة سيدي محمد ابن يوسف : المعركة من أجل الاستقلال » (المطبعة الملكية الصفحة 41) :

لان الكتابة عن حياة هذا المقاوم بصفة شمولية تحتاج الى مجلدات ضخام . ولنعطر هذا الملتقى الديني فنشرع في الموضوع .

اقـــول :

بزغت شمس الرحمة ونور العلم عندما أتاح الله من فضله لهذا البلد المسلم أن حباه يوم 23 رجب عام 1327 هـ الموافق ليـوم 10 غشت 1909 بأن ازداد في هذا اليوم المبارك منقذ العروبة والاسلام ومحرر المغرب وكثير من شعوب افريقيا وغيرها من ربقة الاستعمار جلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه ونادى البشير بالجملة التالية : (في هذا اليوم المبارك السعيد اكرم الله الشريف الاصيل الحسيب النسيب الامير بن الملوك وسليل السلاطين العلويين مولاي يوسف ابن السلطان المنعم مـولاي الحسن فرزقه تعالى ولدا ذكرا اسماه محمدا) .

وقد عمت الفرحة والسرور جميع ربوع المملكة بهذا النبأ السار الذي ادخل على البشرية ارتياحا واطمان الشعب بازدياد المولود الجديد وصار كل بيت يردد ان الخير والرحمة والبركة مع هذا الامير لا شك لان نفوسنا تحس بذلك ، وهكذا كان . وبعد ان استأثر الله برحمته جلالة المغفور له والده المنعم مولاي يوسف طيب الله ثراه ، كان اجماع الامة على مبايعة خلفه ووارث سر الاماجد الملوك العلويين محمد الخامس رضي الله عنه ، ووقعت البيعة الشرعية لجلالته في يوم الجمعة 22 جمادى الاولى 1346 هجرية موافق 18 نونبر 1927 ، واول مـا سمع العالم من هذا الملك الشاب والسلطان العادل قوله : (ان الشعب المغربي ينتظر منا مجهودا مستمرا لا من اجل تنمية سعادته المادية وحدها ولكن لنكفل له الانتفاع من تطور فكري يكون متلائما مع احترام عقيدته وسيما منه الوسائل التي تجعله يرتقي درجة عليا من الحضارة بأكثر ما يمكن من السرعة) . ان من القى نظرة على هاته العبارات الذهبية وما ترمي اليه من دفع بهاته الامة المغربية الى قمة التقدم والحضارة واحلالها المكان اللائق بها من حرية واستقلال وتمسك بتعاليم الاسلام واحترام عقيدتها وتطويرها في جميع مجالات الحياة تطويرا يلائم العصر ويحافظ على الاصالة ، يعلم علم اليقين ان جلالته تحرص كل الحرص على ان يعيش هـذا الشعب في حرية وتقدم مطردين .

ولقد اتجه الى اصلاح هذا المجتمع المغربي الذي ميع الاستعمار واذنابه الحيـاه في كثير من جهاته وقام لتجديد الحياة فيه والعمل من اجل اتجاه افراد الامة وجهة صحيحة تخدم الوطن وتهيء المواطن ليكون عضوا صالحا بناء حتى تسترجع الامة سالف مجدها وتستنشق حريتها وتتوفر لها كرامتها الذي حاول اعداء المغرب سلبها من هذا الشعب العظيم ، وكان من الاسبقيات التي عمل على تحقيقها هي دفاع جلالته على التشبث بالاسلام ومحاربة البدع والتدجل والشعوذة التي ليست من الدين في شيء واتجه الى تعميم العلم في جميع جهات المملكة فاحييت المعاهد وروجعت برامج التعليم الاسلامي وشيدت المساجد وانتشرت المدارس الحره في كثير من المدن ، واتجه عدد لا يستهان به للمدارس العصرية ، ورغم ما لاقاه من محاربة لهاته النهضة العلمية والثورة الفكرية من الاقامة العامة واعوانها رغم ذلك ، كله فقد حقق ما يصبو اليه من هذه الحركة الاصلاحية السلفية . وكم وضع لجلالته من حجر في الطريق لعرقلة سير هاته المسيرة الظاهرة فخلقت الحماية المقيتة الظهير البربري لتوهن بـه العزم وتشتت به شمل المغرب وتفرق بين ابنائه الذين تجمعهم عقيدة واحدة ووطن واحد وملك واحد .. وقد دبر الاستعمار لخلق هاته المحنة في سنة 1930 لما شعر بالخطر الذي يهدد وجوده وكيانه من طرف جلالة المغفور له محمد الخامس اذ دبروا مؤامرتهم هاته بعد تربعه على العرش بثلاثة أعوام فقط ولكن مؤامرتهم هاتـه بـاءت بالفشل فحورب هـذا الظهير في المدن والقرى والنـوادي والجامعات والمساجد ، وكان الكل يردد في المساجد وغيرها دبر كل صلاة (اللهم يا لطيف نسالك اللطف فيما جرت به المقادير ، اللهم لا تفرق بيننا وبين اخواننا البرابر) . وبعد ان هيا جلالة الملك الشعب نفسيا لخوض المعركة بصفة عملية وظهر للمستعمران هاته الجماهير المغربية تزداد سنة بعد سنة بعدا مـن مخططاتهم المقيتة ، وان كل محاولة يقومون بها تجد من افراد المغاربة شيبا وشبانا مـن يتحادها بارادة المومن الصلبة مما جعل هذا الاستعمار يعيش مـن جديد على اعصابه ويواجه اعنف صدمة اصابته مـن الملك وشعبه حينما قدم له جلالة الملك محمد بن يوسف سنة 1935 طلب تعديل الحماية مما نفخ في الحركة الوطنية روح التضحية والفداء ورفـع من معنويات افراد المجاهدين الابرار ، وعند اطلال سنة

وتشديد الرقابة ومنع التجول ، كل هذا وغيره من الاعمال الوحشية واجهه المواطنون . فنفي محمد الخامس في التاريخ المذكور لكرسيكا ومنها الى مدغسقر ، ولكن ما هي الثمرة التي جناها الاستعمار واعوانه من هذا العمل الشنيع والذي سخط عليه الضمير العالمي وواجهت منه السلطات الاستعمارية الفرنسية اعنف ثورة عرفها التاريخ تقوم بها امة مخلصة لملكها ومتفانية في الدفاع عن وطنها وعرشها الذي تقدسه وتقدر ما اسدى لهذا الوطن من اعمال توفر له كرامته ومناعته .

في يوم 20 غشت 1953 على اثر ابعاد جلالة محمد الخامس قدس الله روحه دعا الاستاذ علال الفاسي للمقاومة المسلحة في نداء القاهره بقوله مخاطبا العاهل « اما انت ايها العاهل العظيم فلن يضرك ان تظل في منفاك امدا ما دام الله يرعاك والشعب من حولك ، فانك تزيد المومنين ايمانا والمجاهدين صبرا والظالمين والمستعمرين قلقا ويأسا وباسم المجاهدين الاحرار مؤكدين عهدنا على الوفاء ومجددين قسمنا بالفداء الى ان تعود الينا ثم الى ان يتحرر الوطن ويسعد المواطنون ...)

وقد عمت نداءات المقاومة والفداء من ابطال المغرب وزعمائه ووطنيه ، ودوت الاصوات الحرة تؤيد تضحية هذا العاهل النادرة من نوعها ، واكتسحت المقاومة والفداء جميع مدن المغرب وقراه ومداشره واشتعلت نار على المستعمر واذنابه من جميع طبقات الشعب مما اقض مضجعه وجعله يعيش في محنة والم ، فالثورات تتالت عليه والهجومات توالت في كل جهات المملكة ولم يزد الشعب الزج بالابرياء في السجون وقتل الارواح الطاهرة من طرف جنود اللفيف الاجنبي وهتك المنازل والعبث بالانفس وجميع انواع الاعمال الوحشية لم يزد الشعب هذا كله الا مزيدا من التضحية والفداء.

وقد واجه هذا المجاهد الاكبر هو وولي العهد وجميع افراد الاسرة المالكة هذا النفي والابعاد بكل شجاعة وقوة ارادة منقطعي النظير ، واصدق صورة حية على ذلك ما نلمسه في خطاب صاحب الجلالة المغفور له محمد الخامس لولي عهده ورفيقه في الكفاح بمناسبة عيد ميلاده عند قوله :

« وفي المنفى يا بني بفضل تربيتك الصحيحة لم تكن تشعر بالابعاد والاقصاء عن الاوطان وانما نعد انفسنا في خلوة ، نعد فيها برامج مغرب الغد لنطبقها بعد عودتنا ... والا فنكون قد تركنا رسالة وبرنامجا لشعبنا الوفي .. الى ان قال : يا بني لست أنسى عطفك وبرك واحساسات الابن البار يوم حلقت بنا الطائرة الى المنفى ولم يبق هناك ملك ولا امير وانما هناك العطف والتجاوب بين الاب والابن .

كنت اشعر يا بني انك تريد ان تتقمص الالم وحدك وكنت تحاول ان تحل داخل نفسي لتتحمل سياط الالم والفراق وحدك ، وكنت انظر اليك باسما راضيا وعرفت وانا في الطائرة ان الشجرة الطيبة التي اصلها ثابت وفرعها في السماء اتت اكلها » .

ها نحن عشنا كيف كانت هذه الدوحة النبوية والاسرة الشريفة تواجه اعمال الغزاة في أحلك الظروف . وتنظر الى اعمال المستعمر بعين الصغار له والتفاهة لما يصدر منه ، فلم يؤثر النفي ولا السجن على الملك واسرته وواجهوا كل هاته التصرفات الطائشة والاعمال الجائرة بالشجاعة والتحدي النادرين من نوعهما .

وخلد هذا العرش لامته المغربية ذكرا من المجد لا تبلى نضارته ولا تعفى غضاضته ، واشعل على المعتدين نارا من جميع طبقات الامة التهمت كل مخططات العدو .

ولقد ذاق الاستعمار الفرنسي وأذنابه مرارة اعمالهم الدنيئة واكتووا بنيران المقاومة وجيش التحرير فلم تغن عنهم طائراتهم ولا دباباتهم ولا جيوشهم المدججة بانواع الاسلحة ولا دميتهم عرفة واعوانه شيئا . وتيقنت فرنسا واحرار الفرنسيين انهم لا يمكن لهم ان يستقر لهم قرار امام هذا البحر المتلاطم الامواج من الهجومات عليهم من جهة والمظاهرات من جهة اخرى وتوزيع المناشر في بلد آخر ، وتصفية الخونة من ناحية اخرى ، وزرع الالغام وشب الحرائق في طرق ومدن وقرى مما اقتنعت معه الاقامة العامة والسلطات الفرنسية انه لا مناص لها من اعطاء المغرب استقلاله على يد الملك الشرعي للبلاد جلالة الملك محمد الخامس وتحت الضغط والمقاومة المسلحة ضد الفرنسيين واذنابهم رجع جلالة المغفور له منتصرا على الاعداء حاملا لشعبه ووطنه أغلى شيء واثمنه الا وهو حرية المغرب واستقلاله .

(راى صاحب الجلالة ان يقوم بعمل حاسم يبين للملأ حقيقة مدينة طنجة ، ففي مذاكرة تاريخية مع المسيو لابون اقترح سيدي محمد ايده الله ان يقوم بزيارة مدينة طنجة بصفته ملك البلاد بجميع مناطقها الاصطناعية انه لا يسمح لنفسه باهمال رعاياه الطنجيين الذين أصبحوا كاليتامى يلمسون كنفا يلتجئون اليه ، زيارة طنجة يا لها من مسالة شائكة ويا له من حادث يتطلب مفاوضات وتطمينات واحتياطات تمقدها الاقامة العامة . فماذا يا ترى سيكون موقف انكلترا التي تعطي اهمية كبرى لطنجة المقابلة لجبل طارق واسبانيا التي ربما تعرقل مشروع السفر اذ هي لم تنس موقف فرنسا منها وتخطط لانضمام طنجة الى المنطقة الخليفية في هذا الابان ، بل ما ذا سيكون موقف جميع الدول لو كان على راس الاقامة بالرباط غير المسيو لابون لما قدر لرحلة طنجة ان تقوم على رجليها . لقد واجه السيد لابون معارضة حقيقية وعنيفة من مجلس شوري الحكومة الفرنسية — ووصفوه بانه لا ينتهي من غلط فاحش الا الى غلط افحش ، يلاحظون عليه انه يريد الآن ان يشجع مشروعا من شانه ان يقلب الامور راسا على عقب ، يقولون : « ان سفر السلطان لطنجة فيه تقوية عظيمة لمركزه — الدولي وفرصته لربط صلات مع دول قد تكون لها في يوم ما مصالح مناقضة لمصالح الفرنسيين فهل يدرك المسيو لابون ذلك ». ورغم هاته المعارضة الهدامة استطاع لابون ان يقنع السلطات الفرنسية بجدوى سفر العاهل المغربي لطنجة .

وعندما وصل نبا الرحلة الميمونة والزيارة المباركة للشعب الطنجي كم كان فرحه وسروره بهذا المقدم السار ، وكان كل واحد ينتظر بفارغ الصبر اليوم المشهود ، يوم خطاب صاحب الجلالة بطنجة الذي هو يوم الخميس 19 جمادى الاولى عام 1366 موافق 10 ابريل 1947 على الساعة العاشرة وخمسة عشر دقيقة .

اما برنامج سفر صاحب الجلالة لمدينة طنجة يعلن البرنامج زيادة على ما ذكر : — تدشين سمو ولي العهد مولاي الحسن لمدرسة الاستاذ السيد عبد الله كنون — وزيارة معهد مولاي المهدي يوم الخميس — وصلاة الجمعة بالمسجد الاعظم . وعلى الساعة السادسة والنصف من هذا اليوم تخطب اميرة النهضة في مدرسة البنات المسلمات ، ورغم ما قامت به السلطات الاستعمارية في الدار البيضاء من مهاجمات لبعض المنازل وزرع الرعب والفزع في السكان قصد افشال الرحلة التي كانت اعظم قنبلة نسفت بأحلام الاستعمار واذنابه ، فان برنامج السفر طبق حرفيا . وهنا يعجز القلم — يقول مليين — في وصف ما حدث ، فلقد صار سكان طنجة رجالهم ونساؤهم واطفالهم جسما واحدا روحه ملك المغرب وسيد المغاربة ومنقذ طنجة ، ودهش الاجانب مما شاهدوا وصاروا معجبين يتساءلون كيف تم هذا الانقلاب الرائع في نفوس مغاربة طنجة ، لقد أصبح سكان طنجة بين عشية وضحاها اسدا ضارية يزارون يرى في أعينهم بريق العزم والقوه ويسمع في نبرات صوتهم نغمات النضال والكفاح انها روح السلطان وعزيمة السلطان وعقيدة السلطان يبثها بين نفوس رعاياه حيثما حل وحيثما ارتحل لانهم يعلمون الاهداف البعيدة لجلالة الملك والذي حرك لها طبقات من الشعب انتشرت في ربوع المملكة مما جعل القضاء عليها يكتسي صعوبة بالغة ، لقد توالت المضايقات وازداد الصراع بين جلالة المغفور له محمد الخامس وبين الاستعمار الفرنسي ، فالوطنيون اشعلوا نار المقاومة والفداء تأييدا وتنفيذا لما يدعو له المغفور له — في جميع المدن والكثير من البوادي — ان السلطات الفرنسية لم تدخر جهدا في مواجهة هاته الانتفاضة التي تحمل في طياتها هدم صرح الاستعمار وسحق اذنابه ، فقتلت الابرياء وزج بالرجال والنساء في السجون ، فبعد ان فشل جوان في اخماد نار الثورة ضد الاستعمار ظن خلفه كيوم انه سينتصر على غليان الشعب وانه سيقتل فيه روح الفداء الذي ان استمر على ما هو عليه سوف يقذف بفرنسا واعوانها مما يؤدي بها لا محالة الى الفضيحة والانهزام أمام الراي العام الدولي ، وستخسر في نظره القصير مصالحها في شمال افريقيا وبالتالي في افريقيا باجمعها ، وظن انه لا يمكن له من الاستقرار في المغرب وان يتغلب على هاته الثورة التي اشتعلت نارها ولحقت بالادارة الفرنسية واعوانها اضرارها الا اذا دبر مؤامرة ضد العرش الذي هو سر هذه الثورة وروحها ومحركها والدافع بها لنيل الكرامة ، وفعلا فقد اقدمت اليد الاثيمة في تاريخ 20 غشت 1953 على القاء القبض على المقاوم الاول محمد الخامس هو ومساعده الايمن ولي العهد آنذاك جلالة الملك الحسن الثاني وباقي أفراد الامراء والاميرات .

وكان تطويق القصر العامر بالدبابات وتحليق الطائرات العسكرية في سماء الرباط العاصمة

وكان القوات الملكية المسلحة الامير مولاي الحسن
ليا للعهد بتاريخ 10 الحجة 1376 موافق 9 يوليوز
195 ، حيث ان المغفور له جلالة الملك الراحل
حمد الخامس منح في الوصايا لوارث سره جلالة
ملك الحسن الثاني نصره الله جواهر ثمينة ؛ كان
لملك الحسن الثاني حفظه الله قدرها حق قدرها ،
يف لا وهو الذي كافح الاستعمار بجانب والده منذ
لفولته وتحمل معه مشقة النفي والاضطهاد اللذين
راجه العرش وافراد الاسرة من اجل تحرير المغرب
استقلاله موحدا غير مجزا ، الشيء الذي لم يهدأ
ال لامير المومنين جلالة الملك الحسن الثاني حتى
حققه لهاته الامة من وحدة كاملة رغم كيد الكائدين
ومؤامرة المتآمرين .

اقول لما امن المغفور له من ان الرسالة التي
قام بها هو واجداده لهاته الامة المغربية — سيقوم
بها خلفه احسن قيام الذي اصبح علما بارزا ورمز
الاستمرار لاشهار المثل العليا والقيم الاسلامية ،
والقيادة الحكيمة الرشيدة لما حباه الله به من حنكة
سياسية وعبقرية نادرة ، اقول لما آمن بكل هذا أبى
هذا الاب العظيم والرائد الملهم الا ان يذكره باصول
هذه الرسالة وما لها من توجيهات قيمة وروحية وما
تحتوي عليه من مكارم خلقية وما تهدف اليه من
مرامي سامية تستقطب جوانب الكمال في الحال
والمآل ، فقال له يوصيه :

« وانت يا بني : ها قد افاء الله عليك من
عوارف انعامه ، واضفى عليك سوابغ قبوله وانعامه
والف بين القلوب على حبك واطلق الالسنة بمدحك
والثناء عليك ، فاحمد الله الذي شرح للايمان صدرك
ورفع بالاخلاص قدرك ونشر بالتضحية في الخافقين
ذكرك ، واياك ان تحيد على صراط الاسلام القويم ،
او تتبع غير سبيل المومنين ، فانه لا عدة في
الشدائد كالايمان ، ولا حلية في المحافل كالتقوى ،
واعرف الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، وتقرب
منه بالاعمال الصالحة ذراعا ، يتقرب منك توفيقك باعا،
واجعل القرءان المصباح الذي تستضيء به اذا ادلهمت
الدياجي ، واشتبهت عليك السبل ، وليكن لك في
رسول الله وصالحي الخلفاء اسوة حسنة ، اولئك
الذين هدى الله فبهداه اقتد » .

وهكذا يهدي لوارث سره هذه الدرر الغالية
فاستنار بهديها وامتثل ما ترمي له هاته الوصية
اعز الله امره .

ولا يترك جلالة المغفور له فرصة تمر الا ويعمل
لهاته الامة ما يصلح حالها ومآلها ويجعلها تخطو بقدم
ثابتة لاوج التقدم منيعة الجانب محترمة في عين الكل
واليكم البعض من نصائحه لهذا الشعب العزيز الذي
يحب رضي الله عنه ان يبقى دائما وابدا عزيزا محترما
موفور الكرامة متشبثا بدينه وعقيدته مدافعا عن
القيم الاسلامية والروحية ، يهتدي بهدي الاسلام
ويستنير بنوره . فقال رضي الله عنه متوجها
بالنصيحة لهاته الامة المغربية ولشعبه الوفي في
خطاب العرش التاريخي الذي القاه في 18 نونبر
1958 . قال :

« ان المغرب ينتمي الى عالم العروبة والاسلام
الرحب الفسيح ، وهذا الانتماء يجعله شديد الاهتمام
بما يجري فيه ، متتبعا عن كثب تطور احواله ،
مؤيدا قضاياه العادلة ، في المنظمات الاممية ، كما
انه سيسعى لتقوية ما يصله به من اواصر معنوية
ومادية ترجع الى قرون طويلة ...

... لقد علمنا التاريخ ان اجدادنا المغاربة
والمسلمين على العموم انما سادوا وشادوا بتمسكهم
بالقرءان المبين واعتصامهم بحبل الله المتين ، لا
سبيل للمسلمين للخروج من الحالة الحاضرة ،
واهتدائهم الى اقوم طريق الا بالرجوع الى موارد
الاسلام الصافية ينهلون منها ويعلون ، وسيجدون فيه
الدواء الناجع لكثير من ادواء العصر السياسية
والاجتماعية والاقتصادية ، فالاسلام دين رحمة
وسماحة وعدالة وسلام وهو يعطي للرب حقه من
نشاط المرء كما يعطي للمجتمع والاسرة والنفس
حقوقها . فالواجب يقول — جلالة المغفور له محمد
الخامس — على رعيتنا المخلصة ان تتمسك بالدين
وتقطع دابر الشك بعد اليقين، وان تلجا الى الله اذا
دهمتها الخطوب وتاخذ بسنته الكونية لنيل المرغوب.
(قل هذي سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن
اتبعني وسبحان الله وما انا من المشركين) » .

وكان جلالة المغفور له يوجه هذا الشعب
المغربي لما فيه كامل رقيه . وفي الفقرات السالفة
الذكر من هذا الخطاب التاريخي الموجه الى الامة
المغربية ما فيه كفاية لما كان يدعو اليه هذا الداعية
العظيم والعاهل المنقذ امته من التشبث بالاسلام
والتخلق باخلاقه والسير على سبيله التي تؤدي الى
اوج الرقي والكمال دينا ودنيا . وكان رضي الله عنه

وكان يوم 16 نونبر 1955 هو تاريخ عودة الملك فاشرقت على المغرب أنوار الحرية وبزغت شمس الاستقلال وعم الفرح والابتهاج جميع افراد الشعب بهذا الوقت الذهبي المبارك الذي طالما اشرأبت له الاعناق واشتاقت اليه النفوس وتطلعت الى تحقيقه جميع افراد هاته الامة فتحقق حلم طالما تضافرت الجهود الى تحقيقه وارتكبت الاخطار الجسام للحصول عليه ، وكم اعطي لايجاد هذا الظرف الذي هو باب السعادة التي تدخل منه على الشعوب ما تصبو اليه من رقي وازدهار وهو السبيل الوحيد الذي تسلكه الامم لنيل التقدم والكمال ؛ فبدون الحرية والاستقلال لا كرامة ولا شرف ، ففي هذا اليوم وضع الشعب المغربي قدمه في مكان الحرمة التي طالما بحث على تحقيقها وصرف من اجلها كل غال ونفيس ، فكان تاريخ هذا اليوم فارقا بين عهدين ، عهد استعمار غاشم ذاق منه الشعب الامرين، وعهد جديد يتسم بتيل الامة المغربية لكامل حريتها وموفور استقلالها .

ان أول لمة فاه بها هذا المنقذ العظيم والمجاهد الاكبر عندما عاد للمغرب باستقلاله قال : « الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور » .

ولا شك ان من حباه الله بأن عاش هذا الظرف وعايش الاحداث السالفة الذكر يعلم علم اليقين ان هذا العاهل واسرته واجهت أحلك الظروف ، وناهضت الاستعمار واعوانه وجاءتنا باغلى ما تحرز عليه أمة ، فمن شاهد الاحتفالات التي عمت جميع جهات المملكة سواء منها ما شملته الحرية في ذلك الوقت وسواء منها ما لم يقدر له ان يحرر الا بعد ذلك ، على يد رفيقه في الكفاح ووارث سره جلالة الملك الحسن الثاني ؛ اقول من عاينها يعلم ان هذا الشعب في مستوى ما تحقق له ، فلقد شاهدت شخصيا ولا شك ان الكثير من المقاومين والمجاهدين من جميع سكان الصحراء المسترجعة والبعمرانيين الذين هم معنا حالا شاركوا كلهم في الاحتفالات برجوع المغفور له واستقلال وطننا على يديه هو ووارث سره واسرته كلها. فلقد رفعت الرايات من سيدي افني الى الكويرة وعمت الافراح مداشر هاته الجهة كلها وقراها وبواديها وتكونت الوفود من قادات السكان وأعيانهم للمثول بين يدي العاهل وتجديد البيعة له .

ولقد انعقد في هذا الابان أكبر مؤتمر عند مخيم هذا الشيخ ، اعني الشيخ محمد الاغظف ابن الشيخ ماء العينين الموجودة آنذاك مخيمة بام اشكاك ، وحضره أكبر عدد من قادة واعيان وشيوخ الصحراء ورغم ما حاول المستعمر الاسباني من افشال هذا الملتقى النادر من نوعه فقد نجح بالرغم منه ؛ وانبثق من هذا المؤتمر وفد يمثل السكان من الاعيان والقادات واصحاب النفوذ واهل الحل والعقد ، وساعدني الحظ الي كنت من بينهم ، وتوجه هذا الوفد لتأدية البيعة ، وفعلا فقد مثل امام محمد الخامس رضي الله عنه وادى البيعة نيابة عن ابناء الساقية الحمراء ووادي الذهب . وهكذا توافد اعيان المغاربة من تندوف والقنادسة ومن كل الاجزاء المغربية سواء منها ما نعم بنعمة التحرر والاستقلال او الذي بقي من الاجزاء المغربية او الذي لم يقدر له ان شمله الاستقلال والانضمام الى الوطن الاب ، فجدد الكل البيعة سواء من شمال المغرب او جنوبه او شرقه وغربه ، اذ أتوا المغاربة من كل صوب وحدب من جميع جهات المغرب حسب حدوده التاريخية الحقة فجددوا البيعة وكسروا الحواجز معلنين امام الراي العام العالمي انهم لم يساوموا في مغربيتهم وانهم سيبقوا جنودا للعرش ومخلصين للمقدسات الوطنية وفعلا فقد برهنوا على تشبثهم بمغربيتهم الصادقة فلقنوا الاستعمارين الاسباني والفرنسي دروسا في مجال التضحية والجهاد لا ينساها العدو الغازي ، فما زال نسيم فخرها والاعتزاز بها يستنشقه أبناء المغرب الاحرار .

وكانت كل أعمال هؤلاء المغاربة النضالية تستمد قوتها من التوجيهات السامية للعرش العلوي وباقوال سيدنا الحكيمة ، فالكل يتذكر ما قاله رضي الله عنه في خطاب العرش يوم 18 نونبر 1955 : (الآن وقد تجلت اهدافنا يجب عليكم ان تتمسكوا بحبل الاخاء وتتجنبوا ما يؤدي الى التفرقة والبغضاء ، اذ لا نجاح يرجى الا بصفاء القلوب وتوحيد الصفوف حتى تكون كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا) .

ان جلالة المغفور له لا يرضى من شعبه الا ان يكون متلاحما متضافر الجهد موحدا في جميع مظاهر حياته لما في وحدة الصف من قوة المكانة ومناعة الجانب .

ومما يثلج صدر كل مغربي ان يطلع على ما جاء في خطاب تنصيب صاحب السمو الملكي رئيس

حرر بكم هذا الجزء سيحرر الاجزاء الاخرى ، فكما احسن الله فيما مضى كذلك يحسن فيما بقي راجين من المولى جلت قدرته أن يتم نصركم ويؤيدكم بروح منه الى ان تروا في شعبكم ما تاملون من رقي وازدهار وان يحقق رجاءكم في سمو ولي عهدكم حفظه الله وباقي اخوانه الكرام انه سميع مجيب والسلام عليكم ورحمة الله » .

وقد ضمنت كلمة والدي الشيخ محمد الاغظف برمتها مدعمة بصورة فوتوغرافية تبين جلالة المغفور له في حديث مع الشيخ الذي اخلص لهذا العرش وخدمه بكل وفاء وصدق كغيره من ابناء الصحراء المغربية وقادتها ووجهائها المعروفين كلهم بتشبثهم بالبيعة للعرش العلوي المجيد .

وها هي ولله الحمد جميع طبقاتهم واعيانهم المحترمين متواجدون حالا هنا يشخصون ذلك الوفاء الذي ورثوه من آبائهم واجدادهم المناضلين دوما وراء العرش العلوي والجالس عليه ، وسيبقى ذلك فينا جميعا الى ان يرث الله الارض ومن عليها .

ان محمد الخامس حمل العبء وادى الامانة ودافع عن الحق والتصر له وايده الله بروح منه في مواقفه الجريئة ، فكم من كاتب حرك قلمه في مدح هذا الداعية الاسلامية والمحرر الاكبر والمجاهد العظيم ، وكم من خطيب لهج لسانه بالذكر الجميل لهذا السلطان الثائر على الظلم والطغيان دفاعا عن الحق وانتصارا للعدل ، وكم من شاعر اضفى على شعره حلة من الجمال بالاشادة بما صنعه محمد الخامس وما قام به من اعمال هي فخر لتاريخ الامة العربية والاسلامية ، ولا باس اذ ذكرنا على سبيل المثال قصيدة لاحد ادباء وعلماء وشعراء الصحراء المغربية لواحد من خريجي مدرسة الصماره هو الاستاذ ماء العينين بن العتيق حفيد شيخنا الشيخ ماء العينين والذي قال في حقه الاستاذ عبد الوهاب ان منصور في كتابه : (مناقب اهل الصحراء) ناشرا للقصيدة التي اردنا ذكرها هنا ـ قال الاستاذ عبد الوهاب بن منصور :

(هذا الشاعر بقي في احلك ايام الاستعمار وفيا لوطنه المغرب شديد التعلق بقائد مسيرته التحررية جلالة الملك المرحوم محمد الخامس مثله في ذلك مثل جميع ابناء الساقية الحمراء وسائر الصحاري التي تحتلها فرنسا واسبانيا وكان لا يدع فرصة تمر دون ان يغتنمها للاعراب بشعره عن هذا الولاء والاخلاص . كهذه القصيدة التي وجهها الى جلالته مشيدا بمآثره منوها بمفاخره ، وتليت خلال الاحتفال بليلة عيد المولد النبوي عام 1356 هـ موافق 1957 م :

بشر المنى بك اشرقت اعلامها
يشدو على فنن السرور حمامها

وحظائر العرفان منك تنسمت
ارواحها وتبسمت اكمامها

زانت امامتك الزمان وكيف لا
تزداد ازمنة وانت امامها

لم تبق من رتب الكمال مزية
الا وانت ملاكها وقوامها

لله درك يا ابن يوسف من فتى
يرعى به للمكرمات ذمامها

انت المليك الكامل الكرم الذي
نجلتك من غر الملوك كرامها

اجدادك الصيد الغطارفة الاولى
غبطت بها الغرب العراق وشامها

موفورة اعراضها مبذولة
اموالها موصولة ارحامها

وحميدة اخلاقها وسديدة
اراؤها وحديدة افهامها

فمحل ايطان السماحة راحها
ومحل تيجان الخلافة هامها

ترك العلى لبنيه اسماعيلها
ارثا واورثها بنيه هشامها

حتى جلست على اريكة عرشها
ملقى اليك عنانها وزمامها

تعنو لمنبرك الاكابر هيبة
ان الاسود مهيبة آجامها

لم تحك في فخر الجدود ومن يرم
فخر النفوس فما سواك عصامها

اسهرت جفنك في تدابير الامـ
ـور فاصبحت بك متقنا ابرامها

وكفيت ما تشكو الرعية فانجلت
لاواؤها بك وانتفت اسقامها

ينشر نور الاسلام ويدعو الى التمسك به بالتي هـي احسن ، ويزرع في النفوس عقيدته ، ولا يترك مناسبة تمر الا ويبرز ما يهدف اليه هذا الدين من تقويـم النفس واصلاح المجتمع وتهذيبه ، فهو دين عمـل واخلاق ومعاملة ووفاق . قال عليه الصلاة والسلام: (الدين المعاملة) ولكي يبـرز هـذا الاسلام على حقيقته ويتصوره المجتمع البشري حسب واقعـه الانسـاني الرفيع نراه عندما وقف امام الجمعية العامة للامم المتحدة بتاريخ 9 دجنبر 1957 متحدثـا عـن الشعب المغربي ومدافعا عن العقيدة الاسلامية يقول: واذا كانت دولتنا تمتاز بانها دولة فتية فانهـا فـي نفس الوقت امة عريقة متشبثة بعقائدها الدينية وقيم الاسلام الروحية ، تلك القيم التي هي اسس حضارة شديدة الحرص على السلم والعدالة والمساواة . وان منظمتكم – يقول جلالة المغفور له – التي تسعـى سعيا حثيثا لخلق انسجام ثابت بين اجزاء العالـم والتي تهدف الى توحيد الشعوب وربط مختلـف عناصرها باواصر تضامن وثيق ، هذه المنظمة جعلت مقصدها الاسمى ومثلها الاعلى في تحقيق التعـاون والتفاهم بين الامم كبيرها وصغيرها وتمكين التعاطف والاخاء بين الشعوب ، ان مباديء العدل والحريـة والمساواة التي هي أسس منظمتكم ، تتفـق ومـا تعتبره طبق معتقداتنا مباديء مقدسـة ، ولذلـك فان الاغراض التي حددها الميثاق ليست غريبة عما نهتم به من شؤون وما ترمي اليه من غايات » .

وهكذا يبرز هذا المنقذ والمجدد للديـن مـا للاسلام من مرونة وتكيف لمعالجة أوضاع المجتمـع على مختلف مشارب هذا المجتمع وميولاته مبينا في نفس الوقت ان كل عمل يحقق السعاده في اطـار الحق والمشروعية والعدالة هو الذي يرمي الديـن الاسلامي الى تحقيقه . ان كل بند من اي قانـون يعالج تقويم سلوك البشر لما فيه اصلاحه وتهذيبـه وحسن سلوكه ويدفع بالانسان الى القيم المثلى التي تجعله عضوا صالحا بناء ، كل قانون من هذا النوع ، يتعانق مع ما يرمي اليه الاسلام ويسير معه في سبيل واحد للوصول الى اصلاح الفرد والمجتمع الذي هو الهدف الوحيد المراد تحقيقه عند الدين المرن الغير متزمت الصالح لكل زمان ومكان .

لنستمع باذان صاغية وقلوب حاضرة الى هذه الكلمات الذهبية الخالدة التي يوجهها فقيد العروبـة والاسلام ومحررنا من يد الاستعمار وبادقه اللئـام والمدافع عن المثل العليا والمناصر للحق والمناهض للباطل لنعيش مع هاته التوجيهات الملكية الساميـة التي ترشدنا الى العمل البناء لكي لا نبقى عالـة على اي امة كيف ما كانت . فقال رحمـه الله ينصـح شعبـه :

« يمكننا ان نزاحم العاملين يوم لا نكون عالة على غيرنا في كل حاجياتنا من ماكولات وملابس ومـواد صناعية ، فاذا ادركنا تلك الدرجة من الرقي وعـم التعليم كل البقاع المغربية ،وقامت معاملنا بما نستهلكه وفلاحتنا بما يكفي البلاد ، وسـاعـد الاتجـار في الخارج بالمواد المغربية امكننا ان نرفـع رؤوسنـا ابتهاجا بالجهود المبذولة ونصول زهـوا بالنتائـج المحصولـة » .

ويقول رضي الله عنه في خطـاب العـرش سنة 1370 : « واعلموا ان الفضائل الانسانية لا تتم بدون اخلاق سامية وشعور ديني سليم ، وان مـن الخير ان يستكمل المرء في نفسه معانـي السمـو والنبل ويوقف جهده ومواهبه على تقدم امته ، وايثار مصلحتها على انانيته » . واضاف قائلا : « فلتتماسك بينكم عرى التعاضد والتناصر ، واجتنبوا اسبـاب التكاسل والتخاذل ، فالامم لا تنهض مع الخذلان ولا ينجيها التنافر من الهوان » .

هكذا كان طيب الله ثراه يرشد افـراد امتـه وجماعاتها لما فيه تقدمها وكامل رقيها وازدهارهـا ويحث امته على العمل النافع وتضافر الجهد وخلـع لباس الجهل والارتداء ، بحلل العلم الزاهية ، ونشر الثقافـة ولعمـران وحسـن تربيـة الاجيـال وتقويم جميع الطبقات الحية وتحريـك النفـوس الراكدة ، لتنهض وتشارك في جميع ميادين الحياة . فيحب ان يرى الشعب المغربي يرفل في ثوب العزة ينافس الامم الراقية في جميع المجالات . فلا يقنـع لهذا الشعب الكريم بالقليل ، فكمـا ان اجدادنـا ساهموا مساهمة فعالة في بناء الحضارة الانسانيـة اذ نشروا العلم والعمران في جميع انحاء المعمورة ، فكذلك يحرك الجماهير المغربية لتلعـب الـدور الطلائعي الذي ينتظرها وتساهم من جديد في تحريك عجلة التقدم لما لها من رصيد – في ميدان الحضارة لا ينضب معينه ولا تغرب شمسه . ومن كلامه يخاطب ولي العهد مولانا الحسن والاميرة للا عائشة :

« اي بني اي بنيتي ان امتنا المغربية امة عريقة في المجد وان عرشنا عرش تتمثل فيه عزه البلاد ، ان عليكما لهذه الامة ولهذا العرش ، واجبات خطيرة ، يتطلب القيام بها استعدادا قويا ، ولكن املي في نجاحكما عظيم ، انني اريد منكما أن تتفهما روح هذا الشعب النبيل فتسعدا بسعادته وتشاطراه في ضرائه ، انكما مغربيان ليس الا ، فلا فرق يا بني بينك وبين اي مغربي ولا فرق يا ابنتي بينك وبين اي مغربية » .

وهكذا رضي الله عنه كان يربي اسرته الخاصة على هاته الصفات الفاضلة والمعاني السامية ، وفعلا فقد تحلت اسرته الكريمة بكل ما كان يربيها عليه من عظمة في النفس واخلاق فاضلة وسلوك حميد واعمال بناءة فارضت الله في الشعب وارضت الوالد المنقذ في ان طبقت حرفيا ما يدعو اليه فكانت انفس جوهرة في عقد الدر العلوي الشريف الذي لا تحصى مآثره الحسنة وآثاره الفاضلة ، فعطر ذكرها الآفاق واسدلت على هذا البلد والشعب المحب لها اردية العز والمهابة ، والكرامة ، فكانت كما كان يحب لها المقاوم الاول والمجاهد الاكبر والمربي العظيم جلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه .

في 9 يوليوز 1957 عين الملك محمد الخامس ولده الاكبر وليا للعهد ، وفي حفل التعيين بحضور اعضاء الحكومة والشخصيات المرموقة في البلاد ، خاطب الملك من عرشه خليفته مولاي الحسن بقوله : (يابني اوصيك بالمغرب بلدك الكريم ووطنك العظيم ... فحافظ على استقلاله ودافع عن وحدته الجغرافية والتاريخية ، لا تتساهل في شيء من حريته ، ولا تتنازل عن قلامة ظفر من تربته ، واياك ان تقبل المساومة على امته وسلامة سكانه ، وكن يا بني ديمقراطي الطبع ، شعبي الميول والنزعات ... وكن من الشعب والى الشعب ، يسعك ما يسعه ويضيق عنك ما يضيق عنه ، ولا تبخل عليه براحة ولا تضن عليه بمجهود ، واثره على قرابتك الوشيجة وباطنتك المقربة فانه اسرتك الكبرى وعشيرتك العظمى ، ولن يتاتى لك ذلك الا اذا ما اخذت من امرك بالحزم ، واستعنت على الراي بالعزم ، وعملت عمل اليوم في يومه ، ولا تؤخره الى غد ، وعظم من عظم في عينيك بالحق ، وصغر من صغر بالباطل ، وبدات بالاكد قبل الاكيد ، وقدمت الاوجب على الواجب ، فانه لا تقبل النوافل حتى تؤدى الفرائض ، وبدات بنفسك قبل ان تتجه بالنصح الى غيرك ، وكن مخلصا في سرك وعلانيتك ، عادلا في رضاك وغضبك ، ومقتصدا في يسرك وعسرك ، مسويا بين الرعية في المزالق والواجبات ، فانك منهم بمنزلة الاب ، وهم منك بمنزلة الابناء ، واحذر من المزالق قبل وضع القدم ، فان زلة الملوك لا تقال) .

فاجاب الامير عن ايمان ووثوق بالنفس قائلا : (الامة ليست ابدا ملكا لطبقتها الحاكمة بل على العكس من ذلك فان الملوك والحكام هم خدامها) .

لقد خدم مولانا جلالة الملك هاته الامة وسهر على اسعادها ، وحررها من ربقة الاستعمار واذنابه وارضى جلالة المغفور فيها كما ارضى الله والوطن في تادية الواجب والسهر على حمى الوطن والدين فحقق المعجزات ووفر الكرامة ودافع عن الحق ونشر العدل وانتصر للحق بالحكمة والعبقرية النادرة من نوعها .

ومن كتاب مناقب الصحراء في تشييد صرح الدولة المغربية الغراء لمؤلفه الاستاذ عبد الوهاب ابن منصور مؤرخ المملكة المغربية (المطبعة الملكية : 1975 ــ صفحة 96) .

لقد اكد محمد الخامس طيب الله ثراه في زيارة لمحاميد الغزلان لابناء الصحراء سنة 1958 في شهر فبراير عندما استقبل وفدا من ابناء الساقية الحمراء ووادي الذهب يضم خيرة من الوطنيين المخلصين للمقدسات ، انه رضي الله عنه سيبقى يعمل لانضمام الصحراء الى الوطن الاب كما انه سيواصل اعماله النضالية لتوحيد باقي اجزاء المغرب حتى يستكمل وحدته الترابية ، وقد خاطب ابناء الصحراء قائلا :

« كان من الاماني العزيزة علينا أن نزور هذا الجزء من الصحراء المغربية ونجتمع بساكنيه لنشعرهم بما نوليهم واياها من اهتمام ، ولنحيي سنة حسنة جرى الله عليها ملوك المغرب من قديم ، فقد كان من عاداتهم المالوفة ان يقوموا بزيارة الصحراء بين الحين والحين متعرفين متفقدين لامين الشعث قاضين الحاجات ناظرين في مصالح الرعية ساعين فيما يعود اليها بالخير العميم ، وان آخرهم وصولا اليها جدنا المنعم مولاي الحسن الذي بلغ اليها مرتين

ليؤكد وحدة المغرب وسيادته الشرعية على سائر اقاليمه عندما بدات المطامع الاجنبية تشرئب اليها اضافها ... » .

الى ان قال في الخطاب التاريخي مخاطبا ابناء المغرب الصحراويين :

« ان مما يسعدنا ان يستقبلنا في قرية المحاميد التي هي باب صحراء المغرب ابناء الذين استقبلوا جدنا في قرية أخرى من الركيبات وتكنة وأولاد دليم وسواها من قبائل الصحراء الشنجيطية ، وان نستمع اليهم ومعهم فقهاؤهم وادباؤهم يؤكدون لنا كما اكد آباؤهم لجدنا تعلقهم بالعرش العلوي واستمساكهم بعروبة المغرب الوثقى التي لا انفصام لها ، وانا نحيي نفوسهم الابية وعزماتهم القوية ونرحب بهم في وطنهم وبين أهليهم ، ونؤكد لهم بدورنا ، وليبلغ الشاهد منهم الغائب اننا سنواصل العمل بكل ما في وسعنا لاسترجاع صحرائنا وكل ما هو ثابت لمملكتنا بحكم التاريخ ورغبات السكان ، وهكذا نحافظ على الامانة التي اخذنا انفسنا بتأديتها كاملة غير ناقصة » .

هكذا يعلن هذا المنقذ الامين والراعي لامته ومصالح شعبه والمدافع عن ملته ووطنه وافراد رعيته في نطاق الحق والمشروعية ــ يعلن انه لن يتنازل عن شبر من أرض المغرب ، كما التزم بذلك اجداده المنعمون .

وفي هذا التاريخ الذي استقبل محمد الخامس وفدا من ابناء الساقية الحمراء ووادي الذهب كانت المعارك مستمرة بين جيش التحرير المغربي الصحراوي والاستعمار الاسباني . وكم احرز هذا الجيش الباسل من انتصارات كتبت له بمداد الفخر والاعتزاز ، وقد برهن بذلك سكان الصحراء على تشبثهم بمغربيتهم واخلاصهم للبيعة التي في اعناقهم للعرش العلوي .

وفي تاريخ 10 محرم 1376 موافق 28 يوليوز 1958 استقبل صاحب الجلالة المغفور له محمد الخامس الشيخ محمد الاغظف ابن الشيخ ماء العينين نائب الصدر الاعظم في منطقة الساقية الحمراء ووادي الذهب الذي انعقد عنده وبرئاسته مؤتمر أشكاك السالف الذكر .

وكان هذا اللقاء طالما اشتاق اليه هذا الشيخ وعمل من أجل تحقيقه كثيره من أبناء الساقية الحمراء ووادي الذهب ، فجدد البيعة التي هي في اعناقنا جميعا ، وها هي الكلمة التي القاها امام جلالة المغفور له محمد الخامس حسبما نشرته جريدة صحراء المغرب تحت عدد 69 ــ 70 بتاريخ 28 يوليوز 1958 :

(الحمد لله وحده ، صلى الله على أفضل من عبده: الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله .

مولاي صاحب الجلالة الملك الشرعي لهذه البلاد المقدسة ، هذه الجوهرة من الزمن التي اتشرف بالمثول بين يدي امام عادل ، ، ضحى بنفسه وعائلته وعرشه في مصلحة هذه الامة الى ان انقذها الله تعالى من العبودية والشقاء ، فوجب على كل فرد منها تجديد ولائه واخلاصه امتثالا لاوامر الله تعالى ورسوله (صلعم) . قال الله تعالى : « يا ايها الذين ءامنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الامر منكم » فها انا باسمي واسم سكان الصحراء الاماجد اجدد الاخلاص والولاء لجلالتكم كما كانت أسلافنا متمسكة بذلك لاسلافكم ، وبكوني كنت نائبا عنكم في ذلك الجزء من الوطن باعتراف من الدولتين الاسبانية والفرنسية ، بعد ان كان والدنا رضي الله تعالى عنه هو الواسطة فيما بين أسلافكم المقدسين مع ذلك الجزء الاقصى من رعيتكم في عهد جدكم الاكبر مولاي عبد الرحمن الى ان توفي والدنا رضي الله عن الجميع واسكنهم فسيح جناته ، ومن ذلك الوقت الى الآن وانا قائم بتلك المسئولية العظمى رغم ما اجده من الصعوبات والامواج المتلاطمة في هذا الوقت الخطير الى ان رايت من واجبي ان ابلغكم تعطش رعاياكم التي لم تعرف ولن تعترف بسواكم في ذلك الجزء الصحراوي من الوطن ــ الى الانضمام في أسرع وقت ممكن الى حظيرة الوطن الوالد . وبما ان ذلك الجزء هو عضو المغرب الايمن منذ نشاة الدنيا وتقاسيمها التاريخية والجغرافية كذلك لا يمكن لاهله ان يبقوا محرومين مما فيه اخوانهم من حرية واستقلال .

مولاي ان أهل الصحراء رغم ما يلاقونه من ويلات الاستعمار وعذابه لم يزدهم ذلك الا تشبثا وتعليق آمال عليكم ، ونحن واثقون بأن الله تعالى كما

حرر بكم هذا الجزء سيحرر الاجزاء الاخرى ، فكما احسن الله فيما مضى كذلك يحسن فيما بقي راجين من المولى جلت قدرته ان يتم نصركم ويؤيدكم بروح منه الى ان تروا في شعبكم ما تاملون من رقي وازدهار وان يحقق رجاءكم في سمو ولي عهدكم حفظه الله وباقي اخوانه الكرام انه سميع مجيب والسلام عليكم ورحمة الله » .

وقد ضمنت كلمة والدي الشيخ محمد الاغظف برمتها مدعمة بصورة فوتوغرافية تبين جلالة المغفور له في حديث مع الشيخ الذي اخلص لهذا العرش وخدمه بكل وفاء وصدق كغيره من ابناء الصحراء المغربية وقادتها ووجهائها المعروفين كلهم بتشبثهم بالبيعة للعرش العلوي المجيد .

وها هي ولله الحمد جميع طبقاتهم واعيانهم المحترمين متواجدون حالا هنا يشخصون ذلك الوفاء الذي ورثوه من آبائهم واجدادهم المناضلين دوما وراء العرش العلوي والجالس عليه ، وسيبقى ذلك فينا جميعا الى ان يرث الله الارض ومن عليها .

ان محمد الخامس حمل العبء وادى الامانة ودافع عن الحق وانتصر له وايده الله بروح منه في مواقفه الجريئة ، فكم من كاتب حرك قلمه في مدح هذا الداعية الاسلامية والمحرر الاكبر والمجاهد العظيم ، وكم من خطيب لهج لسانه بالذكر الجميل لهذا السلطان الثائر على الظلم والطغيان دفاعا عن الحق وانتصارا للعدل ، وكم من شاعر اضفى على شعره حلة من الجمال بالاشادة بما صنعه محمد الخامس وما قام به من اعمال هي فخر لتاريخ الامة العربية والاسلامية ، ولا باس اذ ذكرنا على سبيل المثال قصيدة لاحد ادباء وعلماء وشعراء الصحراء المغربية لواحد من خريجي مدرسة الصماره هو الاستاذ ماء العينين بن العتيق حفيد شيخنا الشيخ ماء العينين والذي قال في حقه الاستاذ عبد الوهاب ابن منصور في كتابه : (مناقب اهل الصحراء) ناشرا للقصيدة التي اردنا ذكرها هنا — قال الاستاذ عبد الوهاب بن منصور :

(هذا الشاعر بقي في احلك ايام الاستعمار وفيا لوطنه المغرب شديد التعلق بقائد مسيرته التحررية جلالة الملك المرحوم محمد الخامس مثله في ذلك مثل جميع ابناء الساقية الحمراء وسائر الصحاري التي تحتلها فرنسا واسبانيا وكان لا يدع فرصة تمر دون ان يغتنمها للاعراب بشعره عن هذا الولاء والاخلاص . كهذه القصيدة التي وجهها الى جلالته مشيدا بمآثره منوها بمفاخره ، وتليت خلال الاحتفال بليلة عيد المولد النبوي عام 1356 هـ موافق 1957 م :

بشر المنى بك أشرقت اعلامها
يشدو على فنن السرور حمامها

وحظائر العرفان منك تنسمت
ارواحها وتبسمت اكمامها

زانت امامتك الزمان وكيف لا
تزداد ازمنة وأنت امامها

لم تبق من رتب الكمال مزية
الا وأنت ملاكها وقوامها

لله درك يا ابن يوسف من فتى
يرعى به للمكرمات ذمامها

انت المليك الكامل الكرم الذي
نجلتك من غر الملوك كرامها

أجدادك الصيد الغطارفة الاولى
غبطت بها الغرب العراق وشامها

موفورة اعراضها مبذولة
اموالها موصولة ارحامها

وحميدة اخلاقها وسديدة
اراؤها وحديدة افهامها

فمحل ايطان السماحة راحها
ومحل تيجان الخلافة هامها

ترك العلى لبنيه اسماعيلها
ارثا واورثها بنيه هشامها

حتى جلست على اريكة عرشها
ملقى اليك عنانها وزمامها

تعنو لمنبرك الاكابر هيبة
ان الاسود مهيبة آجامها

لم تحك في فخر الجدود ومن يرم
فخر النفوس فما سواك عصامها

اسهرت جفنك في تدابير الامـ
ـور فاصبحت بك متقنا ابرامها

وكفيت ما تشكو الرعية فانجلت
لاواؤها بك وانتفت اسقامها

وتعلمت جهالها فتبت وتأدبت
اجلافها وتيقظت نوامها

غنيت بسيبك عن بعولتها ايا
ماها وعن آبائها ايتامها

كم من مدارس في العلوم نشرتها
نثرت ثناءك في الورى اقلامها

ومساجد شيدتها وعمرتها
اضحى بفضلك حاكما احكامها

وكم اعتصمت بسنة الهادي فلم
تقبل سوى ما تقتضي أحكامها

وكم احتفلت بعيد مولده بل الاعيـ
ـاد عندك هذه ايامها

فاهنأ بها من ليلة طابت نسوا
فحها بجدك واستنار ظلامها

هي ليلة القدر الولادي التي
عم البرية خيرها وسلامها

هل في الليالي ما يوازي ليلة
عن طلعة المختار زيح لثامها

من حبه بالغت في تعظيمها
او ليس من تعظيمه اعظامها ؟

احبب بها من مدحة نبوية
باتت تدار بمنتداك مدامها

ما انت الا البدر في هالاته
لما احاط بجانبيك ندامها

فلقد رقيت سنام كل مكانة
في المجد عز المرتقين سنامها

ونثرت كل يتيمة للمجتدي
فبدا بمجدك للمجيد نظامها

ودعت فواضلك الوفود فلم ترم
تترى اليك فيستفاد مرامها

وولي عهدك يقتفيك ، فنفسه
عن رسل مجدك يستحيل فطامها

انتم قديما سادة أبناؤكم
ما ان تزل عن الركم اقدامها

ما ذا اعدد من خلالكم التي
لا يستطاع كمالها وتمامها

ان محمد الخامس حرر المغرب واحياه وقدمه وطور الحياة فيه وسلك به السبيل التي تؤدي الى الكمال المنشود ، وخطط لتحرير شعوب افريقيا وكون منظمة الوحدة الافريقية هو واقطاب افريقيا الاحرار الحكماء وبلور في الشعوب العربية والافريقية والدول الاسلامية روح التضامن والتعاون والبناء وتضافر الجهد من اجل الدفاع عن الحقوق الانسانية وحارب الظلم والطغيان بايمان المسلم في مشروعية ما يدافع عن تحقيقه . فكان مثلا اعلى وقدوة مثلى وداعية اسلامية عظمى ، ومنقذا أكبر للعروبة والاسلام ، فنشر الفضيلة وحارب الرذيلة وناصر الحق وايده الله بنور منه ، وحارب الظلم والمكر وانتصر عليهما ، فكان خليفة لجده سيد الكونين وباعثا لنهضة الاسلام والمسلمين وحاميا لحمى الوطن الدين . ولما استاثره الله برحمته وادخله فسيح جناته . كان خلفه ووارث سره ورفيقه في الكفاح واجه ما يعانيه الشعب من مخلفات الاستعمار من جهل وتخلف واحتلال لباقي الاجزاء التي لم تحرر ، فانتشرت المدارس والكليات والجامعات في جميع ربوع المملكة ، ومات الجهل في هذا الشعب باحياء العلم وتلقينه لجميع طبقات الامة ، وشيدت المساجد والمعاهد الدينية واحدثت دار الحديث الحسنية لتدريس علوم الحديث والقرءان ، وازدهرت العلوم الاسلامية ايما ازدهار ، وحورب الفقر فبنيت السدود ، ونوعت الفلاحة حتى صارمردودها يفيض على حاجيات الشعب ،وانتشرت المعامل الصناعية في كثير من المدن والجهات الاقتصادية ، فاعطت للشعب المتطلبات التي تجعله يتمتع باقتناء ما يكفيه محليا .

كل هذا تحقق في ظرف وجيز من الزمن بالتخطيط المدروس ، وقد واجه أعزه الله الاستعمار واذنابه حتى حرر باقي الاجزاء المغتصبة فنال الشعب ما كان يتطلع اليه من الرفع في جميع المستويات الاقتصادية والاجتماعية والعلمية ، وتحرير باقي الاجزاء التي كانت مغتصبة فاستكمل المغرب وحدته بفضل المسيرة الخضراء التي هي من وحي عبقرية امير المومنين جلالة الحسن الثاني ، هاته المسيرة الظافرة التي شارك فيها جميع اقاليم المملكة فنال سكان جميع الاقاليم شرف المساهمة في المقاومة والنضال من اجل تحرير كل الاجزاء التي كانت مغتصبة فتمت الوحدة وعمت النعمة وارتاحت

نفوس الشعب وتحققت آماله ونال ما كان يصبو اليه تحت القيادة الرشيدة لجلالة الملك الحسن الثاني دام له النصر والتأييد ، فلقد نعم المغرب بهذا العرش العلوي المجيد ، وصان العرش كرامة الشعب واخلص الشعب للعرش ، وصار هذا التلاحم الالاهي سدا منيعا في وجه الاعداء والطامعين وحصنا حصينا من كيد الكائدين ومناورات أعداء الوطن والدين وكان هذا الاخلاص منبعثا من ارواح صافية وقلوب مخلصة ونفوس شعب طافحة بالحب لملوك عادلة ومنحدرة من دوحة نبوية عمت هدايتها البشرية ؛ فربت القلوب وقومت النفوس وانقذت الانسانية وزرعت في قلوبها الهداية .

نسب كان عليه من شمس الضحى
نورا ومن فلق الصباح عمود

اخواني اخواتي في الله ، ها انا قصرت القلم على هذا النزر اليسير من ذكر جانب من جوانب جهاد فقيد العروبة والاسلام جلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه وجعله في اعلى عليين مع النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا ، لان الموضوع خصب .

والله ارجو أن يؤيد بروح منه ويكلأ ويحرس بعينه التي لا تنام خلفه وباعث نهضة الاسلام والمسلمين أمير المومنين وحامي حمى الوطن والدين جلالة الملك الحسن الثاني دام في حرز السبع المثاني واقر عينه بولي عهده وبجميع أفراد الاسرة الملكية أنه سميع مجيب الدعاء .

أسباب انتشار المذهب المالكي واستمراره بالمغرب

للدكتور عباس الجراري

لا يخفى أن اجتهاد المسلمين الاوائل في ممارسة الحياة السياسية والفكرية لدولة الاسلام التي اتسعت رقعتها بفتوح البلدان وانضواء شعوب هذه البلدان تحت لواء الدين الجديد ، اتاح لهم ان يواجهوا قضايا عدة فرضتها الظروف الطارئة التي كانت تواكب عملية الاتساع والانتشار ، وما كانت تولد من احتكاك وصراع اغنيا الفكر الاسلامي وامداه بتجارب تتسم في غالبها بالايجابية ، على الرغم مما افضت اليه في بعض الاحيان من سلبيات . وهي تجارب متعددة الجوانب ، ترتبط ابعادها بكل مقتضيات الحياة . ويمكننا ان نذكر منها :

اولا : بعدا سياسيا تمثل في مشكل الخلافة . وقد واجهه المسلمون منذ وفاة الرسول عليه السلام، ثم تطور بعد مقتل عمر بن الخطاب ليفضي في عهد عثمان بن عفان وعلي الى ازمة ادت في ايام ابن ابي طالب الى انقسام الخلافة شطرين : احدهما في العراق والجزيرة يدين لعلي ، والثاني في الشام ومصر خاضع لمعاوية ، كما ادت الى ظهور الخوارج.

واتسع نطاق هذه الازمة بعد انفراد معاوية بالامر ، وما ترتب عن تحرك ابني علي — والحسين خاصة — من معاناة كان طبيعيا ان تفرز تنظيما شيعيا لم يلبث ان شكل مع حركة الخوارج حزبي معارضة للدولتين الاموية والعباسية على السواء .

ثانيا : بعدا عقديا متمحورا حول ما سمي بعلم الكلام ، وهو علم يدور حول أصول العقائد الاسلامية لاثباتها والدفاع عنها ضد الآراء المخالفة لها بالحجج العقلية .

والحقيقة ان المسلمين لم يكونوا محتاجين الى هذا العلم اول الامر ، لعمق ايمانهم واقتدائهم بالرسول واعتمادهم على العمل اكثر من اعتمادهم على الجدل والمناقشات النظرية . ولكنهم شغلوا به بعد ان انقسموا الى فرق واحزاب ، وبعد أن اخذ النزاع صبغة عقدية ربطت الموقف من الخلافة عند تلك الفرق والاحزاب بقضية الايمان والكفر .

وينطلق علم الكلام من جانبين : أحدهما نقلي قائم على ثبوت شرعي يقيني للمبادىء العقدية ، والثاني عقلي يهدف الى البحث عن الادلة التي تكشفها هذه المبادىء وتدافع عنها . ومن ثم نشأ الخلاف حول الكلام بين فريقين :

1 — الذين يرون ضرورته ، معتمدين على أن القرءان نفسه يدعو الى الجدل العقلي ويحث عليه للاثبات والاقناع . وهو الخط الذي سار فيه المعتزلة ، مثيرين بذلك مباحث تتعلق بصفات الله وبالقضاء والقدر ومصير الانسان وحريته وبقضايا العدل والوعد والوعيد .

2 ـ الذين يقفون ضده ، لانهم يرون انه لا داعـي لادلة عقلية في اثبات شيء قررته العقيدة ، لا يحتاج لغير الايمان به . ومعظم هؤلاء من اهل السنة ، وان اتجـه بعضهم فيمـا بعـد الى استحسان الخوض فيه ، لا سيما مع اتجـاه الاشعري الذي صاغ العقيدة صياغـة عقليـة وافقت من كان من اهل السنة ميالا للجـدل والنقـاش .

ثالثـا : بعدا فقهيا بدا باجتهـاد الصحابـة والتابعين في القضايا والنوازل التي طرات عليهـم وليس فيها نص صريح من الكتاب والسنة . واتضحت من هذا الاجتهاد المبكر او بـدات تتضـح ملامـح مدرستين فقهيتين :

احداهما : في المدينة يميزها فقه الاثر ، مـن حيث ان فقهاءها لا ياخذون بالراي الا اضطرارا وعند الضرورة ، مع اتباع لجانب المصلحة .

والثانية : في العراق ، يطبعهـا فقـه الراي ، ويعمد فقهاؤها الى الاجتهاد كلما اعوزهم النـص ، سالكين فيه جانب القياس مع تماد عندهم في بعـض الاحيان يعتمد على الافتراض والتقدير .

ثم اتسع نطاق الاجتهاد بعد التابعين على يـد الفقهاء الائمة ، وكان فيهم من ادركهم واخـذ عنهـم سواء في هذه المدرسة او تلك ؛ فقد اخذ ابو حنيفة عن اساتذة من فقهاء الراي كابراهيم النخعي والشعبي وعطاء بن أبي رباح . واخذ مالك عن تلاميذ ابن عمـر كابنه سالم ، وكنافع ، فضلا عن كبار التابعين الذيـن كانوا بالمدينة ، وفي طليعتهم سعيد بن المسيـب الذي اخذ عن ابن شهاب تلميذ عمر بـن الخطـاب ، وقاسم بن محمد بن ابو بكر الصديق الذي روى عـن عمته عائشة أم المومنين .

والحق أن ظروفا كثيرة جدت ، هي التي حثـت هؤلاء الائمة على التفكير في حماية الفقه ممـا قـد يداخله من شوائب ، وبدراسته وتقعيده والاجتهـاد فيه ؛ منهـا :

1 ـ ظهور قضايا ومشاكل ونوازل لم تكن مطروحة مـن قبـل .

2 ـ انتشار ظاهرة الوضع والكـذب في مجـال الحديـث .

3 ـ ابتداعات الفرق والاحزاب ، وخاصة ما يتصل منها بفقه الشيعة والخوارج الذي كان يقابـل فقه الجماعة او فقه السنة .

وتجدر الاشارة الى ان اختلاف الائمة المجتهدين لـم يكن يمس جوهر الشريعة ، ولكنه كـان يمس فهـم بعض النصوص وتطبيق كلياتها على الفروع .

* * *

كان طبيعيا ـ بعد ان تم فتح المغرب على يـد عقبة بن نافع ابتداء من سنة 61 هـ ، ثـم على يـد موسى بن نصير ابتداء من سنة 79 هـ ـ أن تقـوى أواصر اتصاله بالمشرق الذي اخذت اصداء أحداثه تتردد فيه بكل ابعادها السياسية والعقدية والفقهية .

ففي المجال السياسي كان الاضطهاد الـذي مارسه الامويون على الخوارج ولا سيما في عهد عبد الملك وابنه هشام يحثهم على الفرار من قبضة الدولة ومحاولة نشر مبادئهم في الامصار ؛ وكذلك كان الامر في عهـد العباسييـن .

وهكذا وفدت على المغرب والشمال الافريقـي عامة فئات هؤلاء الخوارج ، وخاصة منها الاباضيـة والصفرية ، من امثال سلمة بن سعد الاباضي الـذي يعتبر من الصع القادمين ؛ فضلا عن اتصال بعض البربر بزعماء المذهب الخارجي في المشرق ، ومن اولهـم ابو داود وعبد الرحمن بن رستم اللذان اخذا عن ابو عبيدة مسلم بن ابو كريمة امام الاباضية في العراق .

ويبدو ان مبادىء الخوارج وافقت مزاج البربر وناسبت وضعهم السياسي والاجتماعي ، اذ كانـوا يعارضون به كل من يحاول ان يفرض عليهم سيادة تقوم على التمييز . فقد كانوا موزعين بين امرين :

اولهمـا : رغبتهم في الدين الجديد لاقتناعهم به واختيارهـم لـه .

ثانيهمـا : تضايقهم من المسؤولين العـرب الوافدين وما كان يطبع سلوكهم ـ والدولة الامويـة عامة ـ من سمات العنصرية والقبلية .

وليس يخفى ان الهدف عند قادة جيوش الفتح وعند الولاة كان ـ بعد نشر الاسلام ـ يتمثل في الجانب العسكري والاداري فضلا عن جمع الاموال والغنائم والاسلاب . وربما بالغ بعضهم في ذلك ، على حد ما فعل عمر بن عبد الله المرادي عامل طنجة، فقد « تعدى في الصدقات والاعشار واراد تخميس البربر وزعم انهم فيء المسلمين ، وذلك ما لم يرتكبه عامل قبله » (1) .

ولا شك ان مثل هذه السياسة اثارت اضطرابا في العلاقات بين العرب والبربر ادى الى ظهور زعماء خوارج وطنيين كميسرة المدغري الذي قاد ثورة طنجة سنة اثنتين وعشرين ومائة ، وكان على راي الصفرية.

وتسنى للمذهب بذلك ان يكون له نفوذ حتى في الجنوب ، اذ تاسست امارة خارجية في سجلماسة بزعامة بني مدرار الذين كان يغلب على امرائهم المذهب الصفري الى ان تحولوا لمذهب السنة في عهد محمد ابن الفتح بن ميمون الملقب بالشاكر لله في اوائل القرن الرابع .

وعلى الرغم من ميل المغاربة الى مبادىء الخوارج ، فانه لم يتح لهؤلاء ان يقوموا بدور في المغرب كالذي قاموا به في بقية بلاد الشمال الافريقي (2) ، حيث ظهرت زعامات من الفقهاء الذين تمكنوا من الوقوف في وجه الدولة المركزية ومن اقرار حكم محلي في طرابلس والقيروان ثم المغرب الاوسط ؛ وكان في طليعتهم أبو الخطاب عبد الاعلى بن السمح المعافري الذي كانت له الرياسة في طرابلس الى ان قتله العباسيون ، وكان قد خرج في سجلماسة سنة 141 (3) ومنها توجه الى القيروان ثم طرابلس ؛ وهو الذي ساند عبد الرحمن بن رستم الى ان ثبته في القيروان ، لولا ان العباسيين طاردوه واضطروه الى الانتقال للمغرب الاوسط ، مما اتاح له ان يقيم دولة في تاهرت التي ستصبح مركز الخوارج الاباضية في الشمال الافريقي ، لا سيما بعد ان انتهت زعامتهم في طرابلس .

وكما وفد الخوارج على المغرب ، فكذلك وفد الشيعة فارين من الاضطهاد الذي كانو يعانون منه سواء في عهد الامويين او العباسيين ؛ وكان لهم دور كبير فيه بالقياس الى ما قام به الخوارج . ونرجح(4) ان يكون فشل هؤلاء في النهوض بدور كبير في المغرب ناتجا عن اقبال المغاربة على آل البيت ، في حب لهم واشفاق عليهم مما انزل بهم من نكبات .

وقد تجلى هذا الاقبال في الترحيب الذي لقيه المولى ادريس حين وفد الى المغرب فارا من وقعة فخ سنة تسع وستين ومائة في عهد الهادي العباسي، او مبعوثا قبل تاريخ هذه الوقعة بنحو عشر سنوات من لدن أخيه محمد بن عبد الله الذي كانت له مواجهات مع المنصور العباسي (5) .

وفي نطاق الترحيب الذي لقيه ، تنازل له اسحق بن عبد الحميد الاوربي عن امارته في وليلي وبايعه ودعا القبائل ان تبايعه .

واذا كان المولى ادريس لم يحاول نشر المبادىء الشيعية في المغرب كما سنرى بعد ، فان زعماء شيعة آخرين قد حاولوا ذلك على حد ما فعل عبد الله المهدي الفاطمي الذي تسنى له أن يؤسس بمساندة داعيته ابو عبد الله الصنعاني المعروف بالشيعي دولة مذهبية حاولت ان تفرض نفوذها على جميع الشمال الافريقي بدءا من القيروان الى سجلماسة ؛ دون ان ننسى دولة الموحدين التي اسسها المهدي بن تومرت والتي اقامها على مذهب يستند في بعض جوانبه الى مبادىء الشيعة الامامية، وهو موضوع سنعود اليه بعد .

ولم تكن مبادىء الخوارج والشيعة وحدها التي انتقلت الى المغرب والشمال الافريقي ، ولكن انتقلت كذلك افكار المعتزلة ، اذ يبدو أن واصل بن عطاء بعث اصحابه للامصار ينشرون مذهبه ؛ وكان من بينهم عبد الله بن الحارث الذي ارسله الى افريقية ؛ وقد « كان مجمع الواصلية قريبا من تاهرت ، وكان

(1) البيان المغرب لابن عذارى ج 1 ص 52 (ت. كولان وبروفنسال . دار الثقافة ـ بيروت) .
(2) انظر وحدة المغرب المذهبية ص 12 ـ 13 (لصاحب البحث ط. الدار البيضاء 1976) .
(3) البيان المغرب ج 1 ص 71 .
(4) انظر وحدة المغرب المذهبية ص 13 .
(5) حسب ما أورد الاشعري في مقالات الاسلاميين ج 1 ص 145 (الطبعة الاولى 1369 هـ ـ 1950 م)

عددهم نحو ثلاثين الفا في بيوت كبيوت الاعـراب يحملونها » (6) . ثم انه لا شك ان وفود العلماء الذين كانوا يغدون من العراق كانوا يحملون معهـم مبادىء الاعتــزال .

ولقد ظهر من بين العلماء الافارقة بعض المعتزلة، ربما كان في طليعتهم سليمان الفراء . بل ان بعـض المؤرخين تحدثوا عن اعتزالية بعض زعماء القبائــل كاسحق بن الحميد الاوربــي الــذي وصفــوه بالمعتزلــي (7) .

وغير خاف بعد هذا ان دولة الاغالبـة كانـت تنتصر لآراء الاعتزال ؛ وان دولة الموحدين كانـت كذلك ، بدفاع المهدي عن العقيدة بالحجج العقليـة ، وتحليله فكرة تنزيه الله ، ودعوته الى تأويل المتشابه.

اما في الميدان الفقهي ، فيبدو ان « افريقيـة كان الغالب على اهلها السنن الى ان قدم اليها عبـد الله بن فروخ ابو محمد الفارس فنقل اليها مذهـب ابي حنيفة » (8) . وبالفعل ، فقد « كان مذهب ابـي حنيفة رضي الله عنه بافريقية اظهر المذاهب فحمل المعز ... جميع اهل المغرب على التمسك بمذهب الامام مالك بن انس رضي الله عنه وحسم مادة الخلاف في المذهب واستمر الحال في ذلك الى الآن » (9) . وعند عياض متحدثا عن المذهب الحنفي انه « دخـل منه شيء قديما بجزيرة الاندلس وبمدينة فاس » (10) ربما لانه من أول المذاهب الفقهية التـي ظهـرت ، ولوجود تلاميذ مباشرين لابي حنيفة كعبد الله بـن المغيرة ، ووجود علماء متحمسين له كابن ابي الجواد الذي « كان يذهــب الى راي الكوفييــن ويقــول بالمخلــوق » (11) ، دون ان تنسى دور أسد بـن الفرات ، ودون ان تنسى كذلك انتشار المذهب في عهد الاغالبة لعلاقتهم مع العباسيين .

ويذكر عياض كذلك ان « افريقية وما وراءها من المغرب ... كان الغالب عليها في القديم مذهـب الكوفيين الى ان دخل علـي بن زيـاد وابن اشرس والبهلول بن راشد وبعدهم أسد بن الفرات وغيرهـم بمذهب مالك فاخذ به كثير من الناس . ولم يـزل يفشو الى ان جاء سحنون فغلب في ايامه وفض حلق المخالفين واستقر المذهب بعده في اصحابه فشاع في تلك الاقطار » (12) .

ثم انه « كان بالقيروان قوم قلـة في القديـم اخذوا بمذهب الشافعي » (13) ، « ودخل شيء منه بلاد افريقية والاندلس باخرة بعد الثلاثمائة » (14) . ومن فقهائه ابو العباس الفضل بن نصـر الباهـي المعروف بالرايس (15) ، وأبو عثمان سعيـد بـن الحداد الذي « صحب اول حاله سحنون وسمع منه ونزع آخرا الى مذهب الشافعي من غير تقليد له بل كثيرا ما يخالفه ويعتمد على النظر والحجة » (16) . وقد ذهب بعض الدارسين (17) الى أن المنصـور الموحدي تحول الى المذهب الشافعي ، وهو راي لا اساس له ، وقد ناقشناه في دراسات سابقة (18) .

ويعتبر مذهب داود الظاهر من المذاهب التي كان لها صدى ولو انه خافت ، اذ « قال به قوم قليل بافريقية والاندلس » (19) ، قبل أن يفشيه ابن حزم

---

(6) معجم البلدان ج 2 ص 8 (مادة تاهرت) ـ ط. دار صـادر ـ بيـروت .
(7) انظر المسالك والممالك للكبرى ص 118 (نشر دوسلان ـ الجزائر 1857) .
(8) الفقه على المذاهب الاربعة ص 27 (المقدمة) ـ ط. الثانيـة .
(9) وفيات الاعيان ج 5 ص 233 ـ 234 (ت. احسان عبـاس ـ بيـروت) .
(10) المدارك ج 1 ص 65 وانظر كذلـك الديبـاج ص 12 ـ 13 (ط. الاولى) .
(11) المدارك ج 4 ص 69 ـ 70 (نشر وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ـ المغرب) .
(12) المـــدارك ج 1 ص 25 ـ 26 .
(13) نــفس المصــدر ص 26 .
(14) نــفــه ص 66 .
(15) معالم الايمان للدباغ ج 3 ص 68 ـ 69 (تـونس 1320) .
(16) المـــدارك ج 5 ص 79 .
(17) هــو Henri daoust في كتابـه Les Schismes dans l'Islam ص 235 (Payot - Paris 1965)
(18) انظر : أبو الربيع الموحدي ابتداء من ص 45 ووحدة المغرب المذهبيـة ص 22 .
(19) المـــدارك ج 1 ص 66 .

في القرن الخامس بالدراسة والتأليف . وتجدر الاشارة الى أن المنصور الموحدي كان معجبا بابن حزم ، والى ان المهدي قبله تأثر ببعض مبادىء الظاهرية .

ولا يخفى بعد هذا ان اهل الاندلس كانوا « منذ فتحت على رأي الاوزاعي الى ان رحل الى مالك زياد ابن عبد الرحمن وقرعوس بن العباس والغاز بن قيس ومن بعدهم فجاءوا بعلمه وأبانوا للناس فضله واقتداء الامة به فعرف حقه ودرس مذهبه » (20) ، وكان قد « ادخل بها قوم من الرحالين والغرباء شيئا من مذهب الشافعي وابي حنيفة واحمد وداود فلم يمكنوا من نشره فمات بموتهم على اختلاف ازمانهم الا من تدين به في نفسه ممن لا يؤبه لقوله » (21) .

ولعل مذهب الاوزاعي كان معروفا كذلك في المغرب وبقية بلاد الشمال الافريقي بسبب الاتصال الذي كان مع الاندلس الاموية ، ولمجيء بعض العلماء الشاميين ، وخاصة ايام عمر بن عبد العزيز حين ولي اسماعيل بن ابي المهاجر و « بعث معه ... عشرة من التابعين اهل علم وفضل منهم عبد الرحمن بن نافع وسعد بن مسعود التجيبي » (22) وابو عبد الرحمن الحيلي واسماعيل بن عبيد الانصاري المعروف بتاجر الله وموهب بن حي المعافري وحيان بن ابي جبلة القرشي وابو تمامة بكر بن سوادة الجذامي وابو سعيد جعثل بن عاهان بن عمير (23) .

واذن ، فانه واضح ان المغرب تعرف في عهوده الاسلامية الاولى الى جميع التيارات السياسية والفكرية التي وفدت على الشمال الافريقي وتصارعت فوق أرضه بحدة وعنف في أحيان غير قليلة ؛ ومع ذلك فانه اختار الاتجاه السني ، واختار داخل هذا الاتجاه مذهب الامام مالك الذي عايش كل تلك التيارات ، واحتك بها واصطدم معها قبل أن يحرز انتصاره عليها ويصبح المذهب الذي أجمع المغاربة عليه ، اذ جمعهم في وحدة ساعدت على حفظ كيانهم الديني والوطني ، بعيدا عن النزعات الطائفية التي كثيرا ما تكون سببا في تفكك اوصال الشعب الواحد.

فما هي يا ترى اسباب هذه الظاهرة ؟ أي ما هي أسباب انتشار المذهب ؟ وما هي أسباب استمراره ؟ وقبل ذلك : ما هي أسباب أخذه بالفكر السني ؟

اولا : اسباب اخذ المغرب بالفكر السني :

1 ــ نعتقد في البدء (24) ان المغاربة كانوا في هذه المرحلة يميزون بين جانبين : الجانب العاطفي او العاطفي السياسي ، والجانب الفكري الديني العقدي التطبيقي . فهم في الاول يميلون الى الخوارج والشيعة ، يتعاطفون معهم ويرحبون بهم ويوسعون لهم ويساندونهم ؛ ولكنهم في الثاني يجدون انفسهم سنيين ، اي مع (أهل السنة) ؛ وهو مصطلح غامض على الرغم من شيوعه ، فقد « سأل رجل مالكا فقال : من اهل السنة يا أبا عبد الله ؟ قال : الذين ليس لهم لقب يعرفون به ، لاجهمي ولا رافضي ولا قدري » (25) .

والحقيقة اننا حين نقول عن المغاربة انهم سنيون ، نعتبر انهم من (اهل السنة والجماعة)، سواء في معناها العام الواسع الذي يطلق مقابل الشيعة ، أو في معناها الخاص الضيق الذي يقصد به الذين اهتدوا بسنة الرسول عليه السلام ، وسلكوا طريق الصحابة والتابعين في التسليم والتفويض والبعد عن التأويل ، ملتزمين كتاب الله وسنة رسوله واجماع الامة .

وتكاد تكون قضية الاستواء خير مثال يبلور هذا الاتجاه ، وهي تدخل في مجال الصفات التي أولها المعتزلة انطلاقا من موقف

---

(20) نفس المصدر ص 26 ــ 27 .
(21) نفسه .
(22) البيان المغرب ج 1 ص 48 .
(23) انظر رياض النفوس للمالكي من ص 64 الى 75 (ط. النهضة المصرية 1951) .
(24) انظر وحدة المغرب المذهبية ص 14 .
(25) المدارك ج 2 ص 41 .

التنزيه . فقد « سأل رجل مالكا فقال : الرحمن على العرش استوى ، كيف استوى يا ابا عبد الله ؟ فسكت مالك مليا حتى علاه الرحضاء ، وما راينا مالكا وجد من شيء وجده من مقالته ، وجعل الناس ينظرون ما يامر به ، ثم سرى عنه فقال : الاستواء عنه معلوم ، والكيف منه غير معقول ، والسؤال عن هذا بدعة ، والايمان به واجب ، واني لاظنك ضالا ، اخرجوه . فناداه الرجل : يا أبا عبد الله ، والله الذي لا اله الا هو لقد سألت عن هذه المسألة اهل البصرة والكوفة والعراق فلم اجد احدا وفق لما وفقت اليه » (26) .

ومصطلح (اهل السنة والجماعة) يشمل بهذا المعنى اصحاب المذاهب الاربعة ، وان ضاق فيما بعد ليختص او يكاد يختص به الاشاعرة . ولعلنا في غنى عن التذكير بما سبق ان قلنا في اول هذا البحث من أن الاشعري صاغ العقيدة صياغة عقلية وافقت من كان من اهل السنة ميالا للجدل العقلي ؛ وكان في ذلك قد اتخذ موقفا وسطا يكشف عنه مثلا رأيه المعتدل بين القائلين بالجبر والقائلين بالحرية والاختيار ، اذ رفض ان تكون الافعال من خلق الانسان كما يقول المعتزلة ، ولكنه اقر بقدرة الانسان على كسب هذه الافعال . ومعروف ان المغاربة يربطون بين سنيتهم ومذهب الاشعري في مجال العقيدة والتوحيد . بل ان تلك السنية طبعت عندهم حتى ميدان التصوف ، فوسمته بخصائص تعبدية تاثر فيها بالصوفي البغدادي ابي القاسم الجنيد القائمة طريقته على الكتاب والسنة .

وانطلاقا من الحقيقة التي بدانا بها هذه النقطة ، والمتمثلة في تمييز المغاربة بين الجانب العاطفي السياسي والجانب الفكري التطبيقي ، سوف لا نستغرب اذا وجدنا المولى ادريس في خضم صراعه واسرته مع العباسيين يسلك السبيل السني في المغرب ولا يحاول نشر المبادىء الشيعية ؛ ربما لانه اكتفى بايجاد كيان له ينطلق منه ، ولعله احس عدم استعداد المغاربة الذهني لتقبل تلك المبادىء ، دون أن ننسى زيدية الادارسة في الاصل ؛ وغير خاف ان الزيدية اكثر فرق الشيعية اعتدالا واقربها الى اهل السنة (27) .

ويتضح اتجاه الادارسة السني من خلال الرسالة التي وجهها المولى ادريس للبربر لدى قدومه ، والتي دعاهم فيها الى التمسك بالكتاب والسنة ، مستفزا غيرتهم الاسلامية لمواجهة الظلم النازل بآل البيت ، في تحميل للمسؤولية واثارة للمحبة والاشفاق عن طريق اخبارهم بما حل به وباسرته ، وفيها قال :

« ... ادعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، والى العدل في الرعية ، والقسم بالسوية ، ورفع المظالم ، والاخذ بين المظلوم ، واحياء السنة واماتة البدعة ، وانفاذ حكم الكتاب على القريب والبعيد . واذكروا الله في ملوك غيروا ، وللامان خفروا ، وعهد الله وميثاقه نقضوا ، ولبني بيته قتلوا . واذكركم الله في ارامل احتقرت وحدود عطلت ، وفي دماء بغير حق سفكت . فقد نبذوا الكتاب والاسلام ، فلم يبق من الاسلام الا اسمه ، ولا من القرءان الا رسمه . واعلموا عباد الله أن مما اوجب الله على اهل طاعته المجاهدة لاهل عداوته ومعصيته باليد واللسان ... وقد خانت جبابرة في الآفاق شرقا وغربا ، وأظهروا الفساد وامتلات الارض ظلما وجورا ، فليس للناس ملجأ ولا لهم عند اعدائهم حسن رجاء ، فعسى أن تكونوا معاشر اخواننا من البربر اليد الحاصدة للظلم والجور ، وانصار الكتاب والسنة القائمين بحق المظلومين من ذرية النبيئين ، فكونوا عند الله بمنزلة من جاهد مع المرسلين ونصر الله مع النبيئين . واعلموا معاشر البربر اني اتيتكم وانا المظلوم الملهوف الطريد الشريد الخائف الموتور الذي كثر واتره وقل ناصره وقتل اخوته وأبوه وجده واهلوه ، فاجيبوا داعي الله فقد دعاكم الى الله ، فان الله عز وجل يقول : (ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض وليس له من دونه

(26) نفسه ص 39 .
(27) انظر وحدة المغرب المذهبية ص 15 .

اولياء) . اعاذنا الله واياكم من الضلال وهدانا واياكم الى سبيل الرشاد » (28) .

وقبل ان يختم دعوته عرف بنفسه وبنسبه الى ان اوصله الى الرسول عليه السلام .

على ان سنية الادارسة لم تقف عند هذا الحد ، بل تعدته الى اعتناق المذهب المالكي الذي سينتشر في عهدهم . ولعلنا هنا ان نذكر بالتعاطف الذي كان بين المولى ادريس والامام مالك ، وهو تعاطف يرجع الى أمرين : (29)

الاول : ان مالكا يروي في موطاه عن عبد الله الكامل والد ادريس .

الثاني : ان مالكا كان له موقف من العباسيين لصالح اخ ادريس المسمى محمدا والمعروف بالنفس الزكية ، حيث افتى عند قيام هذا الاخير بان بيعة ابي جعفر لا تلزم لانها كانت على الاكراه ، وضرب في ذلك كما هو معروف ؛ وكان قد افتى ببطلان الطلاق المكره وسقوط يمين الاكراه على العموم ، اعتمادا على الحديث النبوي : « ليس على مستكره يمين » .

2 ـ ونعتقد كذلك ان المغاربة بميولهم السنية القوية رفضوا مبادىء المذاهب الاخرى وقاوموها بشدة وعنف .

فبالنسبة للاعتزال لم تجد آراؤه اقبالا في الاوساط المغربية لما هي عليه من تعقيد فكري ونظر فلسفي لا يدخل في صميم العقيدة؛ فضلا عن ان المغاربة لم يكونوا مستعدين لذلك بعد ان وجدوا بغيتهم في اتباع الكتاب والسنة على اوضح وجه وابسطه .

ثم ان فقهاء المالكية في جميع اقطار الشمال الافريقي وقفوا ضد تسرب مبادىء المعتزلة ، وضد الذين يحاولون نشرها ؛ وربما عادوهم وكفروهم ورموهم باشنع التهم . ويكفي ان نذكر ان اسدا بن الفرات قال في حق بشر المريسي وكان يعتنق آراء الاعتزال وكتب في ذلك (كتاب التوحيد) : « أو جهل الناس التوحيد حتى يصنع لهم بشر فيه كتابا ؟ هذه نبوة ادعاها » (30) .

بل ان فقهاء المالكية ومعهم جماهير الامة اتخذوا موقف عداء من الدولة الاغلبية ، لانحيازها لفقه العراق ومبادىء المعتزلة ؛ وربما كان لهذا الموقف اثر في انهيار الدولة .

اما بالنسبة للفكر الخارجي فعلى الرغم من انسجامه مع ميول المغاربة ، باعتباره يوافق طبيعتهم الاستقلالية ورفضهم كل سيادة تحاول ان تفرض هيمنتها العنصرية عليهم ، وباعتبار الدور الذي كان له في افهامهم حقيقة مبادىء الاسلام وحقيقة اسلوب الحكم فيه خاصة (31)، فانهم لم يلبثوا ان تراجعوا عنه تحت تأثير حبهم القوي لآل البيت ، فضلا عن التصفية التي حدثت للخوارج على يد الفاطميين الذين طاردوا الاباضية وحاربوهم بعد ان كانوا في عهد الاغالبة يتمتعون بشبه استقلال ذاتي داخلي ؛ دون ان ننسى قول الخوارج ببعض المبادىء التي يرفضها المغاربة ، كالطعن في عثمان ابان المرحلة الثانية من خلافته ، والطعن في علي بعد قبوله التحكيم والمبالغة في ذلك الى حد تكفيره والحكمين وكل من قبل التحكيم، وكذلك الطعن في اصحاب الجمل طلحة والزبير وعائشة وتكفيرهم ، وكذا تكفير الامويين والعباسيين ؛ علما بان الاباضية وحتى الصفرية يعتبرون اقل الفرق الخارجية غلوا .

واما بالنسبة للشيعة ، فما كان المغاربة ليرتاحوا لهم او ينسجموا معهم ، لاعتمادهم على مبدا التاويل وعلم الباطن ، ولان سلوكهم المثير

---

(28) الوثائق ـ المجلد 1 ص 40 ـ 41 ـ 43 (المطبعة الملكية ـ الرباط) .

(29) انظر وحدة المغرب المذهبية ص 15 ـ 16 .

(30) رياض النفوس ج 1 ص 182 .

(31) انظر الادب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه ج 1 ص 45 ـ 46 (لصاحب البحث ط. دار المعارف ـ الرباط 1979) .

كان داقعا للفقهاء والجمهور الى اتخاذ موقف خصومة وعداء .

ويكفي للدلالة على هذا السلوك ان تشير الى ما كان يصدر عن عبيد الله (32) في خطبه ، فقد خطب بعد ان تمكن من القضاء على بني مدرار في سجلماسة سنة 296 و « اظهر ... التشيع القبيح وسب أصحاب النبي صلى الاله عليه وسلم وأزواجه ... وزعم ان اصحاب النبي عليه السلام ارتدوا بعده » (33) ولم يستثن منهم الا ابن ابي طالب والمقداد بن الاسود وعمار ابن ياسر وسلمان الفارسي وابا ذر الغفاري .

كذلك « منع عبيد الله الفقهاء الا يفتوا الا بمذهبهم الذي ينسبونه الى جعفر بن محمد ويسمونه مذهب اهل البيت ... وغلظ الامر على المالكية من هذا الحين ومنعوا من المجلس والفتيا ، فكان من ياخذ عنهم ويتذاكر معهم انما يكون سرا وعلى خوف وريبة » (34) .

واذا كان بعض الفقهاء الافارقة قد مال للفاطميين حتى غدا من دعاتهم ، ونعني القاضي ابا حنيفة النعمان الذي اخذه معه المعز الى مصر ، وكان يعد حجتهم في المذهب ، فان جمهور الفقهاء كان يتخذ موقفا مضادا على غرار ما فعلوا مع أبي عبد الله الشيعي ، فقد « اظهر الفقهاء لعنه والبراة منه وحرضوا الناس على قتاله وافتوهم بمجاهدته » (35) . وذهب بعضهم في هذا الموقف الى مدى بعيد كابن التبان الذي رفض الدخول في المذهب الشيعي وقال لداعيه : « لو نشرتني في اثنين ما فارقت مذهب مالك » (36) .

ويذكر في الكشف عن موقف الفقهاء أنه « لما وصل عبيد الله ... الى رقادة ارسل الى القيروان من اتاه بأبي اسحق ابراهيم بن محمد المعروف بابن البرذون وبابن هذيل ، وكانا من العلماء الخاشعين لله ، فلما وصلا اليه وجداه على سرير ملكه جالسا ، وعن يمينه ابو عبد الله الشيعي الذي ولاه الملك وسلم له فيه، وعن يساره ابو العباس اخوه ؛ فقال لهما ابو عبد الله واخوه : اشهدا ان هذا رسول الله ، فقالا جميعا بلفظ واحد : والله الذي لا اله الا هو لو جاءنا هذا والشمس عن يمينه والقمر عن يساره ويتطقان فيقولان انه رسول الله ما قلنا انه هو. فامر عبيد الله ... عند ذلك بذبحهما وربطهما في اذناب الخيل وان يشق بهما سماط القيروان ، ففعل ذلك بهما » (37) .

ومن انحرافهم ما يكشف عنه هذا الحديث الذي دار بين أبي عبد الله الشيعي والفقيه أبي عثمان سعيد بن الحداد ، حيث « قال ابو عبد الله ... القرءان يخبر ان محمدا ليس بخاتم النبيين في قوله : ولكن رسول الله وخاتم النبيين ، فخاتم النبيين غير رسول الله . فقال ابو عثمان : هذه الواو ليست من واوات الابتداء وانما هي من ادوات العطف مثل قوله تعالى : هو الاول والآخر والظاهر والباطن . وقال له مرة اخرى : ان الله اخبر ان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يرتدون ، لقوله : افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم . فقال ابو عثمان : هذا انما هو على الاستفهام كقوله سبحانه : افان مت فهم الخالدون » (38) .

وبلغ الانحراف الديني مداه حين « ادعى الحاكم من بني عبيد الله الربوبية وجعل رجلا سماه بالهادي يدعو الناس الى ذلك ، وادعى

(32) يبدو ان اصرار المغاربة على ان يدعوا عبد الله المهدي بصيغة التصغير (عبيد الله) داخل في نطاق موقفهم منه .
(33) البيان المغرب ج 1 ص 159 .
(34) تراجم اغلبية ص 393 (استخرجها محمد الطالبي من مدارك عياض ــ تونس 1968) .
(35) البيان المغرب ج 1 ص 137 .
(36) معالم الايمان ج 3 ص 14 .
(37) البيان المغرب ج 1 ص 282 ــ 283 .
(38) نفس المصدر .

معد منهم النبوة وجعل من نادى فوق صومعة جامع القيروان : اشهد ان معدا رسول الله » (39) .

وكتب حمزة داعي الحاكم كتابا « وقرىء بحضرة الحاكم ... على اهل مملكته ذكر فيه ... : الحمد لمولاي الحاكم وحده ، باسمك اللهم الحاكم بالحق . ثم تمادى فقال : توكلت على الاهي امير المومنين جل ذكره وبه نستعين في جميع الامور » (40) .

لهذا كله ، لا نستغرب من تحالف العلماء والفقهاء السنيين مع ابي يزيد مخلد الزناتي الخارجي ضد الشيعة ، ابتداء من سنة 332 هـ (41) . بل لقد قارنوا بين هؤلاء والخوارج ، في اثبات لزيغهم وتبرير لمحاربتهم، على حد ما روى ابن ناجي عن المالكي من ان ابا الفضل الممسي « رأى ان الخروج وقطع دولة بني عبيد فرض لان الخوارج من اهل القبلة ، لا يزول عنهم الاسلام ويرثون ويورثون ، وبنو عبيد ليسو كذلك لانهم مجوس زال عنهم اسم المسلمين فلا يتوارثون معهم ولا ينتسبون اليهم » (42) . وعنده ان « قتالهم افضل من قتال المشركين » (43) . وروى « ان ابا عبد الله الاجذابي سال ابا الحسن بن الحلاف الذي روى مقالة ابي الفضل الممسي في شان الفاطميين (قتالهم افضل من قتال المشركين) ساله مراجعا : انت سمعت هذا من ابي الفضل ؟ فقال : نعم . وقبله المالكي ، وهو بين ، لانهم كفار متصلون ببلاد الاسلام ويحكمون فيهم ما يريدون من قتل او ضرب او سجن او غير ذلك بخلاف كفار منفصلين عن بلاد الاسلام » (44) .

وقد بقي النفوذ الفاطمي متمثلا في بربر صنهاجيين هم بنو زيري الذين لم يتوقف المغاربة عن محاربتهم ، وخاصة في عهد يوسف ابن زيري ؛ وهو موقف سيخف في عصر المنصور الذي كان ميالا لسياسة المهادنة والمسالمة ؛ فقد قال : « ان ابي وجدي كانا ياخذان الناس بالقهر ، وانا لا آخذ احدا الا بالاحسان » (45) .

وقد كان لسياسة المنصور أثر في تجميع الفقهاء المالكيين لقواهم ، مما سيجعلهم ينتصرون ايام المعز بن باديس .

وتجدر الاشارة بالنسبة للمغرب (46) انه في اعقاب انهيار دولة الادارسة وبداية الغزو الفاطمي للشمال الافريقي في مستهل القرن الرابع ، ظهرت محاولات لاقامة مراكز شيعية هنا وهناك ، كما حدث في فاس نفسها حيث كان الفاطميون واعوانهم يقيمون حكم الائمة ولو في فترات متقطعة .

ويبدو ان المغرب في هذه الفترة كان موزعا بين قوتين او اتجاهين : الاموي الاندلسي وكان يواليه الزناتيون ، والفاطمي ويسانده الصنهاجيون . وكانت لهاتين المجموعتين من القبائل امارات حاجزة او عازلة من شانها ان تحول دون تسرب الخطر للطرف الآخر . وهذه ظاهرة نلاحظها حتى بعد عودة الادارسة فيما يسمى بدولتهم الثانية على يد القاسم كنون ، فقد كانوا يوالون الجهة المتغلبة، فهم مرة مع شيعة افريقية ، وهم مرة اخرى مع امويي الاندلس .

---

(39) نفسه وانظر كذلك ص 285 .
(40) نفسه ص 286 .
(41) انظر نفس المصدر ص 216 فما بعد .
(42) معالم الايمان ج 3 ص 34 .
(43) نفس المصدر .
(44) نفسه ص 35 .
(45) اتحاف اهل الزمان لابن ابي الضياف ج 1 ص 133 (تونس 1963) .
(46) انظر وحدة المغرب المذهبية ص 16 — 17 .

وتجدر الاشارة كذلك الى انه حتى منتصف القرن الخامس كانت توجد في المغرب مراكز شيعية ، وبالذات في مدينة تارودانت حيث كان يوجد « قوم من الروافض يقال لهم البجلية منسوبين الى عبد الله البجلي الذي كان قدم الى السوس حين قدم عبيد الله الشيعي لافريقية ، فاشاع هناك مذهبه ، فورثوه بعده جيلا بعد جيل وقرنا بعد قرن ، لا يرون الحق الا ما في ايديهم ، فقاتلهم عبد الله بن ياسين حتى فتح مدينتهم عنوة وقتل بها من الروافض خلق كثير ، فرجع من بقي منهم الى السنة »(47) .

ثانيا : أسباب انتشار المذهب المالكي

1 ـ لا شك ان انتماء (48) مالك للمدينة المنورة ، مركز الاسلام الاول وعاصمة الرسول عليه السلام ، جعل المغاربة ينظرون له من زاوية خاصة ، معجبين بعلمه وفضله ، ومقتنعين بانه اقرب الى روح الشريعة من فقهاء العراق او الشام او اي من الامصار ، ومفضليته بالتالي « لجمعه أدوات الامامة وتحصيله درجة الاجتهاد وكونه اعلم القوم بل اهل زمانه واصفاق اهل وقته على شهادتهم له بذلك وتقديمه . وهو القدوة والناس اذ ذاك ناس والزمن زمان ، ثم لاثر الوارد في عالم المدينة التي هي داره ، وانطلاق هذا الوصف والاضافة على السنة الجماهير له وموافقة احواله الحال الذي اخبر في الحديث عنه وتأويل السلف الصالح له انه المراد به » (49) .

والحديث المشار اليه هو قوله عليه السلام : « يوشك ان يضرب الناس اكباد الابل في طلب العلم فلا يجدون عالما اعلم من عالم المدينة » (50) .

ومن مظاهر الاعجاب بمالك وتقديره أن عبد الله بن غانم كان مرة يقرا الموطا مع جماعة ، فقال له احدهم : « ايعجبك هذا من قول مالك؟ فقام ابن غانم والقى الكتاب من يده وقال : او ليس وصمة علي في ديني وعقلي ان أرد على مالك قولة قالها ؟ والله لقد ادركت العبادالذين يتورعون . . . فما رايت بعيني أورع من مالك » (51) .

ويبدو لي ان في طليعة الصفات التي حببت مالكا الى المغرب امانته العلمية التي اكسبته ثقتهم ، وكانت هذه الامانة تتمثل في اعترافه الصادق بعدم درايته حين لا يهتدي الى جواب ، مهما كانت ظروف السؤال داعية

(47) القرطاس لابن ابي زرع ص 88 (ط. حجرية) والروافض من شيعة الكوفة الغالين ، ونستطيع ان نضعهم مع الامامية ، وهم الذين رفضوا بيعة زيد بن علي بن الحسين ، ولم يرضوا أن يخرجوا معه سنة احدى وعشرين ومائة ، بعد ان تبين لهم انه ينهى عن الطعن في الصحابة وانه لا يبرأ من الشيخين ابي بكر وعمر .

(48) قد يثار من اسباب اخذ المغرب بالمذهب المالكي اشتراك مالك مع العرب الوافدين في النسبة اليمنية اذ هو من ذي اصبح المنتسب لبني قحطان من اهل اليمن ، وكذلك معظم العرب الوافدين الى المغرب . واذا كان هذا الافتراض صحيحا الى حد بالنسبة للمغرب الاقصى ، فانه غير صحيح بالنسبة للاندلس او افريقية ، فضلا عن ان مثل هذه العصبية مستبعدة في مجال العقيدة والفقه.

(49) المدارك ج 1 ص 67 . وانظر من ص 80 الى 104 ما ذكره عياض حول جوانب تقدم مالك في باب الاجتهاد .

(50) انظر الكلام حول هذا الحديث في المدارك ج 1 ص 68 الى 74 . ولعل مما يدخل في نطاق تفضيل مالك لانتسابه الى المدينة ما ذكره المقدسي في احسن التقاسيم من ان فريقين من الحنفية والمالكية تناظرا يوما امام السلطان فقال لهم : من أين كان ابو حنيفة ؟ قالوا : من الكوفة . قال : ومالك ؟ قالوا : من المدينة . قال : عالم اهل المدينة يكفينا ، وامر باخراج اصحاب ابي حنيفة ، وقال : لا احب ان يكون في عملي مذهبان . (نشر شارل بيلا ـ الجزائر 1950) .

(51) المدارك ج 1 ص 158 ، وانظر كذلك رياض النفوس ج 1 ص 145 .

الى عدم الرد . فقد « سال رجل مالكــا عــن مسالة وذكر انه ارسل فيها من مسيرة ستــة اشهر من المغرب ، فقال له : اخبـر الــذي ارسلك انه لا علم له بها . قال : وما يعلمهاقال: من علمه الله . وساله رجل عن مسالة استودعه اياها اهل المغرب فقال : ما ادري ، ما ابتلينا بهذه المسالة في بلدنا ولا سمعنا احــدا مــن اشياخنا تكلم فيها ولكن تعود . فلما كان مــن الغد جاءه وقد حمل ثقله على بغلة يقودها فقال: مسالتي ؟ فقال : ما ادري ما هي ؟ فقال الرجل: يا ابا عبد الله تركت خلفي من يقول : ليس على وجه الارض أعلم منك . فقــال مالــك غيــر مستوحش : اذا رجعت فاخبرهــم انــي لا احسـن » (52) .

2 ــ لذلك ، ولما نتج عن تداخل الآراء والمذاهـب من اضطراب عقدي وفكري وسياسي ، اتجــه الفقهاء المغاربة وطلاب العلم منهم الى المشرق والى الحجاز خاصة ، للاخذ عن مالك وتلاميذه، بحثا عن الاسلام الواضح الصافي ، ورغبة في تلقي السنة عن تابعي التابعين ومن اتيح له ان يتعلم منهم ، بعيدا عن الشوائب والخلافات التي داخلت الدين في الامصار الاسلامية الاخرى ، نتيجة التطاحن السياسي وتفرق الآراء واختلاف المذاهــب .

ونرجح ان يكون هذا هو السبب في كون « رحلتهم كانت غالبا الى الحجاز ، وهو منتهى سفرهم ، والمدينة يومئذ دار العلم ، ومنها خرج الى العراق ، ولم يكن العراق في طريقهــم ، فاقتصروا على الاخذ من علمــاء المدينــة ، وشيخهم يومئذ وامامهم مالك وشيوخه مــن قبله وتلميذه ، فرجع اليه اهل المغرب والاندلس وقلدوه دون غيــره ممن لــم تصــل اليهم طريقة » (53) ، على انهم كانوا عارفين ــ كمــا رأينا ــ ببقية المذاهب ، بما فيها ما كان يفــد مــن العــراق .

ويذكر الرواة ان « رجلا من اهل المغرب جاء مالك بن انس فقال : ان الاهواء كثرت قبلنا فجعلت على نفسي ان انا رايتك ان آخذ بمــا تأمرني به . فوصف له مالك شرائع الاسلام : الصلاة والزكاة والصوم والحج ، ثم قال : خــذ بها ولا تخاصم احدا » (54) .

ويحق لنا هنا ان يذكر بانه « لما صــار مذهب كل امام علما مخصوصا عند اهل مذهبه، ولم يكن لهم سبيل الى الاجتهــاد والقيــاس فاحتاجوا الى تنظير المسائل والالحاق وتفريعها عند الاشتباه بعد الاستناد الى الاصول المقررة من مذاهب امامهم ، وصار ذلك كله يحتاج الى ملكة راسخة يقتدر بها على ذلك النــوع مــن التنظير او التفرقة واتباع مذهب امامهم فيهما ما استطاعوا ، وهذه الملكة هي علم الفقه لهــذا العهد ؛ واهــل المغــرب جميعــا مقلــدون لمالــك » (55) .

وقد تعددت الرحلــة من المغــرب الى الحجاز للاخذ عن امام دار الهجرة ، بدءا مــن سجلماسة التي روي « ان احد الاعلام بها ... اخذ عن الامام مالك بالمدينة ورجع اليها ودرس العلــوم بهــا » (56) .

اما على صعيد كل الشمــال الافريقــي والاندلس ، فقدرحل العديد من العلماء والفقهاء واخذوا مباشرة عنه ، ويذكر من الذيــن رووا عنه من الافارقة : (57) البهلول ابن راشد وعلي ابن زياد وابو مسعود عبد الرحيــم بن اشرس وعبد الله بن فروخ وابو محرز القاضي محمد بن عبد الله وعبد الله بن ابي حسان اليحصبــي وعبد الله بن غانم القاضــي . ويذكــر مــن

(52) المــــدارك ج 1 ص 180 ــ 181 .
(53) مقدمة ابن خلدون ص 440 (ط. الاميرية) .
(54) المــــدارك ج 2 ص 47 .
(55) مقدمــة ابن خلــدون ص 440 .
(56) الدرر البهية لادريس العلوي ج 1 ص 63 (ط. حجريــــة) .
(57) المــــدارك ج 2 ص 178 ــ 179 .

الاندلسيين : محمد بن يحيى النيسابوري وحفص بن عبد السلام السرقسطي وزياد بن عبد الرحمن المعروف بشبطون وجعفر بن محمد وسعيد بن عبدوس وسعيد بن ابي هند . يضاف اليهم (58) من الطبقة الاولى كذلك الغازي بن قيس ويحيى بن مضر القيسي وكذلك يحيى بن يحيى (59) .

وعند ابن القوطية(60) ان أول من ادخل مذهب مالك الى الاندلس هو الغازي ابن قيس أيام عبد الرحمن الداخل ، في حين يرى المقري أن زياد بن عبد الرحمن هو « أول من ادخل مذهبه الاندلس وكانوا قبله يتفقهون على مذهب الاوزاعي » (61) . وكان قد « سمع من مالك الموطأ ، ويعرف سماعه بسماع زياد » (62) .

اما بالنسبة للمغرب ، فيذكر عياض أن علي بن زياد « هو أول من ادخل الموطأ وجامع سفيان المغرب وفسر لهم قول مالك ولم يكونوا يعرفونه ، وكان قد دخل الحجاز والعراق في طلب العلم ، وهو معلم سحنون » (63) وكذلك معلم البهلول ابن راشد وأسد بن الفرات ، وان كانا قد رحلا الى الحجاز ، وكذلك رحل سحنون ، ولكن « كانت افريقية قبل رحلة سحنون قد غمرها مذهب مالك بن أنس لانه رحل منها اكثر من ثلاثين رجلا كلهم لقي مالك بن انس وسمع منه » (64) .

واستمر المذهب يزدهر بعد ذلك على يد جماعة من الفقهاء ، ابرزهم اسد بن الفرات الذي كان يمزج بين مذهبي أبي حنيفة ومالك كما يتضح من (الاسدية) التي يبدو فيها ميله الى النظر والاستدلال ، الا انه مع ذلك كان أميل الى اتباع امام دار الهجرة . ثم جاء سحنون فالف (المدونة) التي جاءت في الواقع لتدارك بعض ما جاء في (الاسدية) وتكميلها ؛ وهي في الحقيقة أهم كتاب في الفقه المالكي بعد الموطأ .

ويمكن القول بأن المذهب استقر نهائيا على مستوى العلماء والجماهير في افريقية ، ومنها انتقل الى الاندلس والمغرب ، او لعله استقر في افريقية والاندلس ، وعبرهما عرف ازدهاره في المغرب ، وغدا لشدة اقترانه وارتباطه به مذهبا مغربيا او يكاد .

3 ــ ذلكم أن تبادل الوفود والبعثات بين الاقطار الثلاثة كان يشكل عاملا من أهم عوامل ترسيخ المذهب على المستوى العامي ، خاصة بعد أن تأسس جامع القرويين في فاس سنة 245 هـ وغدا مركز اشعاع في المنطقة .

وقد سار هذا التبادل في اتجاهين :

أولهما : من المغرب الى القيروان والاندلس وكذا المشرق . ومن بين الذين يمثلونه في هذه المرحلة المبكرة دارس ابن اسماعيل (ت سنة 357 هـ) ، وأبو جيدة اليزناسني (ت سنة 365 هـ) ، وعبد الرحيم الكتامي المعروف بابن العجوز (ت سنة 413 هـ) .

ثانيهما : من الاندلس والقيروان الى المغرب . فبالاضافة الى الهجرات المتقطعة ، قصدت فاسا في هذه الفترة وفود منظمة كان فيها العديد من العلماء والفقهاء ، سواء من هذا الاقليم او ذاك . اما القيروانيون « وكانوا ثلاثمائة اهل بيت » (65) ، فقد وفدوا حوالي سنة

(58) المدارك ج 3 ص 114 و 126 .
(59) النفح ج 2 ص 9 و 46 (ت احسان عباس ــ بيروت) .
(60) افتتاح الاندلس ص 35 (ط مدريد 1926) .
(61) نفسه ص 45 .
(62) نفس المصدر
(63) المدارك ج 3 ص 80 .
(64) المدارك ج 4 ص 51 .
(65) الاستقصا ج 1 ص 73 (ط الاولى) .

189 هـ واقاموا في العدوه اليسرى وعمروها حتى عرفت بعدوة القرويين. واما الاندلسيون « وكانوا جما غفيرا يقال اربعة آلاف أهل بيت » (66)، فنزلوا بالعدوة اليمنى وعمروها حتى اصبحت تسمى عدوة الاندلس، وكانوا قد هاجروا من بلادهم على اثر ثورة الربض التي قامت ايام الحكم بن هشام سنة اثنتين ومائتين « لانه في صدر ولايته كان قد انهمك في لذاته، فاجتمع أهل العلم والورع بقرطبة مثل يحيى بن يحيى الليثي صاحب مالك واحد رواة الموطا عنه، وطالوت الفقيه وغيرهما، فثاروا به وخلعوه وبايعوا بعض قرابته، وكانوا بالربض الغربي من قرطبة وكان محلة متصلة بقصره، فقاتلهم الحكم فغلبهم وافترقوا، وهدم دورهم ومساجدهم، ولحقوا بفاس من ارض العدوة والاسكندرية من أرض المشرق » (67).

4 ـ اذا كنا في نقطة سالفة ـ هي الثانية في اسباب انتشار المذهب المالكي قد عقبنا على قول ابن خلدون الذي ذهب فيه الى ان المغاربة لم يتعرفوا الى غير فقه المدينة، معتبرا ذلك في طليعة اسباب اخذهم به، فلاننا نعرف ـ على حد ما كشفنا في مقدمة هذا البحث ـ انهم اطلعوا على أهم المذاهب الاخرى، بما فيها غير السنية، وقد ناقشناها في القسم الخاص من هذا البحث باسباب اخذ المغرب بالفكر السني، ونود ان نضيف ان من عوامل اقتناعهم بمذهب مالك وانتشاره بالتالي، ما عاشه مع بقية مذاهب السنة من احتكاك وصراع وما كان له تجاهها من مواقف انتهت بانتصاره.

فقد كان الفقهاء المالكيون ياخذون على الفقهاء الاحناف تواطؤهم مع امراء الدولة الاغلبية التي كانت قد اتخذت الحنفية مذهبا رسميا لها الى جانب الاعتزال، وما نتج عن هذا التواطؤ من سلوك تبريري جعلهم يتساهلون في اصدار الاحكام الشرعية، مسايرة منهم لحياة الترف والرفاه التي كان يعيشها الاغالبة تقليدا لخلفاء بغداد. ثم ان الفقهاء المالكيين عانوا من تعسف الاحناف في فرض بعض الآراء التي خالفوهم فيها كتحليل النبيذ الذي اضطر محمد ابن سحنون الى أن يؤلف كتاب (الاشربة) (68).

وقضية تحليل النبيذ جعلت ابن اللباد يقول: « بلغني ... ان رجلا اعرفه كان ينتحل مذهب ابي حنيفة راى في نومه النبي عليه السلام، فسلم عليه وصافحه، فاردت معانقته فاعرض عني، فقلت في نفسي: ما أراه الا لاستحلال النبيذ. فقال قائل: وددنا لو سالناه ما ينتحل، فقال عليه السلام: الا ان الحق في قول مالك ما يتعداه، فصار الرجل الى مذهب مالك وترك مذهبه » (69).

ومثل تحليل النبيذ قضية القول بخلق القرءان، وهو القول الذي مال اليه امراء الاغالبة وفقهاؤهم، تاثرا بالاعتزال. وقد اصابت سحنون من جراء ذلك محنة شديدة حين اراد احمد بن الاغلب ان يفرض القول بخلق القرءان واستدعى سحنون « وجمع له قواده وقاضيه ابن ابي الجواد وغيره، وساله من القرءان فقال سحنون: أما شيء ابتدئه من نفسي فلا، ولكني سمعت من تعلمت منه واخذت عنه كلهم يقولون: القرءان كلام الله غير مخلوق. فقال ابن ابي الجواد: كفر فاقتله ودمه في عنقي. وقال مثله غيره ممن يرى رايه. وقال بعضهم: يقطع اربعا ويجعل كل ربع بموضع من المدينة، ويقال هذا جزاء من لم يقل بكذا. فقال الامير لداود بن حمزة: ما تقول انت؟ قال: قتله بالسيف راحة ... ولكن قتل الحياة ياخذ عليه الضمناء، وينادي عليه بسماط

---

(66) نفس المصدر.
(67) النفح ج 1 ص 339.
(68) ذكره عياض في المدارك ج 4 ص 207.
(69) المدارك ج 2 ص 157.

القضاء المغربي وخواصه

(الفتاوى و النوازل و الوثائق)

للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله

القضاء : منصب ديني من متعلقاته الشورى وكان في كل عاصمة ولاية قاض للجماعة في عهد الموحدين وهو يتولى اختيار نوابه في مناصب القضاء المحلية وكان الخليفة الموحدي يعين قضاة الجماعة دون تدخل الولاة في كل من المغرب والاندلس وكان قضاة الاندلس أندلسيين في الغالب (1) .

وكان القضاء يتعطل مع العدل وانصاف الناس فقد مكث عمر بن الخطاب على القضاء طوال عهد أبي بكر الصديق ومكث سنة لا يأتيه رجلان (2) ولكن عادة الموحدين عندما كان ملكهم مبسوطا على تونس انهم لا يولون القضاء اكثر من عامين عملا بوصية عمر ابن الخطاب نفسه (3) . وذكر الابي في شرح مسلم انه حين كانت قاعدة مملكة الموحدين مراكش كان القضاة انما يأتون لتونس منها (4) في حين كان قضاة المغرب يختارون من سوس أيام السعديين (5) وخطة القضاء هي أعظم الخطط بالاندلس لتعلقها بأمور الدين وكون السلطان نفسه لو توجه عليه حكم حضر بين يدي القاضي وذلك في المدن الكبيرة ،

اما في الصغرى فالحاكم الشرعي فيها هو المسدد وقاض القضاة كان يسمى ايضا قاضي الجماعة (6) .

وكان عدد القضاة نحوا من خمسة عشر في مجموع المغرب وكان في كل من فاس ومراكش ثلاثة قضاة ولم يكن في القبائل سوى نواب عن القضاه ، اما في الجبال فان العرف هو السائد عدا تحكيم الشرع أحيانا ولم يكن اختصاصهم يتجاوز الاحوال الشخصية والالتزامات الناجمة عن الجنايات الدموية مع رعاية أموال اليتامى ومراقبة العدول ورجال التوثيق والعلماء والاشراف ورجال الدين ووكلاء الغياب والمشرفين على المواريث (بومواريث) ونظار الاحباس والمساجد ، وكان قاضي السماط بفاس يشرف على جامعة القرويين وهيئة العلماء فكان للقاضي بذلك دور سياسي هام ، لذلك كان تعيين القضاة يحاط بعناية خاصة ولم يكن حكم القاضي خاضعا لمراجعة محكمة استئنافية عدا رفع التظلم الى السلطان بواسطة وزير الشكايات لجمع العلماء والنظر في قيمة التظلم فقط دور اصدار حكم جديد

---

(1) البيان المغرب ق. 3 ص 129 و 231 .
(2) ابن الاثير ج 2 ص 161 .
(3) (تاريخ الدولتين ص 44) .
(4) الاعلام للمراكشي (طبعة 1974) ج 1 ص 68.
(5) تاريخ الدولة السعدية ص 25 .
(6) (نفح الطيب ج 1 ص 103) .

وفي نفس هذا النطاق يدخل قول ابن حـزم : « مذهبان انتشرا في مبدا امرهمـا بالرياسة والسلطان : مذهب ابي حنيفة فانه لما ولي قضاء القضاة ابو يوسف يعقوب صاحب ابى حنيفة... كانت القضاة من قبله ، فكان لا يولـي قضـاء البلدان من اقصى المشرق الى اقصى افريقية الا اصحابه والمنتمين اليـه والى مذهبـه ؛ ومذهب مالك بن انس عندنا في بلاد الاندلس ، فان يحيى بن يحيى كان مكينا عند السلطـان مقبول القول في القضاة ، فكان لا يلي قاض فى اقطار بلاد الاندلس الا بمشورته واختياره ، ولا يشير الا باصحابه ومن كان على مذهبه ، والناس سراع الى الدنيا ، فاقبلوا على ما يرجون بلوغ اغراضهم به ، على ان يحيى بن يحيى لم يـل قضاء قط ولا اجاب اليه وكان ذلك زائـدا في جلالته عندهـم وداعيـا الى قبـول رايـه لديهـم » (78) .

ومن مساندة الدولة للمذهب محاربتهـا المستمرة للاتجاهات المنحرفة التي من شانها ان تشوش عليه وعلى عقيدة المغاربة ، على حد ما فعل يوسف بن تاشفين حيـن قضـى على البورغواطيين ، والمولى اسماعيل حين حارب طائفة العكاكزة المنحرفـة ، وجلالـة الحسن الثاني حين وضع حدا للبهائيين ، وهم زائغون باجماع أهل السنة والشيعة .

نعود الى الملاحظة التي ابديتـا فى اول هذه النقطة حول الموحدين ، فقد وضع لهـم المهدي بن تومرت مذهبا مزيجا من الاماميـة والاشعرية والظاهرية والاعتزال وآراء الامـام الغزالي ، وهو مذهب انتهينا من دراسته (79) الى ان المهدي كان زعيما سياسيا قبل ان يكون مصلحا دينيا ، وانه لتحقيق هدفه في اقامـة دولة بعد نسف حكم المرابطيـن القائـم على المذهب المالكي ، توسل بالمذهبية الدينيـة ، ولكن في اتجاه آخـر . وتميـز في مذهبـه جانبيـن :

اولهما : سياسي وكان يسعى منه الى الاقنـاع بشرعيته والتثبيت لحكمه . وفيـه اعتمد على المبادىء الشيعية الامامية، ولا سيما العصمة والمهدوية ، واستغل في ذلك حب المغاربـة القـوي لآل البيت وعدم جدة الافكار الشيعيـة عليهـم .

ثانيهما : فكري ديني فقهـي تطبيقـي ، وكان المهدي فيه سنيا ، واكاد اقول مالكيا يسير على خط النخبة والجماهيـر .
ونعتقد ان اضطهاد الموحدين للفقهـاء المالكيين لم يكن بسبـب الخـلاف المذهبي الفقهي بقدر ما كان بسبـب الموقف السياسي الذي كان لهم مـن الدولة الموحدية ومن البدع التـي توسلت بها . ولعلنا نذكر ثورة الفقهاء في سبتة بزعامة القاضي عياض سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة . وقد تراجع الموحدون انفسهم عن مبادىء مذهب المهدي ، بدءا من المنصور الـذي حاول وضع كتاب مختار من كتـب الصحيح يلغي به كتاب المهدي ، الى المامون الذي نبذ العصمة والمهدويـة وفكر ابن تومرت عامة .

وبانتهاء الدولة الموحدية عاد المذهب المالكي الى سالف عهده ، بل عاد أقوى مما كان ، بمـا اكتسب من خبرة ومرونة اتاحتا له ان يطـرح نفسه وقضاياه في خط اجتهادي ، ومن خلال مقاييس جديدة ، في محاولة للتوفيق بين الحكم الشرعي وواقع الحياة المتحرك .

2 ـ ومع ذلك ، اي مع مساندة الدول التي تعاقبت على حكم المغرب للمذهب ، فمـا كان لـه ان يستمر لو لم يكن يحمل في طبيعته خصائـص ومقومات تساعده على ذلك . ويمكننا ان نذكـر في هذا الصـدد :

---

(78) وفيات الاعيان ج 6 ص 144 ـ 145 ، وانظر كذلك النفـح ج 2 ص 10 .
(79) انظر الامير الشاعر ابو الربيع سليمـان الموحدي (الفصل الاول من البـاب الاول ـ ابتداء مـن ص 11) ؛ وانظر كذلك وحدة المغـرب المذهبية ص 19 ـ 20 ـ 21 ـ 22 (ط. دار الثقافة ـ الـدار البيضـاء 1974) .

داره » (70) .

اما مذهب الشافعي فمن اسباب الابتعاد عنه ما ذكر المقدسي اذ قال : « رايت أصحاب مالك يبغضون الشافعي ، قالوا : اخذ عن مالك ثم خالفه » (71) وزاد بان « سائر بلاد المغرب الى مصر لا يعرفون مذهب الشافعي رحمه الله ، انما هو ابو حنيفة ومالك رحمهما الله . وكنت يوما اذكر بعضهم في مسالة فذكرت قول الشافعي فقال : اسكت من هو الشافعي ؟ انما كان بحران : ابو حنيفة لاهل المشرق ومالك لاهل المغرب ، افنتركهما وتشتغل بالساقية » (72) .

واما مذهب ابن حنبل فطعن فيه لاخذه بالحديث الضعيف . فقد ذكر عياض : « وقال احمد : الخبر الضعيف عندي خير من القياس. وبديهة العقل تنكر هذا ، فلا خير في بناء على غير اساس » (73) .

ونصل الى مذهب داود لنجد ان ابن الحداد « تكلم يوما في مسالة ، فقيل له : ان داود قال فيها كذا وكذا ، فقال : لو كان نومى كيقظة داود ما تكلمت في العلم » (74) .

ثالثا : اسباب استمرار المذهب (75)

1 ـ لا شك ان ظاهره مساندة السلطة للمذهب واعتمادها عليه كانت في طليعة الاسباب التي جعلته يستمر . فباستثناء الموحدين ، كانت جميع الدول الحاكمة في المغرب تعززه وتتقوى به . واذا كانت هذه الظاهرة قد بدات منذ ابعاد سياسية محددة واضحة ، سوف تجعل من المالكية ليس مجرد مذهب ، ولكن حركة تقود نضالهم وتكيف طبيعة هذا النضال وتحدد شروطه وغاياته ، وتجعلهم يحققون الاصلاح الديني ويحققون في نفس الوقت الاسلام المبسط الواضح في صيغة ثورية كانت رهنا بمرحلة نضالية محددة الاهداف (76) .

وارتباط المذهب بالسلطة يتناقض مع ما اشتهر عن فقهائه من القرب من الشعب ، والبعد عن أولي الامر بالحكام ، ورفض المناصب التي يسندونها اليهم الا بشرط ، على حد ما فعل سحنون الذي لم يقبل تولي القضاء الا بعد ان وافق محمد بن الاغلب على الشروط التي تقدم بها . هذا حين يتعلق الامر بحكام يسيئون السلوك ويعبثون بحقوق الناس ويعيشون في مستوى عال من البذخ والترف غالبا ما يكون على حساب الامة . اما حين يتعلق الامر بحكام مستقيمين ، فان الفقهاء يساندونهم ، على غرار ما حدث في العهد المرابطي ، وخاصة ايام يوسف بن تاشفين الذي شهد له حتى خصومه بالورع والتقوى والعدل والاستقامة .

ويدخل في نطاق مساندة السلطة للمذهب ما تم في عصر هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بالاندلس حين « اخذ ... الناس جميعا بالتزام مذهب مالك وصير القضاء والفتيا عليه ، وذلك في عشرة السبعين ومائة من الهجرة في حياة مالك رحمه الله تعالى ، وشيخ المفتين حينئذ صعصعة بن سلام امام الاوزاعية وراويتهم . وقد لحق به من اصحاب مالك عدة فالتزم الناس بها من يومئذ هذا المذهب وحموه بالسيف عن غيره جملة » (77) .

---

(70) المدارك ج 4 ص 71 .
(71) احسن التقاسيم ص 42 .
(72) نفسه .
(73) المدارك ج 1 ص 92 .
(74) المدارك ج 5 ص 80 .
(75) انظر وحدة المغرب المذهبية ص 26 ـ 27 ـ 28 ـ 29 .
(76) انظر الادب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه ج 1 ص 88 .
(77) المدارك ج 1 ص 26 ـ 27 . وربما كان من دوافع ميل هشام الى المذهب ما علمه من الحوار الذي دار بين زياد ومالك حول سلوك هشام ، ذلك انه « لما وصفه زياد بن عبد الرحمن لمالك بن انس قال : ليت الله تعالى زين موسمنا بمثل هذا » (النفح ج 1 ص 337) .

وبعد ، فلعلنا من خلال هذا العرض الذي حاولنا فيه ابراز اهم اسباب انتشار المذهب المالكي واستمراره في بلادنا أن نكون وفقنا الى استخراج هذه الاسباب وتحليلها والاستنتاج منها . ولا شك أن عنصر الوحدة في نطاق الصمود والتحدي يعتبر اهم ملمح يمكننا أن نستنتجه ، وهو ملمح كشفت قضية الصحراء عن فعاليته وجدواه ، سواء بالنسبة لاقناع العدالة الدولية بوحدتنا الترابية أو بالنسبة لتعبئة الامة للذود التلقائي عن هذه الوحدة .

ونحن مطالبون أكثر من اي وقت مضى لتمثل هذا الملمح ، لا سيما والعالم الاسلامي – والمغرب في طليعته – معرض باستمرار لالوان من المحن والاختبارات . وهو واقع ينذر بكل توقع خطير اذا لم نكن مسلحين لمواجهته ورده بعقيدة قوية ثابتة تشد في رباطها الوثيق الموحد كل افراد الامة الاسلامية .

ولن يتسنى لنا – نحن افراد هذه الامة – أن نقيم هذا الرباط ، في عصر كالذي نعيش فيه يتميز بصراع المعسكرات وحروب الفكر والتحديات ، اذا نحن لم نسع الى وحدة نابعة من روح الاسلام (81) ومؤسسة على ارضية مشتركة نلتزم داخلها بحد أدنى من المبادىء والمفاهيم والمقولات ، وننظر الى الحياة والى المجتمع والى مستقبل الدين من خلال رؤية شمولية تنطلق من الوعي بالامكانيات البشرية والمادية لامتنا والظروف النابعة منا والتي يفرضها الواقع علينا سواء في الداخل او الخارج .

واذا كانت مثل هذه الوحدة لا يمكن أن تكون ايجابية الا اذا تجسدت على بساط يلتقي فيه كل راي وكل ابداع وكل اجتهاد وكل نقد ، فانها في نفس الوقت تقتضي التحاما محكما بين الخصوصيات الاقليمية وعناصر الوحدة ، كما تقتضي تقريبا بين المذاهب المختلفة ، بتنقيتها من الشوائب ومن المظاهر التي لم يعد لوجودها داع أو مجال ، وبتصفيتها من الخلاف القائم في بعض الجزئيات والقضايا التطبيقية ، وبالاتفاق على عدد من الاسس والمبادىء والغايات .

ونعتقد اننا نستطيع استخراج هذه الاسس بالنظر في الاصول التي اعتمدتها المذاهب المختلفة ، ولا سيما تلك التي اتفق عليها جميع الائمة ، وبالنظر كذلك فيما تفردت به بعض المذاهب من مبادىء تتسم بالمرونة والقابلية للتكيف والامتصاص ، وتكون قادرة بالتالي على أعطاء الفقه الاسلامي طاقات وامكانات للتطوير والتجديد والتوحيد .

الرباط : عباس الجراري

(81) انظر : الفكر الاسلامي والاختيار الصعب ابتداء من ص 75 (ط. دار الرشاد – الدار البيضاء 79 19)



اولا : طبيعة المذهب نفسه ، فهو لا يقوم على الراي والقياس بقدر ما يقوم على النص والنقل وعلى الاثر والرواية ، فضلا عن واقعيته القائمة على اعتماد عمل اهل المدينة ، باعتباره نوعا من الاجماع . وهو في هذا يوافق مزاج المغاربة الذي ينفر من الغموض والابهام ومن التعقيد والتأويل ، ويميل الى البساطة واليسر ، والى السهولة والوضوح ، والى الواقعية والعمل الملموس .

وربما كان ابن خلدون يقصد الى هذه الطبيعة حين ذهب الى ان « البداوة كانت غالبة على اهل المغرب والاندلس ، ولم يكونوا يعانون الحضارة التي لاهل العراق ، فكانوا الى اهل الحجاز اميل لمناسبة البداوة . ولهذا لم يزل المذهب المالكي غضا عندهم ولم يأخذه تنقيح الحضاره وتهذيبها كما وقع في غيره من المذاهب » (80)، والا فلسنا نتصوره يصف الحياة الاندلسية بالبداوة مع ما بلغته في مضمار الحضارة .

ثانيا : تجدد المذهب باستمرار ، انطلاقا من مبدئي المصالح المرسلة والذرائع ، وما تعطيانه من مرونة وقابلية للتكيف مع اية بيئة وفي اي عصر ، وحل مختلف القضايا والنوازل الطارئة . ويكفي ان نشير الى الخطوة التجديدية الكبيرة التي خطاها في عهد المرينيين بعد خروجه من محنة العصر الموحدي، والى الحركات الاصلاحية التي عرفها في ظل الدولة العلوية والتي كانت تهدف الى انقاذ الفكر المغربي من الجمود الذي وقع فيه ايام السعديين بسبب كثرة الملخصات التي وضعت لاجمال المسائل الفقهية وتقريبها . وقد كانت هذه الحركات تسعى الى ارجاع الدين لبساطته ويسره ، خاليا من اي تعقيد .

فسيدي محمد بن عبد الله دعا الى نبذ المختصرات الفقهية والى الرجوع للكتاب والسنة وآراء السلف الصالح ، ووزع منشورا بذلك على القضاه ، ووضع لتوضيح اتجاهه كتاب (الفتوحات) . كذلك دعا المولى سليمان الى الاصلاح في تاثر بالحركة الوهابية ، وتجاوب مع صديقه الامير ابن سعود الذي كانت له معه علاقات متينة ، واتجه في دعوته الى الانتصار للسنة ومحاربة البدع الضالة وكتب في ذلك خطبا توجيهية .

ثالثا : نضالية المذهب وجماهيريته والتحام فقهائه بالقضايا الوطنية ، وتقدمهم في ميدان الجهاد . ولا ادل على ذلك من قيام دولة المرابطين القديمة على اكتاف فقهاء المذهب ، كما لا ادل عليه من الدور الذي نهض به المغرب في اعماق القارة الافريقية قائما على نشر الاسلام من خلال المذهب المالكي وما يواكبه من تصوف مستند الى الكتاب والسنة .

ويمكننا ان نضيف للتمثيل على طليعية الفقهاء في الذود عن حرية الوطن ومحاربة العدوان الاجنبي ما كان لهم في معركة وادي المخازن من مواقف ؛ ولعلنا ان نشير كذلك الى الحركة السلفية التي تزعمها المصلح الكبير الشيخ أبو شعيب الدكالي ومن سار على نهجه من امثال المرحوم محمد ابن العربي العلوي وغيره من تلاميذ الشيخ ، وهي الحركة التي كان لها الفضل الكبير في توعية الجماهير ، ومنها انبثقت الحركة الوطنية التي ناضلت في سبيل تحرير البلاد من الاستعمار .

---

(80) المقدمة ص 440 .

وكان القاضي يتسم في غالب الاحيان بالنزاهة والعدل يحرزه ايمانه كما يكبحه الراي العام .

وقضاء الجماعة بالمغرب يوازي منصب قاضي القضاة بالمشرق (7) ولم يطلق المغرب وصف القضاة على غير الحكام الشرعيين في حين اطلق احيانا خارج المغرب على الكتاب (8) وعلى التجار (9) . ومنذ عصر المرابطين كانت زعامة القضاء راجعة لقاضي الحضرة (اي مراكش) الذي كان عضوا في مجلس الشورى والذي اصبحت له سلطة كبرى على قضاة المغرب والاندلس وكانت هذه المشيخة تعطى أحيانا لقاضي سبتة وطنجة او قرطبة من ذلك تولية هذا المنصب قاضي طنجة مروان بن عبد الملك بن ابراهيم بن سحنون اللواتي (10) .

وكان للقضاة مستشارين في العهد المرابطي فكان ابن تاشفين اذا ولى احدا من قضاته يعهد اليه ان لا يقطع امرا ولا يبت في امر الا بمحضر اربعة من الفقهاء فبلغ الفقهاء في عهده مبلغا عظيما لم يبلغوا مثله في الصدر الاول من فتح الاندلس .

واصدر المولى محمد بن عبد الله ظهيرا امر فيه القضاة بكتابة الاحكام في كل قضية في رسمين يأخذ المحكوم له رسما يبقى بيده حجة على خصمه والمحكوم عليه رسما ومن حكم ولم يكتب حكمه ولم يشهد عليه العدول فهو معزول (11) ، وكان المخزن يرسل الى كل قبيلة من يقوم باختيار قضاة البادية قبل تعيينهم حتى لا يتولى سياسة الرعية غير الاكفاء وتسجل نتائج الامتحان في تقارير وبيانات ترفع الى السلطان ليصدر امره بالتعيين من ذلك ظهر صدر عام 1294 هـ — 1877 م اعتمد على تقييد لاختبار عمال دكالة وقضاتهم واشياخهم (12) .

وقد لاحظ المولى اسماعيل جهل الكثير من رجال القضاء فامر بحبس بعضهم ممن امتحنوا فتأكد جهلهم وسجنهم في مشور فاس الجديد حتى تعلموا ضروريات الاحكام وعزل الكثير منهم ، وقد أشار القادري في (الازهار الندية) الى هذا الحادث الذي حضره العلامة اكنسوس في قضاة البوادي (13) .

وكان ثلاثة قضاة يتناوبون على الرباط لكل واحد ثلاثة اشهر وهم الفقهاء محمد بن أحمد الغربي وعبد الله بناني ومحمد بن اليسع (14) ، وعند ما ترجم ابن القاضي في درة الحجال (15) لاحمد بن محمد الطرون الفاسي ذكر انه كان قاضيا بفاس وانه لم يكن ذا علم لينكف بماله عن اموال الناس وعن الرشا ، وقد توفي هذا القاضي المتمول سنة 961 هـ — 1553 م. وكانت مجالات القضاء واصنافه مختلفة منها قضاء العساكر حيث كان ابراهيم بن يحيى قاضي العساكر في عهد أبي الحسن المريني كما كان محمد بن أبي عامر قاضي القضاة في المغرب وناظر العسكر (16). وقد عمل قضاة مغاربة على التوالي بالمغرب والاندلس من بينهم علي بن عبد الله بن محمد الفاسي الذي ظل قاضيا بشاطبة الى 622 هـ — 1225 م ثم انتقل الى مراكش وحضر مجلس ابن القطان ثم استقضى بشريش وجيان وقرطبة وسبتة وفاس ثم اغمات وريكة ثم تولى قضاء النساء بمراكش وعرض عن ظهر قلب صحيح البخاري (17) . وقد استقضي الفقيه عمر بن عبد الله بن محمد الاغماتي المحدث النحوي بفاس وهو ابن عشرين سنة وكذلك الفقيه عمر بن محمد بن حكم كردس الدمناتي الذي استقضي بقصبة مراكش وهو ابن عشرين سنة ايضا ومحمد السعيد بن محمد بن عمر ابن العباس قاضي الجماعة بمراكش

---

(7) (نفح الطيب ج 1 ص 338) .
(8) (صبح الاعشى ج 5 ص 451) .
(9) (البرد الموشى ص 7) .
(10) (مشيخة عياض)
(11) (الاعلام للمراكشي ج 5 ص 123) .
(12) (العز والصولة لابن زيدان ج 2 ص 8) .
(13) (الاستقصا ج 4 ص 31) .
(14) (اتحاف اعلام الناس ج 3 بعد ص 305) .
(15) (ج 1 ص 89) .
(16) (ابن عذارى ج 2 ص 376) .
(17) (الاعلام للمراكشي ج 6 ص 2 — خ) .

استقضاه المولى سليمان بسجلماسة وهو ابن خمس وعشرين سنة (18) .

اما الاستيناف فقد كان في عهد الحماية نوعين: ابتدائي لاحكام قضاة البوادي وما في حكمها من احكام قضاة صغار المدن ويكون عند قاضي المدينة بمنطقته المعينة في ظهير تنظيم « العدلية » خاصة في مكناس والرباط والدار البيضاء أو عند احد قضاتها أن تعدد في قضاة فاس ومراكش .

والنوع الثاني وهو النهائي تأسيس مجلس شرعي اعلى بالبلاط الملوكي يتركب من رئيس واربعة أعضاء من العلماء وثلاثة نواب وستة كتاب وثلاثة خدمة وهو يتلقى استيناف احكام قضاة قواعد المدن .

وكان القضاء يحظى بثقة الشعب لحسن الاحدوثة فقد تحدث (جان موكى) في رحلته الى المغرب (1601 — 1607) عن قضاة المغرب فوصف سرعة وعدالة المسطرة القضائية عندهم (19) .

كما ذكر (لود وفيك) ان كل فخذه من القبائل المغربية كانت تشتمل على مكان يستخدم كمسجد ومكان آخر لتحفيظ القرءان وقاض يصدر الاحكام .

ومن المصنفات التي صدرت في الموضوع :

— (تبصرة الحكام في أصول الاقضية ومناهج الاحكام) لابن فرحون ابراهيم بن علي اليعمري (مكتبة تطوان (1405) : ثلاث نسخ) .

— (جمهرة من حكم بفاس وقضى في الدولة العلوية وجرى به القضاء) (رجز في 300 بيت) لابي القاسم الزياني (نسخة بالخزانة الفاسية والمكتبة الاحمدية السودية بفاس وخم 2348) .

— (تكميل قضاة فاس على ما في جذوة الاقتباس) (الخزانة الملكية = خم 4792) .

— جواب في الفرق بين خطة القضاء وخطة الولاية وخطة الحسبة باعتبار عرف زماننا لاحمد بن خالد الناصري (الخزانة العامة بالرباط — حع) 2295 د (م = 6 — 8) .

— (آفاق الشموس واعلاق النفوس في الاقضية النبوية) لاحمد بن عبد الصمدالخزرجي الفاسي .

— (الاحكام من آي خير الانام) للحسن بن علي بن القطان . جمعه بأمر السلطان عمر المرتضى الموحدي .

خزانة القرويين (خق) ل 40 / 292 .

— (منظومة في ادب القضاء وبيان صنعة القضاء) (272 بيتا) اسمها (حديقة القضاة) (خع 186 د) (م = 1 — 6) للعربي بن عبد الله المستاري رئيس البحر في عهد سيدي محمد بن عبد الله .

— (قضاء ركب الحجيج) .

قلد يوسف المريني الفقيه محمد ابن زغبوش قضاء ركب الحجيج عام 703 هـ — 1303 م (21) .

— (المهذب الرائق في تدبير الناشيء من القضاة واهل الوثائق) . المتحف البريطاني (عدد 242) .

— (قلادة التسجيلات والعقود وتصرف القاضي والشهود) كلاهما لموسى بن عيسى المغيلي (791 هـ — 1389 م) .

— اصلاح القضاء بالمغرب ايام السلطان سيدي محمد بن عبد الله « حصول المسره والانس في بيان مدارك الفصول الخمس » . خع 330 د (م = 103 — 124) .

(18) (الاعلام للمراكشي ج 7 ص 5 — ط الرباط) .
(19) الوثائق الغمسية في تاريخ المغرب (دوكاستر — س ا — السعديون ج 2 ص 400) .
(20) في كتابه « المغرب المعاصر امبراطورية تنهار » (ص 114) .
(21) (تاريخ ابن خلدون ج 7 ص 226) .

دراسات مغربية : عن تاريخ القضاء بالمغـــرب (عبد الله الجراري) .

مجلة دعوة الحق ـ عدد 1 (1965) .

تاريخ القضاء بشمال المغـــرب على عهــد الحماية (الحسن بن عبد الوهاب) . مجلة البحث العلمي ـ عــدد 9 (1966) .

القضاء والعدول بالمغرب (تاريخ تطـــوان ج 1 ص 137) .

J. Caillé - Organisation judiciaire et procédure marocaines - libr. gén. de droit et de juris. 1948 (458 p.)

R. Muntagne, 1924

ـــ القضـــاء في جنـــوب المغرب .

الافتـــــاء :

ظهرت خطة المفتي بالمغرب في عهد محمد الشيخ السعدي اقتباسا من الاتراك وقد تقلد منصب الفتوى بفاس في عهد محمد الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن جلال المغراوي التلمساني نزيل فاس كما تقلدهـــا بمراكش ايام عبد الله الغالب محمدشقرون بن هبة الله الوجديدي التلمساني (الدوحة ص 90 و 86) وكان يعتبر من اسمى الوظائف لا يرخص فيه الا لـــذوي المروءة والدين ومن « ظرا عليه او ظهر منه ما يخالف ذلك يعزل ويضرب على يده وربما عوقب ونكل به » .

(راجع نصوص ظهائر في الموضوع في (العز والصولة) لابن زيدان ج 2 ص 55 حيث امر المولـى عبد الرحمن مثلا برفع يد المفتين عن الفتوى بطنجة نظرا لفساد الاحكام والتبليس على العوام وذلك فـي 25 رمضان 1274 هـ) .

وكان (مجلس المفتين) بالمغرب يعمـــل تارة كمحكمة عليا للنقض والابرام واخرى كهيئة استينافية وهذا المجلس يجمعه السلطان عند الحاجة للنظر في قضية فقهية قبل احالتها على محكمة جديدة . وكان السطان يصدر الاحكام مرة في الشهر ويتلقى طلبات الاستيناف ويتقاضى امامه الاجانب اكثر مـــن رعاياه

واول قاض بعد السلطان هو المفتي الـــذي يتلقـــى طلبات الاستيناف وكان هنالك ثلاثة مفتيـــن بمراكش وفاس وتارودانت (22) . وقد شملت عناية ملوكنـــا العلويين الاماجد رجالات الافتاء في كافة انحاء العالم الاسلامي وخاصة في الحرمين الشريفين فقد حبس السلطان سيدي محمد بن عبد الله اموالا طائلـــة على مفتي المذاهب الاربعة ؛ وطلبتهم بالمدينـــة المنورة كما حبس مالا عظيما على قراءة (الفتوحات الالهية) والجامع الصحيح من اهل المذاهب الاربعة بالمدينة المنورة (23) . وكان المفتـــي يتلقـــى الاسئلـــة والاستفسارات والاستيضاحات في القضايا الفقهية من مجموع البلاد مثال ذلك الفقيه محمد بن ابراهيم السباعي الحاجي رئيس قلم الفتوى بمراكش الـــذي كانت ترد عليه الاسئلة من كافة انحاء المغرب فيجيب عنها بما يبهر العقول بدون تسويد لكثـــرة تحصيلـــه واستحضاره ولا يبقى عنده منها نسخة ولو جمعـــت فتاويه لاربت على (نوازل المعيار) كان يقول (نحن رجال وهم رجال) (24) . ولمحمد الاغلالي (القواعد التي يجب على المفتي العمل بمقتضاها) (307 من الابيـــات) خـــع 1242 د .

وكذلك (ارجوزة فيما تجـــب به الفتوى ومـــا يعتمد من الكتـــب) لمحمد النابغـــة الشنجيطـــي (المطبعة الملكية بفاس عام 1282 هـ ـ 1865 م) ومن تصدر للافتاء بالمغرب العلماء :

ـــ ابراهيم بن عبد الملك الضرير السوسي كـــان خـــرازا (1316 هـ ـ 1898 م) .

ـــ مفتي سجلماسة ابراهيم بن هـــلال بن علـــي الصنهاجي المشترائي (903 هـ ـ 1497 م).

ـــ اراهيـــم السرغينـــي الخلوفـــي .

ـــ المفتي ابو بكر بن مسعود المـــراكشي شيـــخ المالكية بدمشق (1032 هـ ـ 1622 م) .

ـــ ابن علي ابو القاسم الحساني الهبطي المفتـــي (956 هـ ـ 1549 م) (الجذوة ص 319) .

(22) في رحلـــة (س. ا. ـ السعديون ـ 1925 ج 2 ص 397) بالنسبة لسنة 1609 .

(23) (الاتحـــاف ج 3 ص 233) .

(24) الاعلام للمراكشي ج 7 ص 193 ـ الرباط .

— المفتي احمد بن الحاج العباس الشرايبي (1329 هـ — 1911 م) .

— احمد بن ابي مالك عبد الواحد بن احمد السجلماسي مفتي مراكش (الاعلام للمراكشي ج 2 ص 44) .

— احمد بن علي السالمي مفتي مراكش (احمد بن محمد بن علي حسب الحضيكي) .

— المفتي احمد بن قاسم بن عبد الرحمن القباب قاضي جبل طارق ومشاور الدولة (779 هـ — 1377 م) — له (فتاو مدونة في (معيار الونشريسي) .

— احمد بن القاضي التلمساني شاعر الرباط ومفتيه (توفي حوالي 1180 هـ — 1766 م) . (الاغتباط ج 1 ص 20) .

— مفتي فاس احمد بن محمد بن احمد بن يحيى المقري نزيل فاس والقاهرة (1041 هـ — 1632 م) وهو صاحب (نفح الطيب) له فتاو ونقلها صاحب (المعيار) .

— المفتي احمد بن يحيى الونشريسي الفاسي (914 هـ — 1508 م) له (المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي اهل افريقية والاندلس والمغرب) ط. على الحجر بفاس عام 1315 . خع 400 د (5 مجلدات) .

— المفتي الحسن بن احمد بن عبد الرحمن الهزميري .

— المفتي الحسن بن عثمان الونشريسي شيخ ابن الخطيب .

— المفتي حمادي جبرو ابو الفضل صاحب (معيار التحقيق في مبنى الفتاوي والتوثيق) ط. بالدار البيضاء .

— مفتي مراكش سعيد بن محمد بن احمد حيمى السوسي (1313 هـ — 1895 م) .

— مفتي مراكش ابن عمير الطيب الشرقي قيم خزانة الحسن الاول .

— مفتي فاس عبد الرحمن بن جعفر بن ادريس الكتاني (1334 هـ — 1916 م) .

— تحفة الفتاوي لعبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي (خع 1136 د) .

— ابن العجوز عبد الرحيم بن احمد الكتامي السبتي الاصيلي الفاسي شيخ الفتيا (413 هـ 1022 م) لازم ابن ابي زيد القيرواني .

— عبد السلام بن عمر ان ابراهيم مفتي وقاضي الرباط (1356 هـ — 1937 م) .

— المفتي المشاور عبد العزيز بن عبد الله ابن حزمون .

— مفتي فاس عبد العزيز بن موسى الخطيب .

— مفتي فاس عبد العزيز الورياجلي .

— عبد القادر بن محمد بن عبد القادر ابن الطالب ابن سودة له (عمدة الراوي في جمع ما من به المولى من الفتاوي) (خم 724) .

— المفتي ابن خلوف عبد الله بن احمد السبتي دفين اغمات (537 هـ — 1142 م) احد حفاظ المذهب بسبتة نزل ببني عشرة بسلا ثم اغمات حيث اصبح مفتيا .

— المفتي عبد الله بن عبد الواحد الورياجلي المتوفى بدرعة (927 هـ — 1520 م) .

— مفتي اهل سبتة عبد الله بن غالب الهمداني النكوري .

— مفتي فاس عبد الله العبدوسي .

— عبد الله الوانغيلي الحافظ .

— مفتي فاس وقاضيها عبد الواحد بن احمد الحميدي .

— مفتي مراكش علي بن عبد الرحمن السلاسي قاضي فاس ومراكش في عهد المنصور السعدي .

— علي بن عبد الله بن خلف بن النعمة البلنسي .

— مفتي الجبل الاخضر علي بن عبد الواحد بن محمد السجلماسي التافلالتي .

— المفتي المفسر ابن هارون الطنجي علي بن موسى المطغري (951 هـ — 1545 م) .

— مفتي مراكش عمر بن عبد الواحد الدويري .

— المفتي عيسى بن احمد بن محمد البطوئي الماواسي الفاسي (896 هـ — 1490 م)

— مفتي مراكش وقاضيها الفاضل بن المكي السرغيني .

— ابن الحفيد السباعي محمد بن ابراهيم شيخ الجماعة بمراكش المحدث الحافظ انتهت اليه رياسة الفتوى بمراكش وباقي المغرب (راجع نماذج منها في الاعلام للمراكشي ج 6 ص 276) .

— مفرج محمد بن احمد بن ابي الجليل الاموي .

— مفتي مراكش محمد الطاهر بن احمد الفلالي التجار (الاعلام للمراكشي ج 5 ص 160 . الطبعة الاولى أو ج 6 ص 162 ط. الرباط) .

— مفتي فاس ابن باق محمد بن حكم ابو جعفر السرقسطي المتوفى بفاس (538 هـ — 444م)

— ابن حكم عاشر بن محمد رائد المفتين بالاندلس وقاضي مرسية الى انقراض الدولة اللمتونية (567 هـ — 1172 م) .

— محمد بن سليمان السطي حافظ المغرب .

— مفتي فاس محمد بن عبد العزيز التازغدري مشاور الدولة (833 هـ — 1428 م) .

فتاويه كثيرة مدونة في (معيار) الونشريسي (الجذوة ص 148) .

— مفتي دمنات محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الكيكي (نسبة الى جبل خارج مراكش) . (1185 هـ — 1779 م) .

— ابن الجد ابو بكر محمد بن عبد الله بن يحيى بن فرج الفهري وهو جد بني الجد الذين اول قادم منهم الى فاس الاخوان ولداه عبد الرحمن واحمد .

انتهت اليه الرياسة في الحفظ والفتيا قدم لمبايعة عبد المومن مع ابن العربي (586 هـ — 1190 م) (الجذوة ص 168 / الانيس المطرب ج 2 ص 182 / الحلل الموشية ص 34) .

— مفتي مراكش محمد بن عبد الله البوعبدلي الرجراجي قاضي تادلا (1022 هـ — 1614 م) (الاعلام للمراكشي ج 4 ص 263) .

— مفتي فاس محمد بن عبد الوهاب بن محمد ابن ابراهيم الدكالي (1036 هـ — 1627 م) .

— المفتي محمد بن العربي البقالي المستاري (1377 هـ — 1957 م) له (مذكرات وفتاوي)

— مفتي مراكش محمد بن العربي التطاري (كان حيا عام 1282 هـ — 1865 م) (الاعلام للمراكشي ج 6 ص 73 (الطبعة الاولى) .

— المفتي محمد بن علي الزعراوي المراكشي (1323 هـ — 1905 م) (الاعلام للمراكشي ج 7 ص 135 — ط. الرباط) .

— المفتي محمد بن علي العدلوني الدمناتي (1306 هـ — 1888 م) ؛ تصدى للفتيا في قبائل دمنات وفطواكة والراغنة وهنتيفة والاطلس .

— المفتي محمد بن على المنبهي له فتاو جمعها تلميذه علي بن ابي القاسم البوسعيدي العيسي (أو احمد بن علي حسب مجموعة في خم 4500) .

— ابن الطلاع او الطلاعي محمد بن الفرج القرطبي مفتي الاندلس ومحدثها (497 هـ — 1104 م).

— مفتي فاس محمد بن احمد القوري (872 هـ — 1467 م) .

— مفتي فاس محمد بن قاسم القصـــار .

— مفتي العدوتين محمد الهاشمـــي بن محمـــد اسكـلانطـــو .

— مفتي مراكش محمد المطيع بن محمد العباسي وقاضي الجماعة بفاس (1295 هـ — 1878م) .

— المفتي ابن هبة الله محمد بن محمد الوجديجي الملقب شقرون نزيل فاس واصبـــح مفتـــي مراكش وباقي مـــدن المغـــرب (983 هـ — 1575 م) .

— ابن المرابط محمد المفتي قاضي مراكش مـــن رجال القرن الثالث عشر .

— مفتـــي مراكش محمد بن المكـــي بن الحسن العمراني قاضي المواسين والصويرة (الاعــلام للمراكشي ج 5 ص 296) .

— المفتي محمد السطي حافظ المغرب وفقيـــه فتـــــواه .

— المفتي محمد السليطن السملالي شيخ الجماعة في القراءات بمراكش .

— مفتي العدوتين المعطي بن محمد بـــن قـــاسم العزوزي (توفي حوالي 1275 هـ — 1858 م)

النـــــــوازل :

هي القضايا والوقائع التي يفصل فيها القضاة طبقا للفقه الاسلامي وقد كتبت فيها رســـائل ومجلدات عديدة منها :

— (معين الحكام في نوازل القضايا والاحكـــام) لابراهيم بن حـــسن المكنى ابن عبـــد الرفيـــع خـــم 8119 / 4032 / 5052 .

— (نوازل) ابراهيم بن هلال بن علي الزلماطـــي الفلالي المشـــترائي مفتي سجلماسة (903 هـ — 1497 م) خـــ 2794 / خم 1344 / مكتبـــة تطـــوان (585 / 605) .

رتبها علي بن احمد بن محمد الجزولي الحياني الرسموكي 1049 هـ — 1639 م في (ترتيـــب نوازل ابراهيم بن هـــلال خم 4043 / 4055 / 9813) وجمعها ايضا تلميذه ابو القـــاسم بن محمد بن علي عام 901 هـ — 1497 م وطبعت على الحجر بفاس عام 1318 هـ — 1900 م .

— (نوازل) ابن رشد ابي الوليد خق (1620) .

— (نوازل) ابي محمد بن القاسم خـــع 1839 د (م = 1 — 30) .

— (نوازل) احمد بن علي الهشتوكي البوسعيدي خـــم 7144 (مبتـــور الاخيـــر) .

— (نوازل) أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن القباب مشاور الدولة وقاضي جبل طارق (779 هـ — 1377 م) .

— (نوازل) احمد الشدادي القاضي النوازلـــي المتوفـــى بزرهـــون (1146 هـ — 1733 م) شجرة النور 336 / الاستقصا ج 4 ص 127 .

— (نوازل) عبد الصمد بن التهامي بن المدنـــي جلون نزيل طنجة (1352 هـ — 1933 م) .

— (نوازل) عبد القادر بن علي الفاسي الفهـــري (1091 هـ — 1680 م) .

— (النوازل) الكبرى طبعت بفاس على الحجـــر بدون تاريخ ومعها مقدمة في التعريف بهـــا في سفر كبير وتسمى (الاجوبة) ولـــه (النوازل الصغرى) أجاب فيها بعضهم عن مســـائـــل في العبادات وغيرهـــا .

طبع مع نوازل الشيخ التـــاودي ابن سودة . وطبعت منفردة ,والكل على الحجـــر بفـــاس فـــي (339 ص) .

— (نوازل) العربي بن محمد الهاشمي العزوزي الزرهوني (1260 هـ — 1844 م) في مجلدين.

— (نوازل) ابي الحسن علي بن عيسى بن علي بن احمد الشريف العلمي جمع فيها اجوبة معاصريه وسلفه واجوبة اشياخه ، ثلاث نسخ في خع 876 د / 1015 د / 1581 د / خم 2622 / 9041 ، طبعت على الحجر بفاس مرارا في جزء واحد ثم جزئين .

— (نوازل) عمر بن عبد القادر الرندي (1290 هـ — 1873 م) (السلوة ج 2 ص 368) من اجمع نوازل المتاخرين .

— (مذهب الحكام من نوازل الاحكام) للقاضي عياض (خم 4042) .

— (الاعلام بنوازل الاحكام) مع ذكر الوقائع والاحداث الاندلسية لعيسى بن سهل ابي الاصبغ الجياني قاضي طنجة ومكناس وغرناطة (486 هـ — 1094 م) جزءان متوسطان في حق = ل 80 / 299 / ق 86 (نسخة غير تامة) / خع 1728 (106 ورقة) .

— (نوازل) عيسى بن عبد الرحمن السكتاني الركراكي قاضي القضاة بمراكش وتارودانت (1062 هـ — 1652 م) (خع 224 د) .

— (نوازل في الفقه) لعيسى بن علي الشريف ، (خمس نسخ في خم من 636 الى 4220) .

— (نوازل) لمحمد بن احمد العبادي قاضي الجماعة بمراكش نقلها ابن ابي القاسم السجلماسي (الاعلام للمراكشي ج 5 ص 132 الطبعة الاولى) أو ج 6 ص 134 . ط. الرباط

— (الجامع الحاوي للنوازل والفتاوي) لمحمد بن احمد العبدي الكانوني (1357 هـ — 1938 م).

— (اجوبة في نوازل) لمحمد بن احمد الكماد دفين فاس (1116 هـ — 1705 م) (السلوة ج 2 ص 30) .

— (نوازل) محمد بن احمد المسناوي الدلائي (1136 هـ — 1724 م) . جمعها تلميذه محمد ابن الخياط الدكالي في سفر طبع على الحجر بفاس (1345 هـ — 1926 م) .

— (نوازل) لمحمد الحسن المجاصي قاضي فاس (1103 هـ — 1691 م) جمعها بعض تلامذته ق حياته (طبعت على الحجر بفاس) .

— (نوازل) لمحمد التاودي بن الطالب ابن سودة جمعها ولده القاضي ابو العباس . طبعت على الحجر بفاس عام 1301 هـ وفيها (النوازل الصغرى) للشيخ عبد القادر بن علي الفاسي (طبعت مرتين) .

— (اجوبة في النوازل) لابن ناصر محمد بن عبد السلام بن عبد الله .

— (مواهب ذي الجلال في نوازل البلاد السائبة والجبال) لمحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الكيكي (1185 هـ — 1779 م) وقف عليه السيد عبد السلام بمسودة بمراكش في مجلد، خم (د م = 2292) وله حاشية على (نوازل العباسي) (الاعلام للمراكشي ج 6 ص 680)— الرباط .

— (نوازل) محمد بن محمد الورزازي خم (5768/ 6885 / 8079) .

— (النوازل) لمحمد بن محمد بن محمد التامرادي كان محور النوازل في ناحيته بسوس (1285 هـ — 1868 م) (المعسول ج 8 ص 198) .

— (نوازل) محمد بن المختار بن الاعمش الشنجيطي (خم 5742) .

— (النوازل للمكي بن عبد الله البناني مفتي الرباط (خع 1852 د ، 51 ورقة) .

— (النوازل) للمهدي بن محمد الوزاني (1342 هـ — 1923 م) له (النوازل الصغرى) (خع 1715 د) (الجزء الاول فقط طبعت بفاس في اربعة اجزاء) .

— (النوازل الجديدة الكبرى في اجوبة اهل فاس وغيرهم من اهل المدن والقرى) خــع 871 د (الجزءان الاول والثاني) (شجرة النـور ص 435) .

— (الدرة المكنونة في نوازل مازونة) ليحيى بن احمد بن عبد الله المغيلــي (خم 3132) .

— (نوازل) المزارعة لمعيــار الونزانــي دراسة وتجرمــة J. Berque الرباط 1940 .

— وقد برز علماء كبار في النوازل منهـم محمد الكبيــر بن ادريس العمرانــي (1278 هـ — 1861 م) .

الاعلام للمراكشي ج 5 ص. 318 (الطبعــة الاولى ج 6 ص 313 — ط. الرباط) .

الـوثـائـــــق :

هي العقود التي يسجلها الموثقون العدول وقد عرف الوثيقة ابن الخطيب في كتابه (مثلى الطريقــة في ذم الوثيقة) وهي كراسة تحدث فيها عما يفعلــه بعض عدول فاس وسلا وسجلماسة مما يتنافى مــع الاستقامة المثالية التي امتاز بها عدول هذه الحواضر الثلاث (نسخة بخزانة الاخ الاستاذ محمد ابراهيــم الكتانــي) .

ومن الكتب المصنفة في الموضوع بالمغرب :

— كتاب (الوثائق) لابراهيم بن عبــد الرحمــن الفرناطي (751 هـ — 1350 م) ثلاث نسخ في خــع 1418 د / 872 د / 1090 د .
توجد في خم (4501 / 4689) (وثائق فقهية) له ايضا او وثائق (5222 / 5253 / 7401) .
كما يوجد (كتاب في الوثائق) في خم (3507) لابراهيم بن احمد الغرناطــي .

— (المقصد المحمود في تلخيص العقود) لعلي بن محمد الصنهاجي الجزيري او علي بن يحيى بن القاسم الريفي (585 هـ — 1189 م) نسختان في الزيتونة 390 / 2833 / المكتبة الوطنيــة بتونس (539 م) وهي معروفة بوثائق الجزيري

شرحها احمد بن محمد بن ابراهيـم الاولــى الجنان المكناسي سماه : (المنهل المورود في شرح المقصد المحمــود) ثــلاث مجلــدات (الجــذوة ص 78) .

— (الكتاب الفائق او اللائق لمعلم الوثائق) لابـن عرضون احمد بن الحسن الشفشاوني (مكتبة تطـوان 605 / خع 2293 د) (264 ص / 1090 د / 1078 د) / خم 8997 مع اربــع نسخ اخــرى .

— الوثائق لاحمد بن عبد الرحمــن الفشتالــي (القرويــن 1447) .

— وثائق الفشتالي شرحها لاحمــد بن يحيــى الونشريسي صاحب (المعيار) سماها (غنية المعاصر والتالي في شرح وثائق ابي عبـد الله الفشتالي) (طبع على الحجر بفاس مرتين في 508 و 418 ص) .

— (المنهج الفائق والمنهل الرائــق والمعنــى اللائق بآداب الموثــق واحكــام الوثائــق) يعرف بوثائــق الونشريسي .

16 بــابــا في سفــر وســط (284 ص) خع 1377 د (142 ورقــة) خع 1354 د / 889 د ط. على الحجر بفــاس (1292 هـ — 1875 م) .

وتوجد نسخة تحمل نفس الاسم في (مكتبــة تطوان 580 / 666) منسوبة لاحمد بن عبــد الواحــد الونشريسي .

— الوثائق الفرعونية لحمدون بناني الشهير بفرعون (1261 هـ — 1845 م) ط. على الحجر بفاس عــدة مــرات .

شرحها عبد السلام الهــواري (1328 هـ — 1910 م) (خــع 2477) (245 ص) طبــع الشرح مــــرارا .

— وثائق فقهية لسيدي عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي (خم 4514 / 9077) .

— (كتاب في الوثائق) على نمط ابن عرضون لعبد الرحمن بن عبد الله ابريس الرباطي .

— (الفائق في التاليف بالوثائق) لعبد الله بن محمد بن شعيب الفشتالي (خع 206 د / القرويين 141 / مكتبة احمد تيمور 361 فقه).

— (النهاية والتمام في معرفة الوثائق والاحكام) خع 2482 د (فصول : خم 683 / 876 / 811 / 8324) غير تامة لعلي بن عبد الله المتيطي نزيل سبتة موثق مشهور بفاس مهر في كتابة الشروط وضبط السجلات (570 هـ / 1174 م) .

— (وثائق مختصرة) لابن عباد محمد بن ابراهيم الرندي الفاسي (خم 4351) .

— (الوثائق) لابن عفيون محمد بن ابي بكر الغافقي المتوفى بعد 584 هـ — 1189 م

— (وثائق الفشتالي) محمد بن احمد بن عبد الملك (779 هـ — 1377 م) خع 1086 د / 1393 د / خع 2108 م (ص 221 — 425) طبعت على الحجر بفاس عدة مرات .

— (وثائق الشريف الغرناطي) محمد بن احمد بن محمد الشريف السبتي الغرناطي قاضي الجماعة بغرناطة (760 هـ — 1358 م) طبع على الحجر بفاس (28 ص) .

— (اختصار النهاية والتمام في معرفة الوثائق والاحكام) لابن هارون محمد الكناني ، (خمس نسخ في خم من 359 الى 8369) .

— (المهذب الرائق في تدبير الناشىء من القضاة واهل الوثائق) المتحف البريطاني (عدد 242) لموسى بن عيسى المغيلي (791 هـ — 1389 م)

— الوثائق بالاندلس (راجع اسبانيا المسلمة ص84) .

ولن نختم هذا البحث دون ان نشير الى نموذجين من الدراسات حول علم يندرج في الفقه والحساب لنتبين مدى شمولية الفقه بالاضافة الى علم آخر متفصل يعد من فروعه هو علم التوقيت والفلك (نخص بالذكر الاسطرلاب) .

الفرائض :

علم يدخل في الفقه والحساب برع فيه كثير من علماء المغرب نظرا لصلته الوثيقة بجانب هام من الشريعة الاسلامية وقد تحدث عنه ابن خلدون (ج 1 ص 810) ومن العلماء الذين برزوا في ذلك :

— ابراهيم بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم التميري الغرناطي المعروف بابن ابي جاح صاحب الرجز في الفرائض (الجذوة ص 87).

— ابراهيم بن ابي بكر بن عبد الله التلمساني البيري الوشقي نزيل سبتة ودفينها المتوفى بعد (690 هـ — 1291 م) (البستان لابن مريم ص 55) له ارجوزة في الفرائض شرحها علي بن يحيى المصنوني (خع 2149 د) .

— ابو الفضل بوشتى بن الحسن بن محمد الصنهاجي المتوفى (1365 هـ — 1945 م) له حاشية على شرح الفرائض للشيخ الخرشي سماها : (الايضاح والتحصيل على شرح الخرشي لفرائض خليل) (طبع بفاس في 336 ص) .

— احمد بن سليمان الرسموكي الجزولي له « حلية الجواهر المكنونة في صدق الفرائض المسنونة » (خم 936) (خم 882) « تلخيص شرح الفرائض الكبرى للجزولي » . (خم = 1557) .

— ابن زاغو احمد بن عبد الرحمن المغراوي صاحب (منتهى التوضيح في عمل الفرائض من الواحد الصحيح) ، (خم 5666) .

— فرائض زيد بن ثابت تقييد عليها لاحمد بن محمد بن ابراهيم قاضي العرائش وآسفي (1334 هـ — 1916 م) ط. فاس (32 ورقة)

— ابن البناء احمد بن محمد الازدي المراكشي صاحب (الفصول في الفرائض) شرحه يعقوب ابن ايوب بن عبد الواحد الموحدي (خع 539).

— احمد بن محمد بن خلف الحوفي القلعي قاضي اشبيلية في عهد يوسف الموحدي (580 هـ — 1184 م) صاحب (الفرائض الحوفية) خع 2310 د / 2011 د / خم 3151 — 6873/ عليها شرح لمؤلف غير مذكور .

— ابن الخياط احمد بن محمد بن عمر الزكاري صاحب (حاشية على شرح الخرشي للفرائض) طبع على الحجر بفاس مرارا وبمصر (خع 2477 د) . وله (نظم في أحوال الجد من الفرائض) مع شرح عليه طبع على الحجر بفاس .

— وللامام السهيلي كتاب سماه (علم الفرائض) المتحف البريطاني (420) .

— كما لابن هبة الله الوجديجي الملقب شقرون نزيل فاس ومفتي المغرب (شرح على رجزابي اسحاق التلمساني المعروف بالتلمسانية في الفرائض) .

— ولابي البقاء صالح بن عبد الله بن الشريف الرندي (ارجوزة في الفرائض) (الاسكوريال 943 — 954) / وتوجد نسختان في خم (2251 / 298) تسمى (الوافي في نظم القوافي) منسوبة الى (ابن شريف الرندي ابي الطيب بن ابي الحسن) .

— ولعبد الحميد المغربي نزيل طرابلس الشام (المنهل الفائض في علم الفرائض) خع 2439 د (الكتاب الثاني م = 72 — 85) .

— ولعبد القادر بن ابي القاسم البوكيلي التادلي (شرح فرائض الشيخ خليل بن اسحاق المالكي) خع 2455 د (م = 267 — 312) .

— وللعربي بن احمد بن الشيخ التاودي ابن سودة (فتح الملك الجليل في حل مقفل فرائض خليل) .

— ولعلي بن محمد بن علي الحضرمي الاشبيلي (كتاب في الفرائض) .

— ولعلي بن ميمون الغماري قاضي شفشاون (المتوفى بلبنان 917 هـ — 1511 م) (متن الفرائض) خع 2425 د (م = 192 — 238) رسالة في الفرائض (خم 6027) شرح الرسموكي علي بن احمد بن محمد (خع 2425 د) .

— علي بن يحيى بن محمد بن صالح العصنوني المغيلي (القرن التاسع) له شرح الارجوزة التلمسانية لابراهيم بن ابي بكر الشهير بالبيرى (690 هـ / 1291 م) خع 2149 د / مكتبة تطوان (اربع نسخ منها عدد 331 / دار الكتب الوطنية بتونس ق 148 — س 25 .

— ولابن جزى محمد بن احمد (كتاب الفرائض والوصايا) خع 2057 د (م = 1 — 17) .

— ولابن رشد الحفيد محمد بن احمد (الجزائر 598) (المقدمة في الفرائض) على عقيدة الامام ونسبت لابي الوليد (بروكلمان ج 1 ص 662)/ (الفاتكان 1416) عليها عدة شروح منها شرح محمد بن ابراهيم التتاني (المتحف البريطاني 627 / باريز 1057 — 1061) وقد نظمها عبد الرحمن الرقعي الفاسي (خم 5218/6840).

— لمحمد بن احمد بنيس (1213 هـ / 1798 م) (بهجة البصر في شرح فرائض المختصر) خم (8 نسخ من 2342 الى 9173) / خع 568 د 197 د و (132 ورقة مبتورة الاخير) مكتبة تطوان (1416) مع ثلاث نسخ اخرى عليها حاشية لعبد الله بن الهاشمي ابن خضرا وهناك شرح آخر لبنيس لمحمد بن المدني بن علي جنون .

— ولابن شعيب محمد شارح مختصر خليل بن اسحاق الجندي (فرائض المختصر) خع 2011 د (م = 176 — 196) وتوجد (رسالة في الفرائض) لمحمد بن بوشعيب في خع 2455 د (م = 240 — 265) .

— محمد بن محمد بن ابي القاسم ابن سودة (منظومة في الفرائض) نسخة بمكتبة الكتاني (خ ع) / مكتبة تطوان (7 / 343) .

— لابي بكر القالوسي محمد بن محمد بن ادريس الملقب بالقار (707 هـ — 1307 م) (اثارة المسائل الفوامض عن متعلقات مشكل الفرائض) .

— ولمحمد بن مرزوق الحفيد (شرح فرائض مختصر خليل) خم 1583 وكذلك في مكتبة تطوان (839) .

— لمحمد بناصر حركات السلاوي (1316 هـ — 1898 م) (منظومة في علم الفرائض) فيها 1120 بيتا قرظها عبد الواحد بن المواز عام 1309 هـ .

— محمد التاودي ابن سودة له منظومة في الفرائض (مكتبة الكتاني في خع) / مكتبة تطوان 7 / 343 لمحمد المهدي متجنوش (1344 هـ — 1922 م) (شفاء الغليل على فرائض خليل) (مجلد) .

وهناك علماء فرائضيون لم يدونوا في الفن امثال ابن هيدور علي بن عبد الله التادلي امام الفرائض والحساب (816 هـ — 1413 م) .

الاسطرلاب :

ءالة فلكية لقياس ارتفاع الشمس او النجوم وقد اهتم علماء المغرب بهذا الفن وتبلور هذا الاهتمام في الدراسات الوافية لهذه الآلة في نطاق علم الفلك وفرع التوقيت .

فابو الربيع اللجائي الفاسي تلميذ القرافي (وهو اول من ادخل مختصر ابن الحاجب في الاصول الى المغرب) اخترع اسطرلابا ملصقا في جدار والماء يدير شبكته على الصفحة فياتي الناظر فينظر الى ارتفاع الشمس كم هو وكم مضى من النهار وكذلك ينظر ارتفاع الكوكب بالليل (انس الفقير ص 68) .

وقد عثر في جامع الاندلس بفاس على عدد من الاسطرلابات منها اسطرلاب فيه رسوم يرجع تاريخها الى عهد ملك فرنسا لويس السادس عشر وتحمل امضاء لونوار Lonoir مهندس الملك وتاريخ 1789 ويظهر من المراسلات المتبادلة (بين وزير البحرية وقنصل فرنسا بسلا والتاجر Jacques Sicad الذي كان يمثل مصالح فرنسا بالصويرة) انه في عام 1786 سلم السلطان سيدي محمد بن عبد الله الى نائب القنصل Henri Natal mure اسطرلابا قبيل سفره الى فرنسا كانموذج طلب المغرب صنع اسطرلابين اثنين على غراره وتم العمل عام 1788 م واعيد الاسطرلابات الثلاثة الى الصويرة حيث سلمت الى القائد الجيلالي الذي نقلها الى مراكش لدفعها للسلطان .

راجع بحثا في هسبريس (1 — 2) 1957 بقلم Manen Hosotte - Reynand رسالة في الاسطرلاب لابراهيم بن فتوح العقيلي خع 2323 د (م = 149 — 150) .

— (تحفة اولي الالباب في العمل بالاسطرلاب) لابن سليمان الروداني .

— (استخراج تسوية البيوت من زيج الغبيك الغ بيك) .
مكتبة تطوان 567 / غوطا المانيا الشرقية 1415 او بهجة الطلاب في العمل بالاسطرلاب خع 2187 د (م = 57 — 95) .

— رسالة في العمل بالاسطرلاب لابن الشباط عيسى ابن احمد الهدبي خم = 665 خع 6845 — 5369 .

— ارجوزة في الاسطرلاب لابن قنفذ (خم 5985) .

— رسالة الاسطرلاب لابي الصلت امية بن عبد العزيز . تاريخ بروكلمان ج 1 ص 486 مكتبة احمد الثالث ف 1177 .

— رسالة ءالة الاسطرلاب (والاسماء الواقعة عليها) لابي القاسم احمد بن عبد الله بن عمر بن الصفار . خم 6665 / مكتبة تطوان (304) /خم 1472د مع اربع نسخ 2215 د / 450 / 338 .

دار الكتب المصرية 175 (ميقات) الاسكوريال (246) / المتحف البريطاني (408 — 975) / اكسفـــــورد 453 .
وهناك رسالة في هذا الفن باسم احمد بن عبد العزيز الصفار توجد ثلاث نسخ منها في خـم (2488 / 5265 / 7360) .
واخرى لاحمد بن ابـــي حميـــد المطرفـــي (خـم 7102) .

— (رسالة في صفحة تخطيط الاسطرلاب) لابي حديد احمد بن الحسن (خـم 8691) .

— (مقالة في علم الاسطرلاب) لابن البنا احمد بن محمد الازدي .

— (تذكرة ذوي الالباب في عمل صفة الاسطرلاب) للحسين بن عيسى بن محمد المجاصي .

— (تحفة الطلاب في كشف ما حضره مـن علـم الاسـطرلاب) (ارجوزة) لصالـح بن المعطـي خـــم 7421 .

— (نخبة الطلاب في عمل الاسطرلاب) (118 بيتا) لعبد الرحمـــن بن عبـــد القـــادر الفاسي . مكتبة تطوان 859 / خع = 208 د / 358 / 2023 د — 2128 د — 1411 د — 1425 د / خـم 6678 / 7106 .
شرح محمد بن عبد السلام بن حمدون بنانـــي بشرحين كبير وصغير (1163 هـ — 1750 م) اربع نسخ في خـم مـــن 4759 الى 5759 / (خع = 1411 د / 2237 د) (السلـوة ج 1 ص 146) .

— منظومة في التوقيت (86 بيتا) خع = 1524 د — 1411 د — 4347 .

— تقييد في العمل بكرة الاسطـــرلاب لمحمد بن ابراهيم بن علي بن الرقام (715 هـ — 1315م) . خـــع 2233 د (م = 208 — 210) .

— (بغية الطلاب في علم الاسطرلاب) (162 بيتا) لابن الحباك محمـــد بن احمـــد التلمســـانـــي (867 هـ — 1462 م) .
مكتبـــة تطـــوان 537 — 567 / خع 208 / خع 2300 د / 2179 د — 2417 د / برليـــن 5800 / باريز 2524 / الجزائر 1458 / زاوية سيـــدي حمـــزة 89 . عليها عدة شروح . منهـــا شرح محمد بن يـوسف السنوسي في « عمدة ذوي الالباب » .

— (رسالة في العمل بآلة الاسطرلاب وبالحساب) للعربي محمد بن عبد الرحمن مفرج الشفشاوني خم 5367 / خع 195 (28 ورقة) خع 447 / خـــع 930 د .

— « تحفة الاحباب في الضـــروري من اصـــول الاسطرلاب» .للطربوني محمد بن علي احمد الانصاري (خـــع = 2323 د) .

— « شرح نخبة الطلاب في علم الاسطـــرلاب » لعبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي . المكتبـة الوطنية بتـــونس (4451 م) .

محمد بن عبد السلام بنانـي خـــع 1411 د / 1469 د / السلوة ج 1 ص 146) .

— منظومة في الاسطـــرلاب (خع = 2178 د) . لكرضيلو الاسفي الاندلسي محمد بـــن عبـــد العزيز بن محمد بن علـــي .

— رسالة في الاسطرلاب (23 بيتا) لابـــن عبـــد الرزيق بن محمد الفاسي المراكشي مؤقـــت جامع ابن يوسف بمراكش .

— « عمدة ذوي الالباب في شرح بغية الطلاب في علم الاسطرلاب »

المكتبة الوطنية بتونس (1395 م / 3994 م) ونسختـــــان اخريـــان بالجزائر خم 5363 / خـــع 2458 د .

— « رسالة في الاسطرلاب الخطي والعمل به لابن رضوان محمد الوداشي » « تسطيع الاسطرلاب» لابن ابي الشكر يحيى القرطبـــي المعـــروف بالحكيم المغربي (مكتبة برلين 5206) .

— اسطرلاب جامع الاندلس بفـــاس (هسبريس 1957 (1 — 2) .

المغرب مسؤولية حضارية

2

للدكتور عبد السلام الهراس

— 2 —

ولئن غربت شمس الحضارة الاسلامية عن الاندلس ليحل محلها الظلام كما قال غير واحد فان هذه الشمس كانت قد بدات تسطع على افريقيا فاضاءت كثيرا من بقاعها بما حمله المغرب اليها من قبسات هذه الحضارة .

غير انه وقع ان القوى الصليبية هذه المرة تعززت بنهضة قوية ـ بينما نحن ـ العالم الاسلامي . بدانا نفقد حرارة الحماس الجماعي واصيبت شبكتنا الاجتماعية بالارتخاء والتمزق واختلت قيادتنا السياسية والعلمية والفكرية وفي جو فقدان التوازن وطغيان الاضطراب فوجئنا بهذه القوى تزحف على بلادنا وما تزال في صور شتى !!

ان المغرب تعرض خلال التاريخ لاخطار شديدة منها ما بدا انه نبع من داخله لتمزيق وحدته العقائدية مثل بعض الملل والنحل كالفاطمية والعكاكزة والبرغواطية ، ولكنه استطاع ان يسحق هذه النحل ويطهر الارض منها ، ولكن ظاهرة السيول الاستعمارية التي اجتاحت العالم الاسلامي وغيرها مست المغرب مسا خفيفا وفي آخر لحظة من حياة هذا الاستعمار ، ولكن هذا المس او المساس اصبح من اكبر معوقات انطلاق نهضتنا الاسلامية ، نعم لقد تعرضت حضارتنا دائما لتحديات خطيرة تهدف الى مسخها او الى نسخها وقد جوبهت هذه التحديات مجابهات متعددة نجح الكثير منها وفشل القليل ، ولكننا اليوم نجد انفسنا امام تلك التحديات ذاتها وان اختلفت العبارات وتنوعت الشعارات « وتعصرت » المصطلحات ، ولكن التحديات الجديدة مبنية على دراسات كثيرة وابحاث وفيرة وتجارب متوالية وأجهزة جبارة وميزانيات ضخمة ومجهودات نشيطة لا تعرف الكلل والملل ، فتمزيق مسلمي الهند الى خمسة اقسام ، ثم تمزيق باكستان واوغادين الصومالية ، وابادة شعب ارتيريا و « ترويس » افغانستان ، وقتل علمائها ، وسلسلة اغتيالات رؤساء المسلمين العظام مثل تفاوة بلحيوه واحمد اوبلو ثم مرتضى فالملك فيصل وذبح مسلمي لبنان بالآلاف ، وتصفية مسلمي سوريا ، واستئصال الحركات الاسلامية والامعان في ابادة الشعب الفلسطيني ، وقمع المسلمين منهم لترسيخ الكيان الصهيوني بجميع الوسائل ، كل هذا يقع باتفاق دولي حسب خطة مرسومة ومقاصد ثابتة صارمة ، وكل ذلك يمهد له او يقرن بانجازات تخريبية في المجالات الاخلاقية والفكرية والعقائدية والتعليمية ... وقد استطاع اعداء الاسلام في الشرق والغرب ان يوجدوا انظمة ذات واجهات ايديولوجية ولكنها تعتبر بعثا للقرامطة والمغول والصليبيين من جديد في كثير من البلاد الاسلامية ، ويجب أن نعلم انه عندما نسمع بالوفاق الدولي وبانفراج نحو السلام الى غير ذلك فان التفاؤل بذلك يجب ان يظل محصورا في رقعة المتوافقين وفي بلاد اصحابه ؛ اما نحن فقد تعودنا

من هذا ان نتشاءم وان ننتظر كوارث جديدة تصنع هنـــاك وهنالـــك !!

ان الصراع الذي نحن موضوعه واطراف فيه بالرغم عنا يدور ـ كما قال بيجين وغيره من قادة العالم المتفق علينا ـ بين حضارة الاسلام والحضارة الغربية بما فيها اليهودية . وليس هـذا بجديـد ، فالقرءان الكريم ينبهنا الى هذه الحقيقة في عـدة آيات كقوله تعالـى :

« ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتـى تتبـع ملتهـم » .

وكقولـه تعالـى :

« ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعـوا » .

وكقولـه تعالـى :

« ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون » .

والغرب أن خصوم حضارتنا يحسبون الـف حساب لنا ويقومون بعقد مؤتمرات علمية من اجـل دراسة « تقليص » حجمنا « وقولبتنا » وفق نمـط محدد وشل تطورنا ، كما تعقد مؤتمرات علمية اخرى من أجل صيانة حضارتهم ومدها بالامصال الواقيـة والامدادات المنعشة ، وسأنقل اليكم بعض مقررات مؤتمر كامبل أو مؤتمر لنـدن المنعقـد ما بيـن (1905 ـ 1907) واشتركت فيه لجنـة من كبـار علماء التاريخ والاجتماع والزراعة والبترول والجغرافيا والاقتصاد تمثل كل الامبراطوريات الاستعمارية آنذاك ومن اعضائها البروفسور جيمس مؤلف كتاب (زوال الامبراطورية الرومانية) ولوي مادلين مؤلف كتـاب (نشوء وزوال امبراطوريـة نابليـون) والبرفسور ليستر ولـنج وغيرهم .

واهم ما يجب ملاحظته ان فقرات فقط من هذا التقرير سمح بكشف غطاء السرية عنها ، اما النـص الكامل لهذا التقرير الذي يعتبر الاساس الذي تقوم عليه استراتيجية الاستعمار تجاه « الوطن العربي » ! فانه ما زال ضمن الوثائق التي تحافظ بريطانيا على سريتها التامة رغم ان من عادة بريطانيا كشف الوثائق السرية التي يكون قد مضى عليه أكثر من خمسيـن عامـــا .

نـص المقـررات :

في التوصيات العاجلة التي قدمها مؤتمر لندن الاستعماري عام 1907 ، لرئيس الوزراء البريطانـي كامبل بنرمان أكد المؤتمرون على :

« ان اقامة حاجز بشري قـوي وغريـب على الجسر البري الذي يربط اوربا بالعالـم القديـم ، ويربطها معا بالبحر الابيض المتوسط بحيث يشكـل في هذه المنطقة ، وعلى مقربة من قناة السويس قوة عدوة لشعب المنطقة وصديقة للـدول الاوربيـة ومصالحها هو التنفيذ العملي العاجل للوسائل والسبل المقتـرحـة » .

وتضمن ايضا ما يلي :

« ان الامبراطوريات تتكون وتتسع وتقوى ثـم تستقر الى حد ما ثم تنحل رويدا ثم تزول ، والتاريخ مليء بمثل هذه التطورات وهو لا يتغير بالنسبة لكل نهضة ولكل أمة . فهناك امبراطوريات روما واثينـا والهند والصين ومثلهما بابـل وآشور والفراعنـة وغيرها . فهل لديكم وسائل او اسباب يمكن ان تحول دون السقوط والانهيار او تؤخر مصير الاستعمـار الاوربي وقد بلغ الآن الذروة واصبحت اوربـا قارة قديمة استنفذت مواردها وشاخت معالمهـا بينمـا العالم الآخر لا يزال في شبابه يتطلع الى مزيد مـن العلم والتنظيم والرفاهية هذه مهمتكم ايهـا السـادة وعلى نجاحها يتوقف رخاؤنا وسيطرتنا » .

وجاء في نهاية التقرير :

« هناك خطر مهدد يكمن في البحـر المتوسط بالذات باعتبارها همزة الوصل بين الشرق والغرب ويعيش في شواطئه الجنوبية والشرقية بصفة خاصة شعب واحد تتوافر له وحدة التاريخ والدين واللغة وكل مقومات التجمع والترابط ذلك فضـلا عـن نزعاته الثورية وثرواته الطبيعية الكبيرة فما ذا تكون النتيجة لو نقلت هذه المنطقة الوسائـل المدنيـة ومكتسبات الثورة الصناعية الاوربية وانتشر التعليم

والثقافة » « وإذا حدث ذلك فسوف تحل حتمـا الضربة القاضية بالامبراطوريات اقائمة » .

ان المغرب ليس بمنجى من هذه المؤامـرات المحبوكة لخلق تيارات قومية انشقاقية ونحل عرقية انعزالية ولكننا والحمد لله لاحظنا ان الاستجابة لهذه المؤامرات كانت ضئيلة وبطيئة وسطحية غير القوم لا يكفون في الحاحهم على زرع الاسافيـن الفكريـة والعقائدية ويبذلون الاغراءات الماديـة والالقـاب العلمية والجامعية على كل من يركن اليهم في حين يهتبلون كل فرصة لبذل « النصيحة الماكرة » وتقديم « الخبرة السامة » للتهويل من التيار الديني وتشويه حقيقته والتخويف منه والتحريف عليه لان الفتنة هي المناخ الوحيد الذي يتسنى فيه لاعـداء الاسلام ان يتسربوا خلاله للتوجيه والسيطرة والسيادة . كما يقع الآن في مصر التي تستغل فيه الاقلية القبطيـة وفي سوريا التي تستغل فيه الاقليـات النصيريـة والدرزيـة والارثوذكسيـة والـروم الكاثوليـك والاسماعيلية ، وكما هو الامر في لبنان وفي العراق بالنسبة للاكراد رغم سنيتهم والامر كذلك بالنسبـة للسودان . وان مؤامرة الصحراء التي يشترك فيهـا اشقاء لنا بالمغرب العربي داخل في هذا المخطـط الرهيب الذي يشغل المغاربة الى حد كبير عن عزمهم للاضطلاع بمسؤوليتهم الحقيقية بافريقيا والعالـم الاسلامـي .

ان الاستعمار الجديد قد افلح الى حد بعيد في تعويق النهضة الاسلامية بقدرته على اتـلاف كـل وسيلة للترابط بين المجتمع الاسلامـي في البلـد الواحد او في البلاد الاسلاميـة وباستحـواذه على مسالك التوجيه ومناطات الادارة واتقانـه الخارق لزرع بذور الشك والريب واشعال الحرائـق على مستويات مختلفة ودابه على ايجاد المجال المستجيب لنفوذ وتوجيهه وفي العالم الاسلامـي من القابليـة والطواعية ما يحقق له اضعاف ما كان ينتظر .

— واجب ان اخلص الى القول ان رد التحدي يجب ان يكون اقوى من التحدي نفسـه اي ان يكـون مزودا بسلاح اشد فتكا . ولقد جرب العرب بدائـل متعددة ، ورغم الهزائم المنكرة لهذه البدائل ومـا جرته عليهم من ويلات فانهم لم يفلحوا بعد في التنبه الى حقيقة الصراع وطبيعة المعركة ، ان الاستـمرار في السير العشوائي او غير القاصد لا يعني في اكثر الاحتمالات الا السقوط والدمار . وهذا السقوط في النهاية لا يدل الا على ان الافكار التي تكمن خلف هذا السير هي التي سقطت ، لذلك لا مفر من بناء أفكار اخرى جديرة بان تضعنا في مسار الاقلاع الحضاري الذي هو وحده القادر على تخليصنا من هذه الورطات المتكررة والخيبات المتلاحقة .

وان المغرب الذي استطاع ان ينشر الويـة الحضارة الاسلامية في اوربا وافريقيا واستطـاع ان ينقذ هذه الحضارة من السقـوط ويضمـن لهـا الاستمرار عدة قرون بالاندلس واستطاع ان يسفـه احلام اعدائه دائما لمدعو اليوم للنهـوض بنـفس الرسالة والاقلاع بنفس الافكار الحضارية التي زودته دائما بالقوة وحركت نشاطه ووجهت طاقاته . ممـا جعل شخصيته في التاريخ حصينة ومنيعة ، وقـد تيقن أعداء هذه الحضارة بذلك فقد قال احد دهاتها:

« ان رسالة فرنسا في المغرب رسالة يمكـن اعتبارها فريدة من نوعها ، فهي تقوم أولا على تزييف تلك الاسطورة التي تقول انه لا أحد يستطيع ان يغير الشخصية المغربية لانها اقوى الشخصيات في افريقيا كلهـا » .

واسلوبهم في ذلك المدفع اي القوة حيث ينفع المدفع او القوة والا فالانجع ما سطرتـه مـدرسة اليوطي (اول مندوب سامي بالمغرب) .

« ان طلقات المدافع توازي عمـل اضعـاف فهناك ايضا طبائع وعادات واحقاد ومنافسات ينبغي معرفتها واستخدامها لمعارضتهـا ببعضهـا » ... وهذا ما تسير عليه هذه القوة الى الآن ، **اذ نجد في** فرنسا وبالضبط في شارع اوزيس رقـم 5 هيئـة تسمى بالاكاديمية البربرية مهمتها كما يقول وزيـر سابق للعدلية الفرنسية بمناسبة دعوى نشبت بيـن متخاصمين جزائريين ينتسبان لهذا النادي : « لقد اهتممت كثيرا بمذكرتكم حول اهمية الظاهرة البربرية في بلدان المغرب والفائدة التي قد يجنيها بلدنا اذا ما قام باستغلال الخصوصية البربرية » (العلم 15 / 7 /1980) .

ان المغرب المسلم لم يعرف قط تفرقـة على اساس قومي او عرقي او لغوي لان الاسلام تكفـل بتوحيد القلوب والمشاعر واستطـاع اذابة تلـك

النزعات المنحرفة التي تعمل عملها في تمزيق وحدة الشعوب . وقد امتاز المغرب والحمد لله بالاحساس بالوحدة كلما داهمه خطر أو هدده فزع لكن هـــذه الخصوصية لن تستطيع ان نحتفظ بها ما لم نحتفظ بالمناخ الثقافي الذي يغذيها ويمدها بعناصر الحصانة والوقاية والسلامة من الآفات لتلك الآفات التي بدات تتسرب اليها عبر هذه الفوضى الثقافية التي كادت تطبع حياتنا منذ أزيد من عشرين سنة .

ان اعداء حضارتنا لا يملون في ابتداع اساليب التخريب والتمزيق كما يقول احد دهاقنتهم :

« أن طلقات المدافع توازي عمـــل اضعـــاف المعنويات وتثبيط الارادات وتشتيت الجهود ، وعندما تسكت المدافع فان التهديم الداخلي يكون اذاك على اشد في الفتك والتخريب » .

ولكن لا تنفع تلك المدافع ولا تلك الاساليـــب امام شعب صمم على الاستقـــلال يدرك ان دوره في ازدهار حضارته ونشرها من جديد باسلوب العصـــر وفي مواجهة التحديات التي تريد مسخ حضارة أمته الكبيرة ونسخها واقتلاعها من الجذور هو دور اساسي وملح ، ولذلك فان الخلاص لن يكون الا فـــي مخطط مدروس للانطلاق الحضاري على أسس علمية واضحة وشاملـــة .

انه لا بد لنا من ان نسير ، ولا سير اذا لم يكن هناك هدف واضح ولا هدف اذا لم تكن هناك فكـرة وعقيدة تربط بين الافراد وهذه العقيدة هي التي تجعل نشاط الافراد يتجه لتحقيق ذلك الهـــدف ، ويشعر كل واحد بحقيقة واجبه في السير ويحكم حركتـــه ضمن اطار الحركات الاخرى التي تنطلق من شعـــور واحد نحو هدف مشترك وهكذا يشترك في بناء هذه الحضارة وسيرها واستمرارها : الطبيب والمهندس والصباغ والطباخ والزبال والحلاق والاستاذ والاداري والقاضي والشرطي والصياد والحارس والجنـــدي والرياضي فتراهم في توادهم وتعاطفهم وتعاونهـــم كالجسد الواحد ، ذلك الجسد الذي يقوم على ملايين الخلايا وشتى الاجهزة وان تنوعت وظائفهـــا ، فان حياتها في ذلك التنوع . فكل ميسر لما خلق لـــه ، وبذلك يحققون معنى الاخوة والتآخـــي : « انمـــا المؤمنون اخوة » ، و « المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا » فلا تناقض ولا تآمر ولا حركـات نشاز ولا عقائد او فكرة شاذة او اهـواء طائشة ونـــزوات عميـــــاء .

وذلك المخطط المدروس يجب ان يكون كمـــا قلنا شاملا شمول الحياة ، اي في ميدان التربية من الروض الى اعلى التخصصات الجامعية ، وفي برامج الاذاعة والتلفزة وفي المسجد والتشريع والقضـــاء والادارة والاعلام والاقتصاد والاعمـــار والاسكـــان والفلاحة والشؤون الترفيهية والفنون ، لان الحضارة كل لا يتجزا ، وهذه الحضارة لا تصنع خارج النفس والروح «ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم» لذلك فان حل مشاكلنا المتعددة والمتراكمة والمتزايدة يوجد داخل انفسنا نحن ، وبأيدينا نحن ، فعندمـــا نريد ان نعيد لبلادنا مجدها وحضارتها ، فان علينا ان نستخرج من اعماق انفسنا انغامها الروحية ونطهرها من نغمات غريبة عنها كما يقول الفيلسوف المسلم : محمد اقبال ، وما اجمل هذه الانشودة لشاب مسلم عرف الحقيقة فصاح يقول مستلهما انشودة مالك بن نبي في ديباجة شروط النهضة :

« ها قد انهار سد الاصداف التي قذفها الروم على الشاطىء العربي على مدى قرن كامـل والـــذي طرب لطقطقتها الكثيرون من البسطاء المتشوقـــون للخلاص ، وها قد تعالت الصيحات من كل جانب . يا للهول . لقد ظننا في جوفها ... لؤلـــؤا ... ان ساعة الخطر العظيم قد دقت فاصبح الاختيار اشد خطرا ... وويل للذين يتلهون بعد اليوم بالاصداف » .

ايتها العيون المشدوهة التي تعلقـــت طويـــلا بالاشباح اهجري كهف الغابة واخرجي الى صحـــراء الحقيقـــــة .

ايتها السواعد الفتية التي صارعت الاوهـــام طويلا اغلقي سوق السحرة والمشعوذين وحـــرري الفكـــر لتتحـــرري .

يا للعجب ، ان نقيق الضفادع الذي استمـــر طيلة الليل لم ينقطع بعد ، مع ان النهار قد تبدى .

ايتها الضفادع .. لقد ملتك السواقي فارحلي عنهـــا » ...

والحقيقة ان منابع الوعي قد تفجرت هنا وهناك وان الجداول الصغيرة والسواقي الهادئة ستتحـــول

قريبا الى أنهار متدفقة شديدة التيار لتحيي الارض بعد موتها وعندئذ يفرح المؤمنون بنصـــر الله ، اذ يستعيدون مسؤوليتهم الحضاريـــة وفي طليعتهـم المغرب المسلم ، الذي يعد القلعة الاسلامية الاولى في الغرب الاسلامي ، ولذلك فان على هذه القلعة ان تحيي مراكز قواها ومعسكرات قاداتها وذلــك برسم تخطيط علمي يوضع حيز التنفيذ لنهضة قرآنية عـن طريق بعث النشاط لحفظه في البوادي والمدن وعلى تشجيع دراسة علومه واحياء المراكز العلمية القديمة وانشاء أخرى جديدة لتكون روافد للقرويين التـي يجب ان تستعيد رسالتها العلمية لتصبح كما كانـت المنارة العظمى التي تنير افريقيا الغربية وتساهم في الاشعاع الاسلامي في العالم كما يجـب ان تكـون الثقافة الاسلامية مادة اساسية في جميع مراحـل التعليم وانواعه ، بل يجب ان تكون هـذه المـادة مفروضة على طلابنا الذيــن يدرسون بالخــارج ولا يعترف بشهادتهم الا بعد ان يتجاوزوا فيها الامتحان النظري على الاقل وان المغــرب الذي كان مسؤولا حضاريا منذ ان اشرق الاسلام في ربوعـه مـا زال مستعدا لتحمل هذه المـسؤولية في القرن العشرين والواحد والعشرين لا سيما وان شبابه ادركوا بفطرتهم ان الاسلام هو الخلاص الحقيقي والاطـار الوحيـد لبعث حضاري عظيـــم .

مـلاحظـــــات :

1) ان هذه الكلمة اصلها محاضرة القيت بمدينـة وجدة في رمضان سنة 1401 .

2) النصوص الواردة هنا مأخوذة حسب الترتيب مـن :

— كتاب وثائقي للتدخل الاستعماري في البـلاد العربية ، نشرته سوريا البعثيـة .

— لمحات من تاريخ الحركة الفكرية بالمغـرب : للاستاذ الكاتب البارع احمد زياد (ص 141) .

— محمـد خيـر فـارس صفحة 83 — 85 .

— أما الانشودة الأخيرة فمأخوذة من كتيـب : ما بعد النكبتين : لتوفيق الطيب .

رأي للمناقشة :

كيف تستفيد الأمة الاسلامية من قوة شبابها

للأستاذ أحمد عبد السلام البقالي

خلفية لا بد منهـا :

وانا طالب فلسفة وعلم اجتماع (بجامعة القاهرة) كنت اتسبب لصديقي (محمد) في كثير من الازعاج..

ايقظته مرة من عمق قيلولته ذات ظهيرة لافحة القيظ ، لا صيح في وجهه :

— كيف تستطيع أن تنام وأنت لا تعرف الجواب ؟ .

فجلس في فراشه يفرك عينيه ويسأل :

— الجواب ؟ على ما ذا ؟

— يا الهي ! على السؤال الاكبر يا مغفل !

فزادت حيرته ، وحملق في وجهي بعينيه السميكتين :

— السؤال الاكبر ؟ وما هو السؤال الاكبر ؟

فتصنعت الذهول :

— الله ! انه لا يعرف حتى السؤال الاكبر !

ما هذا ؟ هذه نهاية العالم ولا شك . وبعد ان زال عجبي قلت شارحا :

— السؤال الاكبر ، يا عبيط ، هو الذي يتعلق بوجودك ووجودي . بوجود العالم بأسره ، بطوله ، وعرضه ، وعمقه .. وبجميع أبعاده المادية والروحية ، الساكنة والمتحركة في بحره الممتد ، من الازل الى الابد !

وتمائل (محمد) من غشيته ليجيب عن تهويلي :

— وانا مالي ؟ انا مجرد طالب حقوق .. انتم، طلاب الفلسفة ، الذين يجب ان تجيبوا على هذه الاسئلة .

وقام يعد الشاي ..

وحين صفا ذهنه نوعا ، بعد اول جرعة من شايه الاخضر المنعنع والمركز ، تصدى لي :

— ما هذه الزوبعة التي تدور في دماغك ؟ انت ما تزال في السنة الاولى ، وتريد ان تفهم كل شيء . كل يوم تأتيني متحمسا لنظرية في أصل الوجود ، لتعود في اليوم التالي بنظرية جديدة لفيلسوف جديد تدحضها وتفندها ، بل وتسخر منها . فلماذا لا تنتظر قليلا حتى تنتهي النظريات من تطاحنها وتكف عن ازعاجي ؟

ورشف من كأسه ، واضاف :

— انا ارثى لحالكم يا أصحاب الفلسفة !

ــ لمـــاذا كفى الله الشر ؟ !

ــ لانكم دخلتم الشعبة اما عن جهل كبير ، او غرور اكبـــر .

ــ وكيف ذلك ، يا سيد لقمـــان ؟

ــ اقول لك : انتم دخلتم شعبة الفلسفة اما جاهلين بان عددا هائـلا من المكريـــن قبلكم كالهنود والصينيين ، والاغريـــق والمسلمين العرب والاعاجم ، والاوروبيين، حاولوا الاجابة عن نفس الاسئلة ، منـــذ آلاف السنين ، منذ بدا الانسان يقلـــب وجهه في السماء بدون جدوى ؛ واما عارفين بذلك ، ومعتقدين انكم انتم الذين سياتي على يدكم الحل ! وفي كلا الحالتين تكونون في منتهى الجهل او غاية الغرور!

فأخذتني العزة بالاثم ، وقلت رافضا الاعتراف بصدق ما يقـــول :

ــ الفلسفة ، يا جاهل ، ليست مفتاحا لحل طلاسم الوجود بقدر ما هي رياضة للعقل ، وتدريب له على التعمق في بواطن الاشياء ، وعـــدم الاقتنـــاع بالظواهر والسطحيات واذا لم نصل الى حل الاسئلة الكبرى ، فاننا نعثر ، ونحن في طريقنا اليهـــا ، على عدد هائل من الحلول لتساؤلات البشرية الصغيـــرة اليومية ، مما يجعل للحياة لذة وطعما افضل .

وانصرف عني الى مجلد القانون الروماني الاسود المخيف وهو يهمهم :

ــ اذا اردت رايي ، فان معنى الفلسفة كامن في اسمها .. فنصفها الاول « فلس » والثاني «سفه» وستسمى حين تتخرج ــ بعد عمر طويل ان شاء اللهـ « بالاستاذ المفلس السفيه » !

مراحـــل النضـــج :

مرت على هذه المناقشة ما يقرب مـــن خمس وعشرين سنـــة ..

وقد تخرجت بعد اربع سنوات ، خلافا لنبوءة صديقي العزيز (محمد) ولكنني اصبحت اكثر تواضعا واقل ادعاء وغرورا مما كنت عليه في السنة الاولـــى بالجامعـــــة ..

وشاهدت في بحر هذا الربع قرن افواجا مـــن طلبة السنوات الاولى يناقشون احـــوال بلادهـــم ، بنفس حماسي الجاهلي القديم ، وكانهم نسخ طبـــق الاصل مني آنذاك ، ويعددون اسبـــاب تخلفهـــا ، ويخرجون من قبعاتهم السحرية الحلول لادوائها ، كل حسب اختصاصه ، جازمين بان بلادهم بمجرد ابتلاعها لهذا القرص الغربي ، او تجرعها لذلـــك التريـــاق الشرقي ، ستشفى من مرض« التخلف » ، وتصبح في الغد القريب تحتك بالمناكب مع دول اوروبا الغربية، او الولايات المتحدة .

وكما كنت ، وانا طالب فلسفة في السنة الاولى، اكثر ثقة بنفسي في العثور على الاجابة على « السؤال الاكبر » ، كذلك لاحظت طلاب الســـنوات الاولـــى للاقتصاد والقانون والاجتماع في بحر السنوات التي تلت تخرجي ، يتعاملون مع مشاكل مجتمعاتهم المعقدة بتنظيرات تبسيطية تطبعها المثاليـــة ، والتجـــرد ، واسقاط الحالات النفسية الذاتية عليها .

* * *

صمـــام الامـــان :

وعالمنا العربي والاسلامي الذي يزخر بالطاقات الحية الشابة ، وتبلغ نسبة سكانه الذين لم يتجاوزوا الخامسة والعشرين ، السبعين في المائة احيانـــا ، لا بد من ان يعمل على توعية شبابه بهذه الحقائـــق ، وذلك بادراج عناصر من الحـــوار الراشد الناضـــج داخل المقررات الدراسية ، والبرامـــج الاذاعيـــة، والتلفزيونية ، على شكل ندوات تطرح فيها مواضيـــع التنمية والتخلف للمناقشة باشراف شخصية ناضجة مجربة ، وعلى شكل تمثيليـــات ومسلسلات تناقش هذه المواضيع داخل اطار قصصي جذاب يستهوي الصغار والكبار ، وتعطى الاجابـــات على تساؤلاتهـــم المحيرة بطريقة غير مباشرة ..

وسيكون هذا الحوار المنطقي الجاد والهادف متنفسا للشباب ، يروح فيه عن ضيقه ويخفف مـــن غلواء حماسه ، ويفشل كل مسعى اجنبي للتاثير عليه، وملء فراغه الفكري والروحي ، وتجنيده في صفوف جيوشه الهدامة عبر العالم .

كما سيكون الحوار ذا نفع مزدوج ، ينتفع فيـــه الشباب من اجابات المسؤولين والمفكرين في البلد على تساؤلاتهم ، وينتفع هؤلاء المسؤولون من افكـــار الشباب التي قد تفاجئهم بجدتها ، وعمقها ، وعبقريتها ومرونتها ، وسهولة تطبيقها .

الشركـــات الامريكيـــة :

ومثل هذا الاعتقاد دفع بأصحـــاب شركـــات السيارات الكبرى ، والمشاريع الحيوية في (الولايات المتحدة) الى طرح مشاكلهم التقنية المعقـــدة على طلاب الثانوي في عشرات المـــدارس ، راصديـــن الجوائز المغرية للحلول الناجعة .. ولم يكتفوا بآراء مهندسيهم الكبار .. ذلك لان « العقل اعـــدل شيء قسمة بين الناس » و « قد يوجد في النهر ما لا يوجد في البحـــر .. » .

واهم من هذا كله ، ان طرح اشكالات التخلـــف على الشباب ، واشراكهم في البحـث عن الحلـــول الناجعة لها ، يجعلهم واعيـــن بالمسؤوليـــة التـــي سيتحملونها في مستقبل الايام ، ويعجل بنضجهـــم ، ويبصرهم بأخطار الاندفاع نحو الحلول الساذجـــة ، والمستردة في الغالب ، من بلاد لا شبه لنـــا بها .. حلول فاشلة اساسا حتى في تلك البلاد التي تصدرها

وسيكون لهذا الاشراك الواعي مفعول السحـــر في محو الفروق بين طبقات السن ، وغلق الفجوات بين الاجيال .. وسيصير الشباب اكثر تفهما لمواقف الكبار ، واقل قسوة في انتقادهم ولومهـــم على مـــا ورثوه هم انفسهم من تركات التخلف .

حكمـــة الوعـــول :

من عادات الوعول والايائل في الاصقاع المتجمدة بالقطب الشمالي وسيبيريا وشمال كندا ، ان تسيـــر وراء قائد واحد في صف طويل .. وحيـــن يتعـــب القائد من شق الثلوج امام القطيع يخلفه وعل قـــوي آخر في المقدمة ، وهكذا حتـــى يصل القطيـــع الى نهايـــة رحلتـــه ..

ولو مشت الوعول كل على هواه ، وشق كـــل منها طريقه لنفسه داخل الغطاء الثلجي السميـــك ، لانقطعت انفاسها جميعا ، وانهارت في اول مرحلة من مسيرتها الطويلة ..

وحتى لا تكون اقل حكمة من الوعول ، يجب ان نشق الطريق الوعر امام شبابنا ، ونجنبهم ما عانيناه نحن من محن الشك ، والغضب ، والثورة على الكبار باطلاعهم على تجاربنا ايام ان كنا في سنهم ، حتى لا يعتقدوا اننا ولدنا كبارا ، وان تجربتهم فريدة مـــن نوعها ، لم يسبق مثلها للاوليـــن ، ولـــن يعانيهـــا الآخـــرون !

فاذا عرفوا انهم ليسوا وحدهم ، وان تجاربهم هذه من سنن الحياة ، عاشهـــا آباؤهـــم قبلهـــم ، وسيعيشها ابناؤهم بعدهـــم ، زايلهـــم الخـــوف ، والتشاؤم ، والتمرد .. « والمصيبـــة اذا عمـــت هانـــت » .

رواد التجربـــة :

وينبغي اختيار رواد هذه التجربة مـــن كبـــار المختصين في العلوم الانسانية ، وخاصة علم الاجتماع ، والفلسفة ، والتربية ، وعلم النفس التربوي ..

ولا تكفي صلاحيتهم العلمية في هذه الميادين ، بل يجب ان تتوفر لهم الخصائص الشخصية كذلـــك للاضطلاع بهذه المهمة الحساسة والدقيقة . فيجب اختيارهم من بين ذوي الحلم ، والصبر ، والانفتـــاح على عالم اليوم ، والخبرة بوسائل الاقناع غير المباشر ، وان يتحلوا بروح المرح والشباب ، وان يكونوا مـــن ذوي التجارب الطويلة في ميدان التعليم ، وان يكون لهم اولاد من الجنسين .

واذا كانت هذه الشروط صعبة بحيث لا تتوفر الا لاقلية من الناس فان هناك وسائل لتعميم منافعها على الامة بأسرها ، وذلك عن طريق وسائل الاعـــلام المرئية ، والمسموعة ، والمقـــروءة ، المدرسيـــة او العامـــة ..

ويحتـــاج تعميـــم هذه التجربـــة الى ارادة المسؤولين عن التوجيه في الامة العربية والاسلامية . ولا يوجد بديل عنها الا التجاهل والضغط الذي لا بد ان ينتهي بالانفجار ، لا سمح الله .. فهـــي بمثابـــة صمام امان . لتهوية الادمغة الشابة ، وتصريف مـــا يتجمع فيها من ابخرة الثورة والتمرد الصاعده مـــن مثالية الشباب الذي يصطدم يوميا بفساد المجتمـــع من حولـــه .

والله ولـــي التوفيـــق .

احمد عبد السلام البقالي

الحِسبة كولاية شرعيّة
تعود إلى أصلها بعد غياب طويل

للأستاذ عبد الله الجراري

من فترة لاخرى يطغى الانسان على اخيه الانسان في سطو وقهر دونما تقدير لانسانية او عطف يتمتع بهما كل فرد من افراد البشر عامة (أن دماءكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام) الحديث .. كطبيعة دفينة في النفوس تهدف البغي والظلم المخبوءين تحت جناح كل احد (القوة تظهره ، والعجز يخفيه) . يشير ابو الطيب الى هذا المدلول قائلا :

والظلم من شيم النفوس فان تجد
ذا عفة فلعلة لا يظلم

ومن منظور هذه الظاهرة الحيوانية التي بدت قبل كاول جريمة نكراء على وجه البسيطة (بارتكاب اثم القتل عمدا) بسطو قابيل على اخيه هابيل ابني ءادم عليه السلام .

تمكن هذا الخلق الردىء من الانسان الذي كانت انسانيته في فحواها منبثقة من مادة الانس والتأنس القاضية بالعطف والحنو رعاية للفطرة والسير على سنها الالهي ، فكان هذا من دواعي ايقاف الاثم والضرب على يد مرتكبيه في اي كان في النفس والاسرة وفي المجتمع عامة وايا كان جنسه ولونه (الناس سواسية في الوضع) شعوبا وقبائل قصد التعارف والتعايش والتمازج فيمابينها خدمة للصالح العام لا علو ولا تفاضل الا بالتقوى (أن اكرمكم عند الله اتقاكم) سورة الحجرات 13 .

ومن منطلق هذه الظاهرة جاءت حكمة الباري جلت قدرته على السنة انبيائه ورسله من المصطفين الاخيار من الامم بنشر الدعوة في الخليقة تبشيرا وانذارا أمرا ونهيا مستمرين في أداء الرسالة التي تحملوها مستميتين في التبليغ رغم ما كانوا يلاقون في ذلك من مشاق ثقيلة نفيا وتشريدا وتنكيلا لحد القتل، يقول الرسول الاكرم صلوات الله عليه وهو يقاسي من قومه العرب ومشركيهم المرائر والشدائد في أناة وصبر : « اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون » .

اجل فكان لدعوته العامة اثرها الحميد خاصة في اصحابه الذين تحملوها كامانة غالية بثوها في الصدور غضة طرية منبعثة من تشريعاته صلى الله عليه وسلم وسيرته المصفاة الخالدة التي تجد المسلمين اليوم وفي شهر مولده الربيعي الانور خاصة ينشرونها بين يدي جماهير المومنين المتعطشين لها في المساجد والمعاهد والكليات والمنتديات ، اذاعيا وتلفزيا كتنوير للقلوب وتبصير للنفوس بما يجب ويطلب من اصحابها كمسلمين صادقين خلقوا وما خلقوا الا للعمل المزدوج دينا ودنيا على ضوء الهداية الحق وروح الاسلام المصفى « وما خلقت الجن الانس الا ليعبدون» سورة الذاريات 56 .

فلقداسة الاسلام وتشريعاته المتفقة والمنطق السليم كانت استمرارية حلقاته متسلسلة جيلا بعد جيل ، بيد أن هذه الحركة النابعة من السيرة المطفية

ودراستها يتأكد بل تجب مواصلتها طوال السنـــة دونما توقيت يحدها في أيام معدودة ، تكاد تجعل بين المسلمين فاصلا قد لا يتورع ينسيهم ما هم في اشد الحاجة اليه من اتصال وممارسة لها كخلق له فعاليته في شحذ النفوس وحملها على الاهتداء بسلوك الرسول واخلاقه الكريمة والسير على سننه ونهـج تعاليمـه ومبادئه السماوية عن اطمئنان وايمان . « لقـــد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة» ــ سورة الاحزاب 21 . « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم » ــ سورة آل عمران 31 .

واذ يطرا ما يطرؤ على البعض من انحراف قـد يؤدي الى الخروج عن الجادة التي فطر الناس عليهـا منذ النشأة الاولى ، واعتراهم ما اعتراهم من سبـــاة غدوا في دوامته حيارى لا يدرون ما يأتونه وما يذرون: اتى الله تعالى بلطفه وتوفيقه بمن يأخذ بيدهم هاديـا ومنقذا لهم مما وقعوا فيه من مآزق الحياة ومخازيها المردية والمستاسدة في تطاول ليس فقط على العمل بل وعلى العقيدة ايضا بما ينشر مـــن آراء وافكـار مستوردة تغزو بايديولوجياتها النشء البريء والشباب الطاهـــــر .

وانطلاقا من هذا المنظور المؤلم : نـــرى الله تعالى يهيىء رجالا صلحاء يقع الاختيار عليهم رجـــاء الانقاذ والتسيير وفق التشريع الاسلامي ووجيـــه المقدس كأمراء وقواد يأخذون الزمام آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر في حكمة تهدف اليسر والسهولـة عن اقتناع لا يدع في النفس حيرة أو شكا ، وفعـــلا تكونت ولايات وعمالات هنا وهناك وفي كل صقع مــن اصقاع المعمور شرقا وغربا ، وفي خضم هذه الظاهرة جاء الاختيار للاكفاء العاملين في صدق وامانة رغبـة الفصل بين الناس فيما ينزل من خصومات وصراعات قد لا تحمد مغبتها لو اغفلت ، ولكن في رفق وعدالة تحت ظل مناهج الاسلام ودينه الحنف .

(لا يصلح الناس فوضى لاسراة لهم
ولاسراة اذا جهالهم ســـادوا)

واليوم وقد تفشى الانحراف في كافة القطاعات وينابيعها الحيوية ، وطغى الانسان على اخيه الانسان ، وطفح الكيل ، واصبحنا في حيرة مذهلة لا تدري اين نضـع القـــدم .

نعم فرغم ما تقوم به الدولـــة من مقاومـــات ومعالجات لا يرى فيه الارتداع الحاسم والنزوع الكلي الى السوي المرغوب الذي نادت بـــه التشريعـــات السماوية لاصلاح البشر اصلاحا جذريا ، وتقويمـــه تشريعا وسلوكا ابعادا له عما اصبح يتخبط فيه ويجري على مرأى ومسمع من الجمهور، غش وخداع ، وكذب وزور ، وفحش ومحرمات تؤتى ، ومقدسات تنتهـك دون خجل اوحياء .

شيء حفز حكومتنا الموقرة للعود الى النبـــع الاصيل الذي به ارتفعت أمة الاسلام على غيرهـــا ، « كنتم خير أمة اخرجت للناس تامرون بالمعـــروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله » (سورة آل عمران 110) فارادت الرجوع الى الاصالة في بعض قطاعاتها المضاعة ــ كالحسبة ــ احدى الخطط الست التـــي يعرف القائم بمهنتها (بصاحب السوق) المحتسب المهنة التي يعرفها الامـــام الماوردي الشافعـــي في احكامه السلطانية قائلا : « الحسبة امر بمعروف ظهر تركه ، ونهي عن منكر ظهر فعله » ، يقول الله تعالـــى في كتابه المبين : « ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هـــم المفلحون » (سورة آل عمران ــ 104) .

فعلى من تولى هذه السلطة الشريفة ان يصدق في خطتها باحثا عن المنكرات الظاهـــرة كالبـــخس والتطفيف في الكيل والوزن ، والغش والتدليس في ثمن او مثمن ، والمطل بالدين (تاخيره مع القدرة على الاداء) . فالمحتسب منصوب لازالة هذه المنكرات الظاهرة . اما الخفية منها فلا يجوز البحث عنهـــا ، اذ شرط النهي عن المنكر ظهوره من غير تجسيس ولا استراق سمع ولا استنشاق ريح ، وليس له البحث عما اخفي بيد او ثوب او دكان ، نعم اذا وقع ونـــزل وحصل الاطلاع مع التجسيس لا يسقـــط التغييـــر الواجب على الفقيه المحتسب القيام به شرعا ومهنة ثم ما صدر عن الخليفة عمر الفاروق رضي الله عنه اذ تسور حائط الفتية الذين ولعوا بالراح كي يقف على هويتهم غرة وخفية فليس هو المذهب .

والى القصة يشير الشاعر حافظ ابراهيم فـــي يائيته البسيطية بقوله :

وفتية ولعوا بالراح فانتبذوا
لها مكانا وجدوا في تعاطيهـــا

ظهرت حائطه لما علمت بهم
والليل معتكر الارجاء ساجيها

الى قولـــــه :

قالوا مكانك قد جئنا بواحدة
وجئتنا بثلاث لا تباليهــــا
فائت البيوت من الابواب يا عمر
فقد يزن من الحيطان آتيهــا

واستأذن الناس أن تغشى بيوتهم
الى آخـــر القصــــة .

ثم أن هذه الالتفاتة الكريمة ، والبادرة الطيبــة تعد لبنة اخرى من اللبنات التي احياها عاهلنا المفدى الحسن الثاني ايده الله ، والتي يلذ انشاد المفــرد التالــي عندهـــا :

(يزيدك وجهـه حسنـــا
اذا مـا زدتـه نظـــرا)

ومن هذا العرض الخفيف نرى ان تعاليم الاسلام ومبادئه اذ تنطوي على شيء فانها تنطوي في مكتونهـا التشريعي على مكارم سامية ومساعي جامعة لمحامد الاخلاق ونبل الشيم وصالح المقاصـــد التــي على ضوئها ترتكز الوحدة المنشودة ، وتتمتن الروابط ، وتتحد القلوب ، وتصفو في ذات الظرف مما قد يعلق بها من مساوىء ومخاطر من شانها بث التفرقة وتمزيق الصفوف وتفتيتها شيء اصبح المجتمع الاسلامــي يعاني متضايقا ومتأففا من مكارهه المساورة دون ان يفكر في وسائل التحلل والانعتــاق الكامنيـــن في الرجوع الى تعاليم السماء السمحة ، ومبادئها الطاهرة والمصفاة من اكدار المادة الطاغية والمخبوءة فيمــا المعنا اليه آنفا يجري في المعاملات الفاسدة مـن غش وخديعة ، نرجو الله تعالى آملين فـي صـدق واخلاص أن تكون تلك البادرة الحميدة ، بادرة العـود الى بعض ما أمر الشرع به وخطه في اطــار منطــق سليم ـ كالحسبة ـ وما لها من فعاليــة رائــدة في السوق بتخليصه من شوائب الميعة والبغي تطغيفا في الكيل والوزن وقد شردت النفوس سابحة في غفلة مطبقة عن الويل المرصود لاصحابه عياذا بالله تعالى « ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون » (سورة المطففيـن 1 ـ 2 ـ 3) .

وختاما نحمد هذه الالتفاتة الطيبة من قائدنــا الرائد نحو هذا القطاع الحيوي الخطير من ولايــات الاسلام واعادته لاصالته حقق الله الرجاء .

●● ديوان الشعر الاول للشاعر الاستاذ عبد الرحمان الدكالـي رئيس المجلس العلمي باقليم الجديدة يصدر قريبا ويضــم قصائــد وطنيــة واسلامية ووجدانية تغطي فتــرة خمسيــن سنــة ●●



مع اللغة
-3-

للأستاذ محمد بن تاويت

فيما تعرضنا لافعل وفعل المضاعف ، قلنا ان مما يشتركان فيه التعدية ، وهذا ما يهم النحوي والصرفي ، ولا يهم اللغوي كثيرا ، وقد سرحنا البصر في هذا التضعيف ، بغير الافعال ، فوجدناه في « الفعال » المضاعف ، يعني بعض ما عناه « فعل » المذكور ، من التكرار والمزاولة والاستمرار ، ومن ذلك الامتهان والاتصاف .

وقد تتبعت فعال المضاعفة ، في القرءان الكريم ، فالفيتها تقارب مائة مرة استعمالا ، وفي كل الحروف ابتداء تقريبا لم يشذ عن ذلك الا حرف الذال والزاي والشين والصاد والضاد والياء .

وفيما عدا الدال ، فانها المعروفة في النحو والصرف ، بانها صيغة مبالغة ، اما الواردة في الدال بالقرءان ، فليست من هذا القبيل وانما هي من قبيل ما اغنى المنسوب بياء النسب ، كما قالت الخلاصة :

ومع فاعل وفعال فعل
في نسب اغنى عن اليا فقبل

وذلك في قوله تعالى « رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا » فان الديار هنا في اصله صاحب دار (داري) مرادا به الساكن مطلقا والحي كما اننا نهمل ما ورد بهذه الصيغة ، ولا أثر فيه لما ادعى من المبالغة ، وهو كلمة « الفخار » الواردة مرة واحدة فيه ، والى جانبهما ، نهمل ايضا ما تحول الى اسم تجمد ، وهي كلمة « كفارة » الواردة في القرءان خمس مرات ، فبقي بيدنا زهاء تسعين « فعالة » التي سميت بصيغة مبالغة وهي في الواقع ، مقصود بها التكرار والاعتياد والمزاولة والاستمرار ، ونحو ذلك مما يمكن ان يشمله « التكرار » وهكذا ناتي ، بمثال في كل حرف ذكرت به هذه الصيغة « ان النفس لامارة بالسوء » اى انها تامر بذلك مرة بعد اخرى ، وهي معتادة بعادتها هذه مستمرة فيها « كل بناء » محترف للبناء ، يزاوله في حرفته ويمتهنه في مهنته يوما بعد يوم ، وهكذا دواليك يعيش مترددا عاكفا على القيام بعمله « ان الله يحب التوابين » الذين يتوبون الى الله كلما صدرت منهم معصية ، فيعودون الى ربهم طالبين للمغفرة والصفح في توبتهم اليه . « وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا » ينصب في استمرار ، ويسيل بدون انقطاع ، ويتتابع في انهطال ، افواجا وامواجا . « ان تريد الا ان تكون جبارا » بمزاولتك الاعتداء على الناس والتعرض لهم بالقتل ، كما حصل منك فيما مضى حيث قضيت على الرجل . « ولا تطع كل حلاف » من عادته انه يسارع الى الحلف ويستعمله في شتى المواقف والمناسبات ، ولا يتورع عن تكرار هذا العمل والصنيع . « ان ربك هو الخلاق » في كل وقت وفي كل مناسبة ولكل الاحياء ، منذ الازل الى ان يرث الله الارض ومن عليها وما عليها من الكائنات . « هو الرزاق ذو القوة » كلما دعاه الداعي « ارزقنا وانت خير الرازقين » فهو القائل : « واذا سالك

عبادي عني فاني قريب اجيب دعـــوة الداعـــي » .
« سماعون للكذب آكالون للسحت » هذه عادتهم انهم آذان لكل كاذب ، منصتون اليه مصيخون ، لكـــل ما يلفظه من بهتان وهتر الهاترين . « طوافون عليكـــم » لانكم بعضكم من بعض ، تستقبون فيهم اهلكم وذويكم ، ولا تسامون من ترددهم عليكم في كل حين ومناسبـــة تطرا لهم . « وما ربك بظلام للعبيد » وقف المفسرون عند هذه المبالغة ، كما فهموا ، وصاروا يتاولون ، مع ان الامر لا مبالغة فيه ، فمن شانه الا يظلم مطلقا وفي اي آن من الاوان ، ولاى فـــرد من الانسان ، مهمـــا تعاقبت الازمان ، واختلف الملوان ، فانـــه الديـــان « لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون » .
« انك انت علام الغيوب » كل ما يغيب عن المخلوق في كل وقت وحين ، ولا مبالغة البتة لانه « لا يعلم الغيب الا الله » فلا مشارك دونه وهو فوقه . « واني لغفـــار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى » فالمغفـــرة مني مطردة مستمرة للخلائق الذين اتصفـــوا بتلـــك الصفات من كل الاجيال اللاحقة . « فعال لما يريد » فهو تعالى « انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كـــن فيكون » وهو « كل يوم في شان » يصرف الاشيـــاء ويقلب الامور . « الرجال قوامون على النساء بما فضل بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم » فهم قائمون على شؤونهن ، منوط بهم الانفاق المتكـــرر عليهـــن والمتعهد بهن . « كذاب اشر سيعلمون غدا من الكذاب الاشر » فقد وصفوه بصفة الكذب في كل ما القى على اسماعهم ، فكذبوه وكذبوا عليه فيما رموه به واتهموه لدى الناس . « ولا اقسم بالنفس اللوامـــة » التـــي تنحى على صاحبها وتبغي عليه كل ما لا يستجيـــب لاهوائها ونزواتها ونزعاتها التي لا تنقضي مع الايـــام .
« مشاء بنميم مناع للخير » فهو لا يني ولا يفتر يعمل في اذكاء روح الشر بنميمته ، ويحول دون الخير اذا ما رآه سالكا في طريقه نحو النفع . « نزاعـــة للشوى تدعو من ادبر وتولى » هذا صنيعها مع هؤلاء ، وهذا ديدنها مستمرة في اتخاذه ، لا تنزع عنـــه ولا تمسك او تتوقف دونه . « هماز مشاء بنميم » يغتاب الناس في كل مناسبة ، تشبيها له بمن يهمـــون بالمهمـــاز وينخس . « انك انت الوهاب » لنعمك المفضل في احسانك ، والناس دوما فقراء اليك ، تمدهم بالطعام والشراب والصحة والشفاء من المرض وتهديهم الى سواء السبيل ، حيثما يتوجهون اليـــك ويناجونـــك « اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمـــت عليهـــم » .

شعبانـــــة :

ورد عن تحفة القادم في النفح ، ان أبا الطاهـــر الجياني ، كان في جماعة فيهم ابو عبد الله بن زرقون ، فتملاوا من الطعام ، عقب شعبان ، فقال ابو الطاهر :

حمدت لشعبان المبارك شبعة
تسهل عندي الجوع في رمضان

فقال ابن زرقـــون :

دعوها بشعبانية ولو انهـــم
دعوها دعوها بشبعانية لكفاني

الممطـــــــــر :

نسميه المظل وفي الشرق يسمى الشمسية ، كما في مصر ، وفي الاسبانية « للماء » وهذا اقرب الى قول البحتري في هذين البيتين :

ان السحاب اخاك جاد بمثل ما
جادت يداك لو انه لم يضـــرر
اشكو نداه الى نداك فاشكني
من صوب عارض المطير بممطر

القول بمعنى الاعتقاد ، كما في قوله تعالـــى : « ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم » .

تضمين الموصول الشرط ، كما في قوله تعالى « الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائةجلدة »

وقول الشاعر :

كذاك الذي يبغي على الناس ظالما
تصبه على رغم عواقب ما صنـــع

قال في الاولى موصولية ، كمـــا في الالفيـــة « وصفة صريحة صلة ال » .

ليس التامة ، كما في قول الشاعر :

تنام وقد اعد لـــك السهـــاد
وتوقن بالرحيـــل وليس زاد

وقول الآخر :

يا صاح خبر ذوي الزوجات كلهم
أن ليس وصل اذا انحلت عرى الذنب

ومن هذا قول ابي الربيع الموحد :

وانه ليس شيء
احب منه الينا

لان « أحب » صفة لشيء ، وليس خبرا ، اذ « شيء » هنا لا يمكن ان تكون اسم « ليس » لكونه ليس مبتدا في الاصل ، ولهذا فقول ابن مالك ، كالنحاة كلهم :

والعمر في فتيء ليس زال دائما قفي

مناقض بالسماع ، وقد سمع في اللاتينية فكانت هذه امرا به تامة ، في الايجاب ، كما في العربية ، بخلاف السلب .

من الاسماء التي تطلقها العرب على أبنائها :
كلب وكليب وكلاب ، وعلى بناتها هرة وهريرة ، ومن اجداد النبي عليه السلام ، كلاب ، وهو الجد الخامس، ومن كنى صحابي مشهور أبو هريرة ، ومن المعروفين جدا في الجاهلية كليب اخو الشاعر مهلهل ، الذي قال فيه :

يا لبكر أنشروا لي كليبا
يا لبكر اين اين الفرار

وللاعشى لامية عصماء ورد في مطلعها البيت :

ودع هريرة ان الركب مرتحل
وهل تطيع وداعا ايها الرجل

كما ان لطرة رائية افتتحها بقوله :

اسلوت اليوم أم شاقتك هر
ومن الحب جنون مستعر

مرخما اياها في غير النداء ، وذلك جائز كما في الخلاصة :

ولاضطرار رخموا دون ندا
ما للندى يصلح نحو احمد

اللام المصدرية :

لم نعثر على من ذكرها ضمن حروف الوصل ، ولكننا عثرنا عليها في القرءان الكريم ، في نحو « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس » ونحو « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم » فالمصدرية او الموصولية واضحة في هذا ، وقد حلت محل اللام هذه « أن » المصدرية في قوله : « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم » ومن هذه اللام المصدرية « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج » يريد الله ليخفف عنكم » .

الافعال التي لا يمكن ان يخبر عنها استقبالا :

هي افعال القلوب والشعور والاحساس ، فلا يمكن ان تقول : سوف احب ، او اكره غدا ، او ساظن او اعتقد بعد غد ، مثلا فان هذا يحدث عند موجبه ودواعيه ، ولهذا يخبر عنه ماضيا او حاليا ، ولا يمكن ان يكون ذلك استقبالا ، الا على سبيل التمريض او التاميل ، لا التحقيق ، كما نجد لعمرو بن الاسود الكلبي الاجداري في قوله :

فما ادري وعلي سوف أدري
احل مال اهب أم حرام

ومن شواهد المغني :

« وما ادري وسوف اخال ادري »

فكلمات « علي » أو علني ، و « اخال » او اظن ، هي التي اباحت الاخبار بالدراية والعلم في المستقبل، ولهذا فليست سوف داخلة على اخال .

« أن للتوكيد » استعملها بشار في قوله : « بكرا صاحبي قبل الهجير » ان ذلك النجاح في التبكير . فلما اعترض عليه ، قال : انما اردتها (أي القصيدة) اعرابية بدوية ، وقد وجدنا « ان » هذه واقعة في السور القصار ، تتصدر تصدرها البيت والقطع شعرا كما في هذه الآي : « وان عليكم لحافظين ،، ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم » (الانفطار) « أن كتاب الفجار ،،، انهم عن ربهم ،، انهم لصالون ،،، أن

كتاب الابرار »، ان الابرار »، ان الذين أجرمـوا »» « (المطففين) . وهذه السـورة كانت آخر ما نزل بمكة، لم يكتف فيها بأن ، بل دعمت كسابقتها بكلمه(كلا) أربع مرات ، زيادة على « ومـا ادراك » مرتيـن و « الا » الاسـتفتاحية مرة واحدة . وجميع هذا كله يهـدف للتاكيد والتنبيه والاحتحثاث والتقريع الذي صرح به « ويل » . . . (اما « انهم » بفتح الهمزة ، فلا يعمـل بها كذلك ان لم تخل منه علما ، كمـا ان « انهـم » المكسـورتها ، والواردة في الحكاية اخيرا ، فلا تدخلها في ذلك النطاق) .

« انه كان في أهله مسرورا انه ظن ان لن يحور بلى ان ربه كان به بصيرا » (الانشقاق) . ويلاحـظ ان التوكيد هنا اخذ بعضه بتلابيب بعض « ان الذين فتنوا المومنين والمومنات ثم لم يتوبوا فلهم عـذاب جهنم ولهم عذاب الحريق ان الذين ءامنوا وعملـوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الانهار ذلـك الفوز الكبير ان بطش ربك لشديد انه هـو يبـدىء ويعيد » (البروج) . وفيها ما في سابقتها ، زيادة عن الاشارة للتاكيد بها ، « ان كل نفس لما عليها حافظ »، انه على رجعه لقادر »، انه لقول فصل »، انهم يكيدون كيدا » (الطارق) ، « وان » الاولى مخففة من الثقيلة في مثلها كما هو معلوم « انه يعلم الجهر »، ان هـذا لفي الصحف الاولى » (الاعلى) وفيها ممـا يفيـد التاكيد « قد » ثم حرف « بل » لهذه الغاية حيـث لا نفى ولا نهى ولا نقل الا تنزيل ، والتقرير ، « ان علينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم » (الغاشية) ، أضف الى هذا التاكيد المتراكب افتتاح السـورة بالاستفهـام التقريري وهو تاكيـد في مضمونـه « ان ربـك لبالمرصاد » (الفجر) . وقد دعم هذا التوكيد وجود « كلا » مرتين ، وافتتاحها بالقسم ، ثم الاستفهام فيه بهل ، تلاه استفهام آخر بالهمزة ، وكل ذلك تقريـر للتاكيد ، كما لا يخفى على من يمارس الاساليب البلاغية في الفصحى بل حتى في العامية عندنا كثيرا .

« ان سعيكم لشتى ، ان علينا للهدى وان لنـا للاخرة والاولى » (الليل) وقد افتتحـت بالقسـم الصريح وختمت بلام القسم ، وتخللها لام التاكيد .

« فان مع العسر يسرا ان مـع العسر يسـرا » (الشرح) ، وتوكيد الجملة الواحدة بان غاية البلاغة في التوصيل والتاثير وقد ربطت الثانية بثم مع الاولى، واستعمال « مع » مرتين في معناهما ، بدل « بعـد » مثلا ، بلاغة أخرى ، تكل دونها الباب البلغاء ، فلم يقل ان بعد العسر يسرا ان بعد العسر يسرا ، كمـا ان السورة افتتحت بالاستفهام التقريري ، وهو توكيـد آخر يضاف الى ما سلف ذكره وقرر اعتباره في هذا الصدد العالي القدر والسامي الهدف .

« ان الانسان ليطغى ان الى ربـك الرجعـى » (العلق) ، وقد واكب هذا التوكيد ، افتتاح الجملتين الاوليين بكلمة « اقرا » مكررة ، ثم ورود « كلا » ثلاث مرات تخلل الاوليين منها ثلاث جمل مفتتحة بالاستفهام « ارايت » هكذا « أرايت الذي ينهى »، ارايت ان كان على الهدى »، ارايت ان كذب » زيادة : على استفهام آخر للتقرير قبل الاخيرة « الم يعلم بأن الله يـرى » وقد تضمن كما نرى « ان » المفتوحة ، التي لا تخلو من التاكيد كما قلنا .

« ان انزلناه في ليلة القدر » (القدر) قوى هذا التوكيد الجملة بعده « وما ادراك » ثم التوضيح لليلة القدر السابقة بقوله « ليلة القدر خير من الف شهر » فكل ذلك هدف به الى التوكيد في شان هذه الليلة ، المنوه بكونها « تنزل الملائكـة والروح فيهـا باذن ربهم من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر » .

« ان الذين كفروا من اهل الكتاب »، ان الذين ءامنوا وعملوا الصالحات »، » (البينة) وفيها تقوية للتوكيد باسم الاشارة أربع مرات .

« ان الانسان لربه لكنود وانه على ذلك لشهيد وانه لحب الخير لشديد »، ان ربهم يومئذ لخبيـر » (العاديات) انضاف الى هذا التوكيد هذا القسم الذي تكرر في جمل اربع عطفت على الاولى ، فكـان القسم خمس مرات في الحقيقة ، ثم زيد فيه لامـات اربـع للتوكيد كذلك ، وذيل ذلك بهذا الاستفهام « أفلا يعلم» المقصود به التخصيص والحث والبعث الحثيث .

« « ان الانسان لفي خسر » (العصر) عضد هذا التوكيد القسم المفتتحة به السورة ، ثم زيـادة لام التوكيد في الجملة المؤكدة بان ثم تكرار « تواصو »

« انها عليهم موصدة » (الهمـزة) زاد هـذا التوكيد قوة ، وجود « كلا » ثم « وما أدراك » الواردة في التنويه بالحطمة الواردة قبلها ، ان الواردة صلة ، وان لم نعتد بها ، فانها كما قلت لا تخلو مـن فيـح التوكيـد .

« ان أعطيناك الكوثر ،،، ان شانئك هو الابتر »

(الكوثر) زاد التوكيد قوة ضمير الفصل « هو » ثم تعريف الخبر بالاداة .

« انه كان توابا » (النصر) تعضدت « أن » في مضمونها بفعل « كان » ولم ينص على التوكيد بهـــا غيري ، وهو واضح ، كما هو فيها بحيز التفضيل في الخلاصة « ما كان أصح علم من تقدما » فهذه وان كانت حشوا في البنية الا ان لها وظيفة بلاغية ، نحس بهـــا هنا وهناك مثل « أن ربه كان به بصيرا » فان « كان » هذه تحمل توكيدا وهي أبلغ من « أن ربه به بصير » . فهي هنا من ناحية المبنى لا حشو فيها ، ومن ناحيـــة البلاغة ليس فيها توكيد زائد كما بالاصل .

وهكذا اذا رجع الى الاداة « أن » فانه يوجد فيها من التقريرية والاثباتية ، ما يجعل الفطرة العربية تميل اليها ، خصوصا في هذه الصور التي تضمنتها السور القصيرة المحكمة الآسرة . وقد كان الاحتـــداد على اشده ، والاسلام يواجه الداعدائه المخاطبين بالكافرون

« لا اعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا انا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد » فالطابـــع الاعرابي الخطابي واضح في هـــذا « الاشتـــداد » والمجابهة والاحتداد .

لقـــــب الاستـــاذ :

في مقابلة تلفزية أجريت مع المرحوم فريـــد الاطرش قبيل وفاته ، ذكر هو المطرب عبد الحليـــم حافظ ــ رحمه الله ــ بالاستاذ عبد الحليم ، وما سمع المقلدون بهذا اللقب التشريفي ، حتـــى صـــاروا وخصوصا في المغرب العربي ، يحلون به كل مطرب ، فهذا عبد الهاء وهذا عبد الواو ، كلاهما استاذ .

ولا ضير في هذا فان الفارسية صاحبة الكلمة ، كانت تطلق على كل ماهر في صناعته ، لقـــب استاذ ، فقد وجدنا مثلا في كتاب (حبيب السير) لغيـــاث الدين بن همام الدين ، وعرف باسم جنده مير ، مـــن رجال القرن التاسع والعاشر ، يذكـــر في تخريـــب المغول لميا فارقين ان استاذين كانا ماهرين في الرمي بالمنجنيق « آن دو استاد بيكبار سنكها از منجنيـــق كشاده داداه ، هر در سنك در فضاء هوا » .
معنى هذا « ذالك الاستاذان كانا يفتحان المنجنيـــق (يرميان به) فكان الحجران (المقذوفان) في فضاء الهــــواء » .

هكذا تاتي كلمة الاستاذ عنده بالدال المهملة . ومع مسايرة الكلمة في مراحل تاريخها ، فقد صارت تطلق على المربي ، وكان « كافور » الاخشيدي مربيا، وكان اختلاطه بالحريم ، يفرض عليه وعلى امثالـــه الخصاء ، فانطلق مفهوم الكلمة من هذا الفرض الى ان صارت تطلق على كل مخصي ، نعوذ بالله . . .

(يتبــــع)

●● يصدر قريبا الجزء الثاني من كتاب الاستاذ أبي بكر القادري عـــن (سعيد حجـــي) . وكان الجزء الاول قد صدر في سنة 1979 ●●

المجتمع الدكالي والفكر الديني

للدكتور ابراهيم حركات

كانت منطقة دكالة عند الفتح الاسلامي امتدادا طبيعيا لمنطقة تامسنا الكبرى والتي كانت تنتهي شمالا الى حوض ابي رقراق . وهكذا فان اغلب السهول الاطلسية والتي تنتهي عند مشارق الاطلس كانت تدخل ضمن هذه المنطقة الشاسعة ، اما السكان فكانوا في اغلبيتهم من العنصر الزناتي الذي طالما اوهمنا المستشرقون والمؤرخون الاجانب ، وانساق معهم كاتب هذه السطور لفترة ، ومنهم على الاخص كوتيي وطيراس ، بانهم مجرد بدو رحل لهم كثير من سمات بدو العرب المترحلين والذين ينتجعون الكلأ ويتبعون موارد الماء من غير اهتمام بالبحث عن وسائل الاستقرار وايجاد حياة زراعية منظمة . الا ان الاستقراء برهن عن خطأ هذه النظرية .

حينما شمل الفتح الاسلامي منطقة تامسنا الكبرى بما فيها دكالة ، كانت كل هذه الناحية من المغرب موطنا لبرغواطة والقبائل الزناتية . وكانت دكالة على الاخص هي اكبر مقر للتجمعات السكنية من برغواطة .

وقد قيل كلام كثير عن اصل برغواطة ، هل هم خليط من العناصر ؟ أم هل هم زناتيون ؟ أم التسمية لها اصل لا يمثل قبيلة بعينها ؟ لقد تناول برغواطة بشيء من التفصيل أحيانا وبايجاز أحيانا أخرى ، بعض الجغرافيين والاخباريين والمؤرخين مثل البكري وابن عذاري وابن القطان وابن خلدون ، وأهم مصادرهم جميعا هو زمور البرغواطي من رجالات القرن الرابع الهجري والذي احتفظ البكري في المسالك والممالك بقسم من أخباره عن برغواطة . لكن هذا المصدر الاصل حسب البكري نفسه لا يقدم شيئا عن التركيب الاجتماعي لبرغواطة ، ولكنه يوضح ان اول من عمل على انشاء نظام سياسي تستقل به برغواطة ، هو شخص اسمه طريف الذي ينتمي الى اصل عبراني ، وانه كان مع ميسرة الخفير او الحقير، الثائر الزناتي واحد زعماء الخوارج ، وكانت دعوته بتامسنا بين زناتة وزواغة ، ثم خلفه نجله صالح الذي شرع الديانة البرغواطية وادعى انه المهدي المنتظر ، وبذلك كان اول من ادعى المهدوية بالشمال الافريقي واحد أوائل من ادعوها في الاسلام كله ، ومن كلام زمور يتضح التأثير العبراني العميق شكلا وجوهرا في هذه الديانة . ومهما يكون من أمر ، فلا يقدم البكري مبررا لتسمية برغواطة الا من حيث الصورة اللفظية ، نقلا عن فضل بن مفضل وسعيد بن هشام المصمودي، وحسب هذين المصدرين ، فان الياس الذي خلف اباه صالحا ، تولى بعده نجله يونس الذي كان اول من اظهر الديانة البرغواطية ، وكان على علم كبير بالتنجيم، ومن ثم نجد المذهب البرغواطي ياخذ نشاطه في الامتداد ابتداء من أواخر الربع الاول من القرن الثاني الهجري . ويتجلى التأثير العبراني في هذا المذهب كما يلي :

1 ــ في اسماء السور التي تضمنها « قرءان » صالح بن طريف والتي نجد فيها اسماء عدد من انبياء اسرائيل وعظمائهم كيونس وطالوت وهامان . ونجد في اسمائها ، فرعون والدجال والعجل ونمرود الخ . اي ما يرتبط بذكريات التاريخ العبراني . وحتى اسماء ملوك برغواطة بينها الكثير من اسماء انبياء بني اسرائيل كاليسع والياس ، وان كانت هذه الاسماء النبوية توجد في امارات خارجية مغربية اخرى .

2 ــ في الانطلاق من التنجيم والكهانة وهما مما اشتهر به العبرانيون في القديم ، وقد اصبح للتنجيم مكانة بارزة لدى البرغواطيين .

3 ــ نصت تعاليم التوراة على قتل السارق ، وتبنى البرغواطيون هذا الحكم . وهناك مؤثرات اسلامية منها :

1) الوضوء للصلاة ولكن على طريقة غير اسلامية تماما .

2) تشريع الزكاة .

3) تشريع الصلاة بكيفية مخصوصة ، وان كانت الصلاة في غير الاسلام ايضا .

4) رجم الزاني ، ويتفق في ذلك مع الشريعة الموسوية ، ومما شرعوه مما لا يتفق مع الاسلام ولا حتى مع الديانات السماوية الاخرى :

1 ــ تعدد الزوجات بلا حد .

2 ــ الطلاق والمراجعة بلا حد وحسب شهوة الرجل .

3 ــ تحديد دية القتل بمائة راس من البقر . وحرموا اكل البيض وراس الحيوان وكرهوا اكل الدجاج لانهم اعتمدوا عليه في معرفة الاوقات مثلما اعتمدوا فيها على النجوم ايضا .

ولقد اكد ابن خلدون بصوره قطعية ان برغواطة مصامدة . واني لارجح تاكيده هذا لان بعض المؤثرات البرغواطية ظلت حتى يومنا هذا قائمة في بعض مناطق المصامدة الجنوبية مثل كراهة اكل البيض ووجود عدد كبير من المتضلعين في العرافة او السحر ، والاعتماد على التمائم والرقي في العلاج وطرد الشر . ولا ننسى أن البرغواطيين استخدموا بصاق صلحائهم يتبركون به ، وقد ظل هذا التاثير قائما مع ضعف في الاوساط القروية بدكالة وغيرها من بوادي المغرب .

ان المهم من كل هذه القذلكة ان البرغواطيين انشاوا مذهبا خاصا بهم ، بعض اصوله اسلامية واكثرها مما استحدثوه او تاثروا فيه بمؤثرات وثنية عريقة الى جانب ما استقوه من اصول عبرانية . وفي جميع الاحوال كان البرغواطيون يومنون بوحدانية الله . ولقد تقبل بربر برغواطة هذا الدين المطعم باصول مختلفة ، كرد فعل ضد التصرفات التي مارسها بعض ولاة بني امية ازاء المغاربة ، خاصة عمر المرادي الذي كان تابعا للقيروان ، وكان مقره بطنجة وقد اسرف في تخميس البربر وقرر ان يواصل سياسة بعض اسلافه في شحن السبايا والرجال والاطفال حتى مع اسلامهم الى دمشق ، بحجة ان فتح البلاد تم عنوة . وهذا هو الذي فتح المجال لحركة الخوارج بالشمال الافريقي ، وسهل اقرار هذا المذهب البرغواطي الذي مر الحديث عن خطوطه الرئيسية . وهكذا ظهر ان المغاربة رفضوا اسلام القوة والاكراه وقاطعوا الحكم الاموي من اجله . وظهر ان البرغواطيين قد احتفظوا من الاسلام بخيط رفيع غير متين ، فوحدوا الله وادوا الزكاة واعترفوا بنبوة محمد (ص) ومن سبقوه من الانبياء ولكنهم بالمقابل اضافوا اشياء غريبة عن الاسلام او تتعارض معه ، فهم في هذه الحال قد انشاوا اسلامهم الخاص ، وقاطعوا المسلمين الذين يتعايشون معهم او تحت كنفهم ، من حيث التزوج منهم او تزويجهم . لقد كان كل هذا رد فعل ضد الاكراه الديني الاهوج وضد تخميس الذين اعلنوا اسلامهم حتى بصورة تلقائية ، كما يتضح من روايات ابن عبد الحكم وغيره .

وعند ما تقبل المغاربة في وليلي حكم الادارسة، وزحف انصار ادريس الثاني الى شاطىء برغواطة ، تمكنوا من اخضاع اغلب هذه المناطق سياسيا ، ولكن ازمور ومنطقة دكالة ما لبثتا ان استعادتا قوتهما السياسية عند ضعف الادارسة . وفي منتصف القرن الرابع اي العاشر الميلادي قام الزناتيون برئاسة الامير تميم بمحاولة للقضاء على البرغواطيين ، ولكن انتصار الزناتيين كان عابرا ، فان منطقة دكالة قد شهدت خلال هذا القرن مثلما شهدت قبله وبعده

نشاطا حضاريا فريدا ، لان العنصر المصمودي يتحيز بحضارته الزراعية النشيطة ، والتي بفضلها انشا البرغواطيون شبكة كبرى من المدن في سهول دكالة وغيرها ، كذلك اقبلوا على تلقي المعرفة واقاموا اتصالات فكرية بجهات اخرى كخوارج المغرب ومثقفي الاندلس .

حتى اذا حل المرابطون في منتصف القرن الخامس الهجري قرروا تصفية الوجود البرغواطي الذي ظل في اوجه بكل من دكالة وضواحي الرباط وسبتة ، وفعلا عمدوا الى ارغام البرغواطيين على تصحيح اسلامهم ، ولكي يقطعوا املهم في الحفاظ على كيانهم المستقل خارج الوحدة الاسلامية ، خربوا ما لا يقل عن اربعين مدينة او مركزا عمرانيا اهمها واكثرها من غير شك ، في منطقة دالة التي انتقلت اليها عاصمتهم على اثر تخريب شالة في العهد الزناتي بل ان هذه العاصمة وهي ازمور ، كانت قبل العهد المذكور مركزا موازيا لشالة ثم اصبحت الوحيدة والاكثر اهمية في هذا العهد بالذات .

ومع ذلك نجد للحزب البرغواطي اثرا ظل قائما حتى العهد المريني بشهادة لسان الدين الخطيب الذي يقول في الجزء الثالث من اعمال الاعلام : « وقبيلهم اليوم قبيل ضعيف ، لعب فيهم سيف الملثمين ، ثم سيف الموحدين بعده » . ويعني ذلك ان هذا الحزب قد استمد وجوده مدة تناهز ستة قرون مع فترات ضعف وانحصار .

وكيفما كان الامر ، وهذا يهم الشباب معرفته بالدرجة الاولى فان الحركة البرغواطية لا يمكن ان نعتبرها ثورة تصحيحية ، لان الثورة الحقيقية هي التي تحقق الوحدة الشاملة في العقيده ومنهج الحكم واسلوب العمل . وكلما اقتربت من الشعوذة والمؤثرات الوثنية كانت اقل حظا في الثبات والاشعاع ، بل واخطر على حياة الشعوب التي تتبناها .

غير ان الجهاد المرابطي للبرغواطيين نتجت عنه آثار سلبية لا يمكن انكارها :

1 — ان منطقة دكالة قد انجلى عنها قسم كبير من سكانها المصامدة ، اذا لم يكن معظمهم ، ممن انسحبوا الى سوس وجبال الاطلس .

2 — ان منطقة تامسنا على العموم اصبحت قفراء بعد تهديم المدن البرغواطية وهجرة سكانها ، فتحولت المنطقة الى مراتع للحيوانات والنباتات البرية حسب تاكيد الحسن الوزان .

3 — ان كل التراث البرغواطي المكتوب والجامد اندثر بصفة شاملة الا بعض ما لا يسمن ولا يغني من جوع .

وهكذا فعمليا نجد دكالة قد صارت ارضا مواتا لفترة محدودة . ولكن شاء الله ان لا تطول هذه الفترة ، حيث يعمد المرابطون الى استقدام بعض المجموعات الصنهاجية لتعمير ازمور والمناطق المجاورة لها . وقبل الحديث عن اثر هذه المجموعات، وتجدر الاشارة الى ان قيام المرابطين بتخريب المراكز البرغواطية ، انما كان الهدف منه ، اقرار الوحدة المغربية التي يجب ان تحل في صورتها الشاملة ، محل الفرقة التي مزقت شمل المجتمع المغربي آمادا طويلة قبل المرابطين ، على الرغم من العمل الايجابي الذي قام به الادارسة لكن دون أن يطول أمده، وهكذا ضحى المرابطون بحضارة محلية ضيقة ليقيموا بصورة نهائية حضارة وحدة واسعة قوامها الاسلام السني المالكي الذي لا يترك مجالا للتضارب وتشتت الاتجاهات .

وانه لمما يشرف منطقة دكالة ان تقوم بدور بالغ الاهمية في تثبيت دعائم هذا الاتجاه العقائدي الوحدي . ولقد اثار اندهاشي مدة طويلة ، ان تتحول هذه المنطقة بصورة مفاجئة من مركز دعوة منحرفة في منظور الاسلام الى مركز يغلي غليان المرجل بدعاة الاسلام السني ويقدم عطاء خصبا للفكر الصوفي والثقافي ، ليس فقط على نطاق المنطقة وحدها ولكن بالنسبة لسائر المغرب وخارجه . بل ان الذي كان يثير تساؤلي ، هو كيف اصبحت دكالة بصورة مفاجئة ايضا ، مركز للطرق الصوفية الاولى بالمغرب ، اي الطرق المؤطرة في خلايا ذات اتجاه محدد ، وكثيرا ما سمعنا وقرانا بل وكتبنا ان الشاذلي هو اول من اسس طريقة صوفية بالمغرب ، وهو معاصر للموحدين، مع ان الذي يصح قوله هو ان الشاذلي ، انما كان مؤسس الطريقة التي ظلت اساسا لما بعدها من الطرق الصوفية بهذه البلاد ، والا فهناك طرق قامت قبلها ، وهنا اود ان اجيب على التساؤلات التي اشرت اليها :

فعندما استقر الصنهاجيون مكان البرغواطيين والمصامدة بازمور ومنطقة دكالة ، اتجه عدد منهم الى دراسة العلوم الدينية وتدريسها ، لا سيما التصوف الذي انتهى الى ان يتبوأ مكان الزعامة بالنسبة للتصوف المغربي انطلاقا من العصر المرابطي نفسه . وهكذا فان ابن قنفذ القسنطيني المتوفى سنة 810 هـ — 1408 م يرجع اهم التيارات الصوفية الى ست فرق :

1 — الشعيبية ، اصحاب ابي شعيب الصنهاجي دفين ازمور سنة 561 هـ .

2 — الماجريون وهم طائفة ابي محمد صالح من معاصري ابي شعيب ، ومنهم فرع يدعى بالدكاليين . وقبر ابي محمد هذا بآسفي .

3 — الصنهاجيون من بني امغار من تيطنفطر . وجدهم عبد الله امغار من معاصر ابي شعيب .

4 — الحجاج ، وهم طائفة لا تقبل في حزبها الا من حج الى بيت الله الحرام .

5 — الحاحيون ، طائفة ابي زكريا يحيى الحاحي ، وقبره بحاحا ، وتوفي في اواخر القرن 7 / 13 م ، اي انه معاصر لبني مرين ، وابو زكريا يحيى هذا هو غير تسميه المعروف بسوس والذي كانت له مواقف من سياسة وسلوك السلطان السعدي مولاي زيدان .

6 — الاغماتيون وهم طائفة ابي زيد عبد الرحمن الهزميري الذي عاصر بني مرين ، وهو دفين بباب الفتوح بفاس .

فمن هذه الطوائف ثلاث على الاقل منطلقها ومركز نشاطها الرئيسي هو دكالة . واغلب التجمعات الدينية كانت ترتبط برابطة الاخوة مع الماجريين كما ظهر ذلك في العهد المريني على الاخص . واننا لمدينون بهذه المعلومات لابن قنفذ القسنطيني المذكور ، والتي وردت في كتابه : « انس الفقير وعز الحقير » وقد نشر قبل سنوات بتحقيق الاستاذ الجليل السيد محمد الفاسي والمستشرق الفرنسي أدولف فور . وبصرف النظر عن بعض الغيبيات والكرامات التي اوردها مؤلف هذا الكتاب فهو يقدم بكيفية غير مباشرة ، صورة جيدة للنشاط الثقافي الخصب الذي زخرت به منطقة دكالة فيما بين القرنين السادس والتاسع الهجريين .

وقد انشأت الطوائف المذكورة أورادا وتقاليد خاصة بها ، وبدأ تكوين الطوائف في عهد مؤسسيها او بعدهم على يد تلاميذهم ومريديهم . وأورد ابن قنفذ عن طريقة ادماج المريد في طائفة الماجريين على يد ابي محمد صالح نفسه ، قوله : « كان اذا جاءه الفقير عرفه بعيوب نفسه ، وامره بالوحدة ، ودرجه في اوراده حتى يصير من اهل المجاهدة ... » .

كانت الثقافة الصوفية تلقن في الرباطات قبل نشأة الزوايا ، وهذه لم تبدأ نشأتها الا منذ العصر المريني ، على انه ليس للرباطات ولا للزوايا هندسة موحدة وبالنسبة للمغرب فالاولى ابسط بناء في الجملة ، اما الزوايا فلم تنشأ في البداية لاستقبال الصلحاء والصوفية وتلاميذهم ، ولكن انشأ يعقوب المريني عددا منها في الجهات المنعزلة بين المراكز العمرانية لينزل بها الجباة والموظفون الاداريون ، ثم وقع اهمالها تدريجيا واصبحت تستقبل المتعبدين والباحثين عن مكان ينزوون فيه للتأمل والذكر ، لكن هناك زوايا خصصت للعبادة كما هو الشأن في زاوية النساك بسلا . ان منطقة دكالة الكبرى والتي كانت لعدة اجيال قبل الحماية الفرنسية قد عاصرت مرحلة الرباطات والزوايا والمدارس التي شهدت عهدا مجيدا امتد من العصر السعدي حتى نشأة المدارس الحديثة .

غير ان المنطقة شهدت طيلة القرن التاسع هـ — 15 م محنة شديدة على يد الاستعمار البرتغالي وخلال الحكم الوطاسي الضعيف . فأمام ضغط الاحتلال الذي تسنده المدفعية والاساطيل البحرية الضخمة ، تم اجلا السكان عن عدة مدن عرفت ازدهارا طيبا في القرون الماضية ، ومن بينها حسبما ساقه ليون الافريقي (الحسن الوزان) :

1 — كونتي ، قرب آسفي .

2 — تيط .

3 — المدينة ، وكانت مركز دكالة في العهد الوطاسي . وقد نقل اهل تيط والمدينة الى فاس .

4 – مائة بير (سونو) وقد هجرها السكان الى آسفي بعد ان رفضوا الهجرة الى فاس .

5 – تامراكشت ، وهي تصغير مراكش ، وتقع على الضفة اليمنى لام الربيع على نحو 50 كلم . من آسفي . وقد أسسها يوسف بن تاشفين .

6 – تركة (كاف معقودة) على أم الربيع بنحو 35 كلم من آزمور ، وقد انتقل اهلها الى نواحي فاس .

وكل هذه المدن خربت ، وبعضها ظل جزء من انقاضها حتى يومنا هذا ، وقد كان الجلاء يتم بأمر السلطات الحاكمة او بكيفية تلقائية من السكان ، وذلك حفاظا على كرامتهم وخشية وقوعهم في الاسر وتعرض النساء لنزوات جيش الاحتلال . ويعني هذا كله ان السكان كانوا يهاجرون بعقيدتهم وصيانة لدينهم . وقد كانت محنة المسلمين باسبانيا وما تعرضوا له من اضطهاد حتى قبل سقوط غرناطة بوقت طويل ، وما لقيته سبتة وغيرها من المراكز الشمالية على يد الاحتلال البرتغالي او الاسباني ذكرى سيئة ومؤثرة في نفوس المغاربة ، فمن حيث المبدا ، كانت عملية اخلاء المراكز العمرانية المعرضة للاحتلال غير وطنية ولا دينية في حد ذاتها ، ولكن كانت عملية مؤقتة تظل اهون من تعريض السكان لخطر ماحق لا جدال في وقوعه اذا ترك هؤلاء من غير حماية . تواجه هذا الخطر بكيفية فعالة .

والواقع ان الاسر الدكالية التي هجرت مساقط رؤوسها وتخلت عن مصالحها الحيوية بها اضافت عنصرا اجتماعيا جديدا وتنشيطا الى عدد كبير من المراكز المغربية ، وهكذا ومنذ العصر الوطاسي وحتى الآن نسمع عن أسرة الفربي المنسوبة الى الفربية من دكالة ، واسرة الزموري والدكالي وغيرها بفاس وسلا والرباط والدار البيضاء وجهات اخرى .

ان عطاء الفكر الاسلامي بدكالة شمل مختلف المعارف المتصلة بالدين ، ولم يقتصر على التصوف وحده ، ومن المثقفين الذين كان لهم اشعاع فكري واسع :

1 – في العهد المرابطي : ابو ينور عبد الله بن واكريس المشترائي ، وهو من شيوخ ابي شعيب أيوب الصنهاجي الملقب بالسارية ، وقد برز في التصوف .

2 – في العهد الموحدي : محمد بن ينصارن الماجري الدكالي المتوفى 584 هـ وهو من اعلام التصوف .

3 – في العهد المريني : محمد بن علي الدكالي الذي هاجر الى مصر وعرف هناك بابن النقاش . وتوفي بالقاهرة 763 هـ ، ومن مؤلفاته : تفسير السابق واللاحق ، الذي لم ينقل فيه اي شيء ، عمن سبقه من المفسرين ، ورسالة في استخدام اهل الذمة في الوظائف ، وقد ترجم له الزركلي في الاعلام ، وذكر مصادره وهي معروفة .

4 – في العهد الوطاسي : ابو القاسم بن محمد الماجري استاذ عبد الرحمن بن الملجوم بفاس ، وابن الماجري هذ فقيه ونحوي ، وتوفي سنة 911 هـ .

5 – في العصر السعدي : ابو القاسم المشترائي : محدث وفقيه ومفسر ، وناقد للمفسرين واتجاهه الاخير هذا نادر بين هيئة المشتغلين بالتفسير . وقد قضى أكثر حياته بفاس ، توفي سنة 978 هـ .

6 – في العهد العلوي : ابو القاسم بن محمد (بفتح الميم الاولى) المشترائي . وهو من الفقهاء البارزين بفاس ، حيث توفي سنة 1098 هـ . ولا يمكن هنا اغفال شخصية الشيخ شعيب الدكالي الذي كان له اشعاع على نطاق المغرب والشرق العربي كمحدث كبير ومشارك ضليع ، كذلك تجدر الاشارة الى شخصية اخرى من اصل دكالي ، وهو محمد بن علي الدكالي المؤرخ القدير بسلا .

والحقيقة ان سلسلة الاعلام الفكرية من دكالة لا يمكن حصرها في عرض وجيز كهذا ؛ وتاريخ الفكر بهذه المنطقة يحتاج الى عمل شامل ودقيق يتجاوز مجرد ذكر الاعلام في جملة أو فقرة .

ان تركيب المجتمع الدكالي الذي شهد تغيرات كبرى وذات اهمية فريدة ، كان له اثر عميق وحاسم في تنشيط الحركة الثقافية وتطور اساليب ترسيخ الفكر العقائدي في مجمله بالمنطقة ، وهكذا وكما سبقت الاشارة الى ذلك ، وجدنا العنصر الزناتي والمصمودي يسود المنطقة اجتماعيا وسياسيا وفكريا طيلة العهد الاسلامي حتى مجيء المرابطين ، وميزة العقلية المصمودية ان تتشبث بذاتيتها وتركز

على ربط الواقع بالمبدأ وتقدر تصرفاتها ومخططاتها حسابيا ، واخيرا ترتبط بالارض بشكل لا ينافسها فيه اي عنصر اجتماعي آخر ، وهذا هو السر في صمود برغواطة زمنا طويلا لهجومات الانظمة المتعاقبة.

وبانسحاب الجزء الاكبر او قسم كبير على الاقل من العناصر المصمودية وانضمام بعض القبائل الصنهاجية اليها ، باخذ الفكر الصوفي نفسا جديدا في المنطقة : أولا كتوطيد لدعائم السنة ، وثانيا لان هذه القبائل من اصل صحراوي يعيش على الكفاف ويقنع بحياة التقشف التي تلائم الفكر الصوفي في مجمله ، وبهذا يتضح تماما سر انتشار الفكر الصوفي بسرعة وعمق في دكالة على يد العنصر الصنهاجي . وقبل انصرام القرن 6 هـ — 12 م تعززت دكالة بالعنصر العربي من بني هلال ، وبالنظر لكثرته العددية ، ولوجود أرضية قائمة في مضمار التعريب العلمي ، ولتشابه التقاليد العربية والصنهاجية ، فقد عمل هؤلاء على تعريب اللسان الدكالي تدريجيا .

ومن اندماج العناصر العربية والمصمودية والصنهاجية تالف عنصر موحد بعد عدة اجيال ، فقد تاثر من العرب لسانا وحتى مسكنا في البوادي ، ومن المصامدة بحب الارض وخدمتها ، ومن صنهاجة ببعض السمات البشرية لا سيما طول القامة بالنسبة لعدد كبير السكان ، وكذا بتعزيز العقيدة الاسلامية تصوفا وفقها وانشاء مدارس وتنشيط حركة التعليم الاسلامي بشتى الوسائل . ولنفس السبب نجد دكالة تسهم بوفير حظ في علوم دينية اخرى كالحديث والتفسير والقراءات ، فكونت المنطقة بحق شخصيتها المتميزة والمتنوعة ، بعيدا عن مؤثرات خارجية او توجيهات مرسومة .

وحيث ان الفكر الديني في الاسلام لا ينفصل عن النضال السياسي فان الشعور الوطني لدى السكان لم يفتر قط مع وجود احتلال أجنبي قائم . ولقد قام الصوفية والمثقفون بتوعية السكان وتحميسهم لطرد المحتلين ، ولذلك كان هؤلاء يتعرضون باستمرار للخطر كلما غامروا بالخروج ليلا من منطلقهم بازمور او الجديدة او ابعدوا نهارا عن حشودهم العسكرية .

وتتحدث التقارير البرتغالية عن نضال الدكاليين وهجوماتهم المتتالية على البرتغال بالرغم من وجود خيانات لا يخلو منها زمان ولا مكان . واقتناعا بضرورة الدفاع عن الارض والعقيدة ، تعاون الدكاليون مع المجاهد العياشي على النضال ضد البرتغال ، كما ناضلوا بقيادة السلطان سيدي محمد بن عبد الله من اجل تصفية الاحتلال البرتغالي للجديدة ، وان تحرير البريجة بفضل التنظيم العسكري والتدخل الحاسم للجيش والسكان ليعد عملا ايجابيا رائعا ، ومن المفاخر الوطنية التي سجلها الملك المناضل .

والواقع ان المثقف الدكالي ، والانسان الدكالي بوجه عام ، ظل عبر الاجيال ، الى جانب روحه النضالية ، يتسم بالجدية والذكاء والقدرة على كسب المهارات ، مع التزام المروءة وحسن المعاملة ، والصراحة وعلو الهمة ، ولا ريب ان الجيل الصاعد سيظل متسما هو ايضا ، بهذه الشمائل التي ورثها عن اسلافه .

د. ابراهيم حركات

لبنان الشهيد

للأستاذ الشاعر محمد الحلوي

اعد لحنك الباكي وان هيج الكربا ... اعده وان ادمى وان عصر القلبا !

اعد لحن لبنان الحبيب فطالما ... تغنت به الدنيا وهامت به حبا

عروش تلألا المجد في قسماتها ... وذاب جمال الشرق في كأسها ذوبا،

وروضة ازهار تضوع نشرها ... وشلال فن فجرته السما عذبا،

ومهوى القلوب المترعات محبة ... وسلما تلاقي في مرابعها الخصبا -

ومنتجع للعلم كم هبطت به ... مواكب فارتادت وحطت به الركبا -

تضيء الليالي الزهر في جنباتها ... مصابيح تخفي في مقاصرها الشهبا -

ويجري مداد العلم فوق طروسها ... جداول كم احيت وكم ابدعت كتبا !

مغاني الظلال الوارفات ، وموطن ... زكا الارز في غاباته ، وزكا شعبا

وانشودة الاجيال في كل حقبة ... وجوهرة الشرق التي تسحر الغربا !

فما لرؤاها الحالمات تجهمت ... وما لرياض الفن قد اجدبت جدبا ؟

واين نوادي العلم في عرصاتها ... واندية السمار تنتظم الصحبا ؟

وكيف استحال الحسن والفن ماتما ... رهيبا وغولا موحشا ينشر الرعبا ؟

واين الشحارير التي صدحت بها ... والحانها ؟ ما بالها أصبحت ندبا ؟

واين المراعي الخضر والغيد بينها ... نسيم ربيع عطره ينعش الصبا ؟

رؤى لم تكن الا عرائس بهجة ... وانس اراها اصبحت مغنما يسبى !

رمتها يد الاعداء وهي وحيدة ... فهبت تلاقي في شراسته الذئبا -

تصارع أمـواج المنـون وتكتـوي — بنيران حـرب لم تذق مثلها حربـا —
تواجه في صبـر الاباة مصرهـا — وتركب في الهيجاء مركبها الصعبـا .

* * *

فوا ليل بيـروت وقد عاد كالضحـى — كواكبـه نـار تصـب بـه صبـا
يلعلع في اجوائـه المـوت غاضبـا — وينقض كالاعصـار يمطرهـا شوبـا
عصائب مـوت تهتـدي بعصائـب — وسرب دمار ساق من خلفـه سربـا
فهلا شفـى نيـرون نفسا مريضـة — بمن ساقه بحرا ومن في الثرى دبـا
تهـاوت مبانيهـا وخيـم فوقهـا — دخان كساهـا من سحائبـه ثوبـا !
ووا رحمتـا للطفـل ودع امـه — وخلتـه يمتـص القذارة والتربـا
وللشيخ تحت النقـض يعلـو انينـه — يموت ولـم يغمـض له احد هدبـا
فظائع صهيون ستبقـى على المـدى — خناجر في الاعمـاق تنهبها نهبـا
ستصحو مع الايام من بعـد نشـوة — وكبر وتعطـي ما استبدت به غصبـا
لقد منحـوا هتليـر صـك بـراءة — واعطـوه عـذرا لا يحملـه عتبـا
وكانـت لعمـري فرصـة ذهبيـة — لمحو عبيد العجل من جحدوا الربـا !
وما ذا عسى لبنان تصنـع وحدهـا — وقد وقفت تبكي وتستصرخ العربـا ؟
يجـود بنوهـا بالحيـاة سخيـة — ويزحف للميـدان شيخهم وشبـا !
ولو كانـت الايـدي يـدا عربيـة — موحدة ردت عن الوطـن الخطبـا .
ولكنهـا ايـد ضعـاف وامـة — متى استغضبوها لا ترى أبدا غضبـى!
تلايـن مـن لا يستحـق ليونـة — وتصفح عمن عاد واقتـرف الذنبـا .
ترامت بها الاهواء في كـل مذهـب — ولم ترع في أبنـاء جلدتها قربـى
خلافاتها شتى ، وامراضهـا التـوت — وعزت فلم يلق الطبيـب لها طبـا !
رعى الله في ارض العروبـة عصبـة — بنادقهـا مرفوعـة تقطـع الدربـا
حمـاة فلسطيـن واسـد عرينهـا — ومن علموا الاعداء ان يرهبوا العربـا
سلام عليهـم في الخنادق والربـى — وللشهـداء المجـد والخلـد والعقبى

تطوان : محمد الحلوي

من وحي ذكرى
ثورة الملك والشعب

للأستاذ قدور الورطاسي

من سوء حظ الاستعمار الفرنسي ـ بالخصوص ـ انه لم يكن يدرك حق الادراك : ان العرش المغربي في مستوى العرش الواعي لمسئوليته الوعي العميق.

وان الشعب المغربي في مستوى الشعب الواعي لمسئو ليته اولا ازاء نفسه ، ولمسئوليته ازاء عرشه والجالس عليه منذ الفتح الاسلامي .

وبالرغم من « وصايا شيخ الاستعمار وامامه »: (الماريشال اليوطي) ، بان من صالح فرنسا ان تتنبه الى انها « وجدت في المغرب عرشا وشعبا » فان الاحفاد والاولاد تجاهلوا « وصايا » الاجداد ، فامتطوا متون الطيش ، والجمود ، والعناد .

اول انذار للاستعمار :

ان اول انذار للاستعمار ، كان يكمن في جراة الملك الخالد الصالحات : المولى عبد الحفيظ ، فانه ما احس بخطورة الغزو في عهد اخيه المولى عبد العزيز حتى اخذ بيده الحديدية زمام العرش .

ولم يكن ليفلح في « هذا الانقلاب الابيض » . الا لانه تجاوب مع غيرة البطولة الشعبية المغربية ، وترجم لها بمواقفه الصارمة : احساساتها ، ومشاعرها ، ووجدانها ، وامانيها ، وامالها ... وليس معنى ذلك : ان المولى عبد العزيز لم يكن في المستوى الملائم ، وهو الذي كان الموقر لنا « عقد الجزيرة » على ما كان فيه ، ولكن ، ولكن معنى ذلك، ان الشعب يميل ـ بطبيعته ـ الى « اقصى اليمين » فكان المولى عبد الحفيظ في نفس الخط واشد . في حين كان اجتهاد المولى عبد العزيز يرى ان الصرامة « اليمينية » في وجه طغيان طوفان الاستعمار ، ربما تكون غير مضمونة العاقبة .

هكذا ارى واتصور شخصيا على الاقل « عوامل الانقلاب الابيض » ....

من آيات التفاعل مع المولى عبد الحفيظ :

حسبنا من هذه الآيات : ثورة بني يزناسن في نفس سنة الاحتلال . وثورة الريف في نفس السنة والتي قادها بطلا بني يزناسن والريف : المختار البوتشيشي ، والشريف محمد أمزيان .

ثم تلاحقت الثورات في مختلف أقاليم المملكة .

واستغل المولى عبد الحفيظ هذا التفاعل مع غيرة البطولة المغربية . فانقذ كل ما يمكن انقاذه في تلك الظروف العصيبة مما تضمنه « عقد الحماية » : 30 مارس 1912 م .

وحسبنا من بطولته ورباطة جاشه ان الاحتلال كان في غشت 1907 م ، واستطاع ان يطاوله حتى

سنة 1912 م . وان ذلك لمن اخلد مآثر الفكر المغربي العام ، واخلد مواقف المولى عبد الحفيظ رضي الله عنه .

وانتهت رسالة المولى عبد الحفيظ :

كان طبيعيا ان يتصلب المولى عبد الحفيظ للوقوف عند حدود بنود « عقد الحماية » حتى يتمكن من محاصرة الاستعمار في اضيق منطقة مطامعه ، ريثما يعد الشعب من جديد للانقضاض على « عقد الحماية » غير ان جدة وطراوة قوة الاستعمار حملته على التخلي عن ا لمسئولية لاخيه المولى يوسف رحمه الله ـ بعد ان ترك له « عقد الحماية » لينطلق من ارضيته الصلبة نسبيا في تلك الظروف العصيبة .

تصلب ... وثورة :

في سنة 1916 م حاول اليوطي ان يجرب سياسة تمزيق الوحدة المغربية بتعطيل مفعول الشريعة الاسلامية ، في الاطلس ، تمهيدا للمحاولة التي وقعت في 16 مايو سنة 1930 .

وحينما لم يجد تصلب المولى يوسف لارجاع اليوطي عن محاولته ، قامت ثورة نسائية في « زمور» من جهة ، وثورة في « قبيلة الزكارة » بشرق المغرب من جهة ثانية .

وحينما اراقت المراة الزمورية دماءها فداء للشريعة الاسلامية ، تاكد اليوطي من تصلب المولى يوسف . فتخلى عن محاولته الخطيرة الى حين ...

نزع الملكية . بعد الهجوم على الاسلام :

في سنة 1927 م وفي عهد المقيم العام : « استينغ » قام هذا بمحاولة اصدار ظهير لنزع الملكية لمصلحة الاستعمار ، لتتكامل محاولته مع تشريع اليوطي في الموضوع سنة 1914 .

فالملكية ، والاسلام ، كانا هدفي الاستعمار الاساسين .

فالمواطن المغربي متى افتقد موضع قدمه ، وافتقد ظلال الاسلام ، افتقد شخصيته من طرفيها : السفلى والعليا ، فتهاوى الوسط تلقائيا . وطويت نهائيا صفحة الشعب المغربي مع صفحة عرشه ، واصبح الجو هادئا مطمئنا لابناء الغزاة ...

كان ذلك في سنة 1927 بالذات ، لانه مرت سنة كاملة على استسلام بطل الريف الثاني محمد بن عبد الكريم رحمه الله .

ولم يبق امام الاستعمار الا ثورة ابي القاسم البوزكاوي الزروالي الادريسي الشهير بابي القاسم النكادي في اقليم تافيلالت .

عقب استصدار ظهير نزع الملكية لمصلحة الاستعمار ، التحق المولى يوسف بربه بعد اداء رسالته جزاه الله خيرا .

وسياتي يوم يكشف فيه التاريخ العادل عن مواقف المولى يوسف الخالدة ازاء الاستعمار . فتعلم الاجيال كم قاسى هذا الملك الطيب من ويلات الاستعمار ...

الملك الصالح الميمون الطالع :

توفي المولى يوسف رحمه الله والمغفور له محمد الخامس ابن سبع عشرة سنة ، فكان « مساعده » على المسئولية « الصدر الاعظم ، او كبير الوزراء : الحاج محمد المقري » .

وكانت اولى الكوارث التي واقفته وجها لوجه ، ما قام به خلف « استينغ » : « لوسيان سان » في 16 مايو 1930 ، من محاولة للهجوم على الاسلام مرة ثانية علانية تأكيد الهجوم سلف سلفه اليوطي سنة 1916 م .

في هذا التاريخ بالذات ، كانت مرت خمس سنوات على اول « جمعية سلفية » في فاس . وأبو القاسم النكادي لما يزل يذيق الاستعمار مرائر الضربات في تافيلالت . والمجاهدون يتقاطرون عليه من كل حدب وصوب ...

فالملك الصالح ، والميمون الطالع . وجد امامه « هذه الجمعية » وابا القاسم النكادي ، سياسة سلفية ، وجهادا مسلحا اسلاميا .

وازاء ثورة عارمة على محاولة 16 مايو 1930 ، التي تفاعلت مع العرش والجالس عليه الملك الصالح كشأن الحال في كل كارثة . كادت محاولة « لسيان سان » ان تبقى حبرا على ورق ... لا سيما « والجمعية السلفية » في فاس ، وفي الرباط ، وسلا على الخصوص ، سرعان ما تحولت الى مؤسسة وطنية اسلامية بمعنى الكلمة ، واخذت تصعد النضال في منتهى الوعي والصمود . فانسحب لوسيان سان تحت جناح الظلام ، وفي قلبه من المرارة ما الله به عليم من تفاعل ثورة العرش والشعب .

جس نبض الملك الصالح :

وجاء المقيم : « بونصو » خلفا « للسيان سان» ليدفع بعجلة الاستعمار الى الامام « بلون ثالث » من الوان المكر الاستعماري .

ويتعلق الامر بمحاولة تمثيل الجالية الاجنبية الفرنسية اصالة وجنسية في البرلمان الفرنسي ، ومعنى ذلك بصريح التعبير : تحويل المغرب الى مقاطعة من مقاطعات فرنسا . وعلى العرش والشعب ءاخر تحية وسلام .

في هذه الظروف ايضا تفاعلت طاقات الشعب بطاقات الملك الصالح فانسحب « بونصو » يجر ذيول الخيبة والهزيمة . فضاعف ذلك من تلاحم الشعب بالعرش بقدر ما اهتزت صدور الاستعماريين ، وكادت قلوبهم تقفز الى افواههم . وعاد جس النبض عليهم بعائدات الويل والثبور . وكان ذلك في سنة 1935 ، وهي نفس السنة التي القى فيها السلاح المغفور له ابو القاسم النكادي .

طيش .. وانحطاط خلقي :

كان الفرنسي : « بيروتون » في هذا العهد في منتهى الحماس بكونه « نجح » في القضاء على الوطنية التونسية ، حيث كان مقيما عاما بها . فاسندت اليه نفس المهمة بالمغرب . وكان ذلك في ابريل 1936 .

وقبل ان يغادر مارسيليا للدار البيضاء صرح للصحفيين : بانه « يفتخر بكونه » قضى على حزب الدستور في تونس وانه كذلك سيقضي على « الكتلة الوطنية بالمغرب » ، وان القوة والعنف هما الشعار الذي يجب ان يتبع في السياسة الاهلية بشمال افريقيا)) .

وطرب مقيم اسبانيا بتطوان : « السنيور موليس » فاستدعى الصحافيين وصرح لهم بأن ما قاله مسيو « بيروتون » هو الدستور الذي سيتبعه هو ايضا في السياسة المغربية ، وان « التجربة » علمته ان كل تهاون في الموضوع لا يؤدي الا الى استفحال امر « المهيجين الوطنيين » .

وهكذا « تغازلا المقيمان » تغازل الاغرار البسطاء . فما كان من « بيروتون » الا ان استقرض في الحين مبالغة طائلة للميزانية المغربية واعطى منها للمعمرين ما رفضه « بونصو » كما قرض بعض كبار القواد ستة ملايين من الفرنكات . ولكن لم يكاد يصل الى الرباط حتى تشكلت حكومة « بلوم » . كما قامت ثورة « فرانكو » فاصيب المتغازلان بصدمتين خطيرتين .

فتدهور فكر « بيروتون » فاستقبل على كرسيه الملولب « وفدا من الوطنيين » .

وبرغم ما كان منه من خلق رديء حيال هذا الاستقبال . فانه اول مقيم اعترف ضمنيا بالوطنية المغربية واذا بالملك الصالح الميمون الطالع يقف من عجرفته موقف المومن الصادق . ثم انسحب تحت جناح الظلام غير ماسوف عليه ، وتلك عاقبة الطيش والخلق الرديء ...

العسكريون بدل المدنيين :

ان سياسة العنف والقوة التي اعلن عنها « بيروتون » وتابعه « موليس » هي عقيدة الاستعمار لانه يعلم ان كل تسامح يؤدي الى الانهيار ، فاقدامه لا تثبت قليلا الا على ارضية العنف . اذ ان وضعيته غير طبيعية . فلا صيانة لها وقتا ما ، الا بالعنف والقوة .

ذهب « بيروتون » وخلفه الجنرال « نجيس » في عجرفة متناهية ، فما زال يتعجرف برتبته واوسمته الذهبية ..

والملك الصالح ــ ومن ورائه الوطنية الصادقة، يقلم اظفاره حتى حانت فرصة ثمينة بانعقاد مؤتمر « انفا » : الملك الصالح روزفيلت ، تشيرسيل .. فاختلى بهما الملك الصالح وقرر الاذن لهما بدخول جيش الحلفاء الى المغرب على اساس ضمان حق تقرير المصير . فاصطدم بذلك نجيس، وقرر مدافعة جيش الحلفاء ، فنزل الجيش بالرغم عنه في ثاني نوفمبر سنة 1942 ، وفي يوم الاربعاء بالضبط .

فكان من امر نجيس ان فشل في المدافعة وفر الى البرتغال ، ثم حكمت عليه الثورة الفرنسية بعشرين عاما سجنا ، كما حكمت على « بيتان » بالاعدام وعشرين سنة ، ولما دفن « بيتان » الموالي للمحور احيط قبره بسلسلة علامة على انه لما يزال سجينا في قبره ، ولن تزال تلك السلسلة حتى تنقضي مدة سجنه عشرون عاما !

و « بيتان » هو الذي جاء على راس باخرة حربية لمساعدة الاسبان على حرب محمد بن عبد الكريم رضي الله عنه وتلك عاقبة الظالمين .

الجنرال المشئوم على قومه :

كانت الحرب العالمية الثانية في اعنف ضراوتها فارسلت فرنسا الجنرال كبريال بيو مقيما عاما خلفا للجنرال الهارب : نجس ...

وفي هذا الظرف بالخصوص ، وصل التحام النخبة الوطنية بالملك الصالح منتهى السمو والثقة المتبادلة حتى كان الملك الصالح يجتمع بها في « قبو » بالقصر الملكي .

فاسفر هذا الالتحام ، وذلك التبادل العميق في الثقة والسمو عن « وثيقة 11 يناير 1944 م » ، التي كانت مفاجاة لخبراء الاستعمار ، وللراي العام الدولي، فكانت مظاهرات دامية واعتقالات ، واحكام بالاعدام ، فوجد « كاتبه » نفسه في قلب المعركة ولله المنة والحمد والشكر .

حاول الجنرال المقيم المشئوم على قومه ان يتدارك الخطر .. ولكن تهاوى امام هذه الضربة القاسية ، فانسحب الى غير رجعة .

يد من حديد في قفاز من حرير :

لقد فشلت سياسة الجنرالات المقيمين العامين في المغرب على طول الخط .

فالعنف والقوة صعدتا النضال الصامد المشترك بين العرش والشعب ضدا على الاستعمار .

فعاد الاستعمار لتجربة المقيمين المدنيين ، فكان « اريك لبون » .

جاء هذا المقيم « بيد من حديد في قفاز من حرير » فلقد « فتح ءافاقا » في وجه الانشطة الوطنية عرشا وشعبا ، واول خطوة كانت في اطلاق سراح المعتقلين الوطنيين التي بداها سلفه « الجنرال كبريال بيو » وترك منها « بقية » لخلفه المذكور .

وكان على راس لائحة الباقين : الزعيمان علال الفاسي .. ومحمد بن الحسن الوزاني رحمهما الله، والحاج احمد بلافريج شفاه الله .

وتغاضى المقيم الجديد عن الحفلات التي استرسلت قرابة شهر في فاس والرباط حيث تدفقت سيول الوطنيين على المدينتين من جميع الاقاليم .

واثر ذلك استانفت الصحف الوطنية انشطتها مع « رقابة خفيفة » .

واجتذب هذا الوضع السياسي « المتفتح » كثيرا من المترددين في الانغمار الوطني . وكثيرا من مستغلي الفرص الرخيصة ، الى انطوائية في اوساط افاعي الخيانة ...

بالاضافة الى استحواذ الوطنيين على « الجمعيات الخيرية » واستئناف انشطة التعليم الحر الى تسهيل الانخراط في نقابة « س. ج. ت. » والمجاملة العامة من طرف المراقبين للوطنية بصفة عامة .

وبالاساس ، تلكم « المجاملة الفائقة » للعرش والجالس عليه . حيث كانت الوطنية لا تجد سابق الصعوبة في الاتصال بصاحب العرش .

بينما الشعب المغربي بصفة عامة ، والمناظلون والعرش بصفة خاصة يستغلون هذا « التفتح » بكل حذر ويقظة اذا بالمقيم « لبون » يركز الاقتصاد الاجنبي ليكون الاقتصاد المغربي عالة عليه ، أو على الاكثر ليتهاوى الى الحضيض ...

وكان المقيم « لبون » يتخيل أثناء تركيزه للاقتصاد الاجنبي ان رأسه محمي من « طاقة الاخفاء » ..

وما شعر الا والعرش والوطنية الصادقة يجاذبانه الحبل بقوة ، ويناقشانه ويعارضانه بكل ضبط ودقة ، واذا مشاريعه تتراكم في الديوان الملكي بدون توقيع حتى بالحروف الاولى !

الموقف الملكي الرائع من المشاريع المقيمية :

بينما كان « لبون » يتردد من حين لآخر على صاحب الجلالة المغفور له محمد الخامس بغية التوقيع على « الاصلاحات الاقتصادية » ، كان صاحب الجلالة يتدارس خطة رائعة مع أبرار الشعب ومناضليه .. لا لتحطيم « الاصلاحات الاقتصادية » الماكرة ، ولكن لثورة عارمة عليها من جهة ، والاعلان عن « حق تقرير المصير ــ داخليا ــ واعادة العلاقات الطبيعية التاريخية مع العروبة والاسلام خارج نطاق الحدود المغربية ، مع عدم اغفال طبيعة علاقات الجوار مع العالم الغربي عموما ، وفرنسا واسبانيا خصوصا .

فلم يشعر « لبون » الا وصاحب الجلالة يخبره بمشروع الزيارة الى الشمال عموما ، وطنجة خصوصا .

وحينئذ افاق « لبون » من غفلته المطبقة عما كان يجري في الخفاء ، وهو يدور حول نفسه متصورا ان « مشاريعه الاقتصادية » الماكرة ستحرم المغاربة من وضع اقدامهم على الارض .

حاول ان يعرف فحوى الخطاب الملكي بطنجة ، أو افراغه من مفحواه المستهدف ، فلم يفلح .

وهنا « وجد نفسه مضطرا » الى محاولة يائسة لعرقلة الزيارة ، فقال له « حاكم البيضاء » : بونيفاس: « انا لها » فكانت مجازر تاسع ابريل 1947 م .

استبعد الملك الصالح الجانب العاطفي السلبي من الحوادث ، مع القيام بما يقتضيه المقام ازاها . وانجز زيارته المباركة التي تقدمت بالقضية المغربية اشواطا ايجابية في منتهى الايجابية .

عودة الى الجنرالات :

استدعى « لبون » : « الاشتراكي » للمشاورة معه الى فرنسا ، ولكنه كان استدعاء نهائيا ...

ثم عرضت فرنسا مسئوليته على بعض المدنيين: المقيم القديم : « بونصو » ، « جوفونيل » وغيرهما، فاعتذروا بأن الدبلوماسية الفرنسية قد فشلت في مراكش ، وانهم غير مستعدين لصوغ حلقة من حلقات هذا الفشل ، ما دامت الحكومة غير مستعدة لوضع حل نهائي للمسألة المغربية » ..

اذا ، فليكن لهذه المسئولية اكبر جنرالات فرنسا المولود بشمال افريقيا ، والمتشبع اكثر من غيره بالروح الاستعمارية .

فصفق لتعيينه من كان يتخيل يسر القضاء على الحركة الوطنية ، وجعل حد للنضال المشترك بينها كقاعدة شعبية ، وبين الملك الصالح كرئيس أعلى للمقاومة الصامدة .

ومن سوء حظ « اجوان » الذي عين في شهر « جوان » 1947 ، انه وجد امامه الرأي العام الدولي كله متجها الى « مراكش » وقضيته المصيرية بسبب نزول البطل محمد بن عبد الكريم بالقاهرة ...

نزل في مرسى الدار البيضاء ، ومن هناك ــ وفي موكب اناني سافر بين الدبابات والمصفحات ، اتجه الى القصر العامر بالدار البيضاء لمقابلة الملك الصالح .

وكانت صدمة عنيفة له بانتظاره الاذن عند باب القصر .

وتضاعفت الصدمة بالمقابلة الصارمة التي تخللت بالمراشقات .

وازاء حدث نزول محمد بن عبد الكريم بالقاهرة .
وازاء الموقف الصارم من لدن الملك الصالح .

ازاء ذلك ، ابعد « الجنرالية » قليلا عن نفسه ، ومستعيرا اعصاب « المدنيين » الهادئة ، ثم اخذ يرضى « جنراليته » بالخطب التهديدية المتنوعة .

و « علم النفس » يقول : « ان الاكثار من الكلام يستنفد كل طاقات العمل ، ثم يعرض صاحبه للفشل ثم التهاوي امام الوقائع الحية فالانهيار .... » .

ومن سوء حظه ايضا : ان وصل الى المغرب في ظرف المصادقة على مشروع الميزانية . وكانت المصادقة عليها اولا بتوقيع الصدر الاعظم في منتهى السهولـــة .

ولكن « الصدر الاعظم : المقري » امتنع من التوقيع بحجة ان الملك الصالح امره بعدم التوقيع الا بعد دراستها والاذن له في التوقيع .

وقد استغربت الاقامة العامة كلها فضلا عن « جوان » هذا الموقف من « المقري » الذي لم يسبق له نظير منذ تاريخ عقد الحماية ...

وازاء مثل هذه الاصطدامات حتى من ناحية « الصدر الاعظم » ! اخذ « جوان » يدرس نفسية الشعب المغربي بصفة عامة . وقياده قاعدته . والقيادة العليا للمقاومة الهادفة الرائعة . ولكنه بعد تغلغله فيها ، وجد نفسه مضطرا الى الابتعاد عن خطها الذي من شانه انفلات زمام المغرب من يد دولته .

لذلك عاد الى استعمال اساليب اثارة الفتن ضد اعلى عناصر المقاومة الحق . فالتجا الى « بعض الزوايا » والى رؤوس الفتنة في الاقاليم ، وان اعترف في بعض تصريحاته بان الوطنية المغربية صادقة ، برغم انها رفضت كل اتصال به ووجهت عنايتها الى تركيز الوعي المصيري تحت قيادة الملك الصالح ...

الازمة المتصاعدة ، ورحلة الملك الصالح الى فرنسا :

حينما وصلت الاتصالات بين الملك الصالح واجوان الى الباب المسدود ، قام جلالته بزيارة الى فرنسا لعرض ملف القضية المغربية على رئيس الدولة ، وكان ذلك في شهر شتنبر 1950 م ، برغم معارضة اجوان لذلك . ولكن رئيس الدولة الفرنسية لم تساعده الظروف اذ ذاك على تقبل القضية المغربية في خطها الطبيعـــي .

ونتيجة لذلك ، اشتد غليان الازمة بين اجوان والملك الصالح .

وفي فبراير 1951 بلغ التوتر مستوى الغليان حتى في اوساط الاجانب ، والاوساط الشعبية ، ويشهد الله ، ويسجل التاريخ اننا شعرنا حينذاك بأن قيامة القضية المغربية حان اوانها .

والذي كان يهم ابرار الوطن واحراره في الدرجة الاولى : ان لا يمس الملك الصالح والامراء الكرام بسوء .

وكم كان سرورنا مضاعفا حينما صرح لنا المغفور له – في مؤتمر قيادي بالدار البيضاء – الاخ الحاج عمر بان سلامة الملك الصالح الآن في مستوى 95 في المائة . وابتسم قائلا لنا : اما « الحزب » فليستعد لاساليب العنف والتضحية من الآن .

وللضغط على الملك الصالح ، اخذت الاعتقالات بالسجن والنفي تواصل في مختلف الاقاليم . فرأى الملك الصالح من المصلحة ان يترفق بشعبه وقادته بصفة خاصة ، فكانت « هدنة » بتوقيعه على « اصلاحات » اجوان بما جرت به العادة : « صابر بالبال » .

فرصة الانقضاض على الوطنية المغربية :

من سنة 1951 ، الى اواخر سنة 1952 م كانت المعتقلات والمعسكرات في الصحاري والجبال تضم عشرات المناضلين الابرار .

واستغلت الاقامة العامة برئاسة – اجوان – حوادث التضامن مع تونس الشقيقة باغتيال الزعيم النقابي فرحات حشاد رحمه الله في يوم الاثنين 8 دجنبر 1952 . فسفكت الدماء البريئة خصوصا في الدار البيضاء ، وحشرت كل من له وطنية ما تقريبا في المعتقلات والاماكن السحيقة في المغرب ، وتوقفت كل الصحف الوطنية عن الصدور .

وبهذه العملية الاعتقالية العامة ، اخذ الشعب المغربي ينظر الى ذلك اليوم المظلم الحزين الذي

يقع فيه الاجهاز على العرش بالذات ، ونسي ءالامـه بما يعانيه ابراره من الوان التنكيل في كل اقليم .
واثناء هذه العمليـة الاستعماريـة القاسيـة الشاملة . وبعد انسحاب اجوان ، وتعيين الجنـرال « كيوم » اخذ هذا الاخير يقوم بضغوط متنوعة على الملك الصالح بتجنيد القبائل « لحماية العـرش » : ممـــن ؟ !
وفي الوقت ذاته اخذت « المؤتمرات » تنعقد من « كبار القواد » لافراغ العرش من صاحبه الشرعي وملئه بمن يمالىء الاستعمار على سياسته .
وفي 20 غشت 1953 ، تمت العملية الاجرامية الكبرى بتنحية الملك الصالح عن عرشه واقصائه مع اعضاء البيت المالك الى « كرسيكا » اولا ، ثـم الى « مدغسكر » ثانيا .
الحقيقة ان صدمة الكارثة كانت فـي منتهـى العنف حملت « الابرار » على الشروع فـي تنفيـذ وصايا قادة القاعدة الشعبية التي تلقوها منذ اوائل فبراير 1951 ، و « كاتبه » ممن تلقاها مباشرة مـن المغفور له محمد غازي رضي الله عنه .

الثـورة العارمــة :

ذهب الطيش ، وقلة الخبرة للاستعمار بالنفسية المغربية عامة ، وبالقاعدة الشعبية الوطنية بصفـة خاصة ، الى ان كل شيء قد انتهى ، فلا عـرش ، ولا قادة القاعدة الشعبية ، ولا قضية مغربية ، وانما هو المغرب صار مقاطعة فرنسية موقتا ، او دولة فرنسية تابعة لفرنسا بالروابط التي تمليها الظروف ...
نفس الذي تحلم به اسرائيل في غزوها للبنان في الظروف الحالية : تمزيق وحدة لبنان ، فالقضاء على الثوره الفلسطينية ، و « يتبع » ... ما أشبـه الليلـة بالبارحـة !
لم يكد قادة الاستعمار يشربون نخب « الظفر والانتصار » حتى انفجر النضال المسلح في كل شبر من هذه التربة المجيدة ، واذا بالاجانب يغلقون ابواب منازلهم على انفسهم واسرهم في كل اصيـل ! .. وتبقى الساعات الباقية لغروب الشمس لا يستفيـد منها الا المجاهدون الابرار ، الذي ارغمـوا الحراسة على التغاضي عنهم ولما تغـرب الشمس صاحـت « فرنسا » : ما هذا ؟ .. اين كيوم ؟ فيجيبها رصاص الابرار : هذا .. هو هذا .. ولا كيوم .. ولا غيره .

الى المخادعــة :

واذا بحكومة فرنسا تستدعي « كيوم » وتعوضه بمدني « ماهر » في المساومات : « كرانفال » (1) .
وحسب الانسان ان يرجع الى « مذكرة هــذا المقيم كرنفال » التي قدرت لي قراءتها مترجمة ليعلم التيه الذي عاشه هذا المقيم ، وما كانت عليه وضعيته من تناقض ومرارة ، بما دفعه الى الهروب من المغرب دون وداع ....
ثم يعوض بلاكوسط ، الذي لم يكن حظه السيء اقل من زميله كرنفال . فتنحى للجنـرال : بوايـي دولاتور ، الذي ترفق بالجنرال « دوفال » .وهو من مواليد المغرب كما كان نجيس من مواليد الجزائر ، ويثور اقليم بني ملال ثورة لم يتقد لها نظير ، ويتوجه « دوفال » الى اخماد الثورة فيحترق في طائرتـه .
واذا بفرنسا تعود الى رشدها ـ كما تعودناها ـ فتأمر بوايي دولاتور بتنحية العرش من تحـت مـن عينتـه عليـه .
واذا بالملك الصالح محمد الخامس وامرائنـا الابرار يدخلون القصر الملكي في جو من التقديـر والاكبار .. واذا بالحفلات تستمر نصف عام ...

انتهت رسالتك أيها الملك الصالح :

في السنوات القلائل التي عاشها الملك الصالح رضي الله عنه استطاع ان يقطع المرحلة الانتقالية من الاستعمار الى الاستقلال في هدوء شامل ، وتخطيط بناء عميم ، داخلا وخارجا ، وبقي عليه ان يلبـي نداء من اهله الى ذلكم الجهاد الطويل المتواصل في سبيل العروبة والاسلام ليتمتع بما سينعم الله به عليه من جزاء وفير . وليرتح قلبه على العروبة والاسلام في هذه الديار ، وقد خلف لها من اهله الله لها أميـر المومنين جلالة الحسن الثاني حفظه الله وسايـر اصحاب السمو الامراء الكرام .
وبعد ، فهذه تحيتي المتواضعة لذكـرى ثورة الملك والشعب . والله أسال التوفيـق والسداد للمحافظة على وحدتنا الترابية ، وقيمنا الاساسيـة انه نعم المولى ونعم النصير .

الرباط : قدور الورطاسي

---

(1) سبق قلم : لاكوسط قبل جلبير اكرانفـال .

العاهل الفياض

بين القدس والصحراء

للأستاذ الشاعر شهاب جنبكلي

امدت لنا الايام امنا واقرارا … وفي ظل من امسى يعزز احرارا

وساقت رياح الارض لحنا مزغردا … وردت الى الآمال عزما واصرارا

وهذي الجبال الشم تهتز عاليا … وتهتف صوتا للبشير واخبارا

وتلك السهول الخضر تمسح جرحها … وتنشر عطرا ، في هناء ، وازهارا

مواعد ابطال أقامت مفاخرا … وضمت الى الجنبين حبا واقدارا

وجوه علتها بسمة النصر وانحنت … تحيي مليكا قاد عهدا واخيارا

لئن حطم الآفات صبرا فانه … يجود بجمع الشمل سرا واجهارا

لقد كلل الدرب الطويل بغرة … وحقق للاسلام قدرا واكبارا

تصدى لفعل الفاحشين وقد بدت … طلائع جند الله ترتد اعصارا

اذا قال قولا اتبع القول عزمة … تصد رديف الشر رتلا وانفارا

من العاهل الفياض ترسو سحابة … فتنهل خيرا ، في القلوب ، واعمارا

وفي كل يوم للمليك مآثر … ترد الى الانظار روحا وابهارا

تراه اذا امد اليدين توددا … تفائلت قلوب القوم سمعا وابصارا

له من جهاد الشعب حب وطاعة … فيعطي لمن اوفى ، عطاء واعذارا

* * *

تلقت شعوب المسلمين انارة … ومن مغرب الاسلام عهدا وايثارا (1)

وفي البلد المضياف كانت جموعهم … تساند ابرارا لتسقط اشرارا

فاصفت جموع المسلمين بحدة … وللعاهل الفياض تنهل مدرارا

---

(1) الايثار : الاكرام والتفضيل . وفي البيت اشارة للجنة القدس .

وفي اذن الجوزاء صاحت قناتهم — تلبي نداء الحق مذ صار معيارا
راوه ، وفي عمق الزمان مكانه — يجدد اخلاصا ، ويسبر اغوارا
راوه ، اذا ما جف قلب لعسرة — يفيض حنانا ، وارف الظل ، اعشارا (2)

* * *

مسيرة شعب قد رعاها فحققت — مفاخر اجيال ، تخلد أسفارا
فصانت كرامات ، وصدت عداوة — وضمت على التوحيد شعبا واسوارا
تولت رضى الله القدير وعززت — ايادي ظلت في الشدائد اقمارا
واوقت ، باسم الله ، عهدا وذمة — وسنت على الارض العزيزة ادوارا
على صفحة التاريخ شعب غضنفر — يحطم عدوانا ، ويرسم آثارا
هناك مهاد الارض تفتح اذرعا — وتعزف لحنا ، للمليك ، واشعارا
فذاك الذي صد الاعادي ومهدت — له الراسيات الصم بحرا وانهارا
وذاك الذي ضم البوادي فهللت — لعرشه اقطار تسابق أقطارا
وذاك الذي اهدى الينا بظله — سلاما وعقدا ، بالصفاء ، واستارا

* * *

هنيئا لقدس المسلمين وقد بدت — تميل على الجنبين بشرا وانوارا
هنيئا لشعب مغربي يصونه — امين حكيم ، لا يخلف اوزارا
هنا الشمس تبدو في ابتسام وشعبنا — يقلد وجه الارض رفدا واصدارا
هو الشعب يزهو في مهاد جدوده — يردد عهدا في الولاء ، وادرارا
وردت جماح القوم عزة فارس — ابي ، اذا استصرخ كان لهم جارا
يذود حياض الارض عن كل طامح — ويضفي علينا من رحابه انظارا
هو الحسن الينبوع يدفق رحمة — فيجني ودادا في القلوب وانصارا
هو الحسن الصديق ينصر قومه — فيرفع رايات ، ويبني لها دارا
فسمحا ، امير المؤمنين ، فانني — بذا العيد صداح ينافس اطيارا
واني مع الامجاد اصفو لطلعة — من العاهل الوافي لتصبح تذكارا
سأهتف ، باسم الله ، شعبا وقائدا — يهزون صدر المجد هزا ، فما انهارا
اذا كان عيد المسلمين تيمنا — وذكرى ، فعيد العرش يحذوه مقدارا
فاهلا بذا العيد العظيم ، وكل من — راى الحق نورا ، لا يجنب افكارا

شهاب جنبكلي

---

(2) الاعشار : الحبيب الودود .

دراسات قرآنية :

القرآن كلام الله

-3-

للدكتور عبد الله العمراني

ج ـ بـدء الوحـي :

تحدثنا في الحلقة الماضية عن ماهية الوحـي وامكانيته ، وفي هذه الحلقة نعالج : بـدء الوحـي ـ التدرج فيه ـ الوحي به وهو القرءان .

ورد في الجامع الصحيح للامـام البخاري عن عائشة رضي الله عنها انها قالت :

« أول ما بدىء به رسول الله (ص) من الوحي، الرؤيا الصالحة ، فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب اليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث (اي يتعبد) فيه الليالي ذوات العدد ، قبل ان ينزع (اي يشتاق ويذهب) الى اهله . ويتـزود لذلك ، ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه (في رواية : فجئه) الحق ، وهو في غار حـراء ، فجاءه الملك ، فقال : اقرا . قال ما انا بقارىء . قال: فاخذني فغطني (اي ضمني الى صدره وعصرنـي) حتى بلغ مني الجهد ، ثم ارسلني فقال : اقرا . فقلت: ما انا بقارىء ! فاخذني فغطني الثانية حتى بلغ منـي الجهد ، ثم ارسلني فقال : اقرا . فقلـت : مـا انا بقارىء . فاخذني فغطني الثالثة ، ثم ارسلني فقال : (اقرا باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرا وربك الاكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الانسان مـا لم يعلم ...) فرجع بها (اي الآيات الخمس) رسول الله (ص) يرجف فؤاده . فدخل على خديجة بنت خويلد فقال : زملوني ، زملوني . فزملوه حتى ذهـب منـه الرعـب » .

تفصيل رائع للجو النفسي ، والتهيء الروحـي الذي سبق او صحب عملية تلقي الوحي الرباني لاول مرة ، نباتنا به سيدتنا عـائشة ام المومنيـن ، ولا ينبئـك مثـل خبير .

ونقف هنـا وقفتين قصيرتين :

اولاهمـا : تتعلق بالامر بالقراءة ، كيف يامر الملك محمدا بالقراءة وهو لا يحسنها ؟ اجاب البعـض بان المراد من قول الملك (اقرا) هو : تهيا للقـراءة . ولكن هذا لم يحل الاشكال ، لانه قد يوهم بان محمدا يعرف القراءة ، فما عليه الا ان يتهيا لها !

وارى معنى اقرا هنا هو اتل ، اتبع ما ساقوله لك . ولا ريب ان اصل معنى التلاوة هو الاتباع .

والوقفة الثانية : تتعلق بجواب الامر « ما انـا بقارىء » . هذه رواية صحيحة في معناها ، سليمـة في مبناها ، اي انا امي لا اقرا ولا اكتب . وتوجـد رواية اخرى صحيحة صريحة تقول : مـا أحسن ان اقرا . ولكن ، توجد رواية ثالثة تقول : « ما اقرا » . و (مـا) هنا ، نافية ، تمشيا مع الروايتين السالفتين، وتحتمل ان تكون استفهامية ، ولكن بعض الذين في

قلوبهم مرض ، اعتبروها استفهامية لا غير ، وغرضهم من وراء ذلك واضح ، هو اثبات ان محمدا (ص) لم يكن اميا ... وهذا يتيح لهم الفرصة للزعم بان محمدا هو مؤلف القرءان . كبرت كلمة تخرج من افواههم ، ان يقولون الا كذبا .

د ـ التدرج في الوحي :

بهجرة الرسول (ص) من مكة الى المدينة ، انقسم الوحي الى مكي وآخر مدني . حاول بعض الباحثين تتبع اطوار الوحي في مكة اولا ، ثم في المدينة ثانيا ، ولكنهم اختلفوا في تحديد كل طور ، ولم يتفقوا.

وبتتبع عملية الوحي في عهد ما قبل الهجرة ، نجدها مرت بمراحل يمكن ابراز اربع منها :

فاولى مراحله : الرؤيا الصالحة في النوم . جاء في حديث نبوي ان الرؤيا الصالحة في النوم تكون جزءا من ستة واربعين جزءا من النبوة . ذلكم ان هذه المرحلة استمرت نصف عام ، فاذا ضربنا اثنين في مدة الوحي (23) نتج العدد 46 .

وثانية المراحل : نزول الملك على محمد باوائل سورة العلق ، وابلاغه انه نبي مرسل من عند الله . وكانت الحادثة ذات وقع شديد على قلب رسول الله، صلى الله عليه وسلم ، كما كانت هذه المرحلة نقطة تحول خطير الشأن في حياة الرسول والعرب وسائر امم الدنيا ... وفتر الوحي مدة ، فارجف المكيون قائلين : ان رب محمد قد ودعه وقلاه ، اي تركه كرها وبغضا . بيد ان الوحي لم يلبث ان نزل من جديد ، مخيبا ظن اهل مكة ، ومؤكدا ان الله لم يودع نبيه ولا قلاه ، يقول الله تعالى في قسم بار : (والضحى والليل اذا سجا ، ما ودعك ربك وما قلى) .

وثالثة المراحل : امر النبي (ص) بانذار الناس ، وتحذير من لم يومن منهم بعذاب الله وعقابه الصارم : (يا أيها المدثر ، قم فانذر ...)

ورابعة المراحل : امره (ص) بتعميم الانذار ، وبتبليغ الرسالة على نطاق واسع . قال تعالى :

(فاصدع بما تومر ، واعرض عن المشركين) . وقال عز من قائل : (وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا) .

هـ ـ الموحى بـه :

انزل القرءان الى سماء الدنيا جملة واحدة ، في شهر رمضان المعظم ، وفي ليلة القدر منه بالذات ، بدات تنزيله منجما على رسول الله (ص) .

وبالتامل في آيات التنزيل ، نجد ثلاثة افعال او صيغ ، بثلاثة معان :

- نزل (الثلاثي اللازم) : ويفيد هذا الفعل الانحدار اي الانتقال اما راسيا من اعلى الى اسفل ، واما افقيا من مكان الى آخر ، مع شيء من الاستقرار في كلتا الحالتين . قال ابو تمام:

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى
ما الحب الا للحبيب الاول
كم منزل في الارض يالفه الفتى
وحنينه ابدا لاول منزل

- انزل (الرباعي المتعدى بالهمز) : ومعناه : جعله ينزل من اعلى الى اسفل دفعة واحدة .

- نزل (الرباعي المضعف العين) : ومعناه : جعله ينزل من اعلى الى اسفل تدريجيا وعلى تؤدة ومهل .

ويلفت نظرنا الاستعمالان الاخيران ، فالفرق بينهما تمتاز به لغة الضاد على ما عداها ، كما امتازت بقدمها ، واستمراريتها ، وبثرتها وثرائها الهائل ، سواء في الاصوات ام في الدلالات ام في القواعد . ومن هذه القواعد ان تضعيف الفعل يفيد المبالغة والتكرار.

ويلفت نظرنا كذلك ان صيغة (هبط) الثلاثية اللازمة ، لم تقترن بلفظة القرءان ، واقترنت بغيرها . قال تعالى : (وان منها ـ « اي من الحجاره » ـ لما يهبط من خشية الله) . وقال سبحانه : (وقلنا اهبطوا ، بعضكم لبعض عدو) . وقال عز وعلا : (قلنا اهبطوا منها جميعا) .

والعلة في ذلك ـ والله اعلم ـ تكمن في ان مادة (هبط) تفيد الانحدار ، والسقوط ، والتردي ، ومن غير اللائق ان يوصف القرءان الكريم بشيء من ذلك .

ينفرد القرءان ، بالتنزيل منجما ، ومن اسمائه التنزيل ، بينما اسفار التوراة الخمسة (التكوين ــ الخروج ــ اللاويين ــ العدد ــ التثنية) نزلت على موسى عليه السلام دفعة واحدة . ومثل ذلك يقال في الانجيل الاصيل ، نزل على عيسى ــ عليه السلام ــ دفعة واحدة كذلك . . ولعل نزول الكتابين السماويين، بهذه الطريقة الجمعية الفجائية ، هو الذي شجع كفار قريش على معاندة النبي محمد (ص) ومطالبته قائلين (لولا نزل عليه القرءان جملة واحدة) . ولكن المشيئة الالهية اقتضت الجمع بين الانزال والتنزيل . ثم ان تنزيل القرءان منجما كان لحكم بالغة هي :

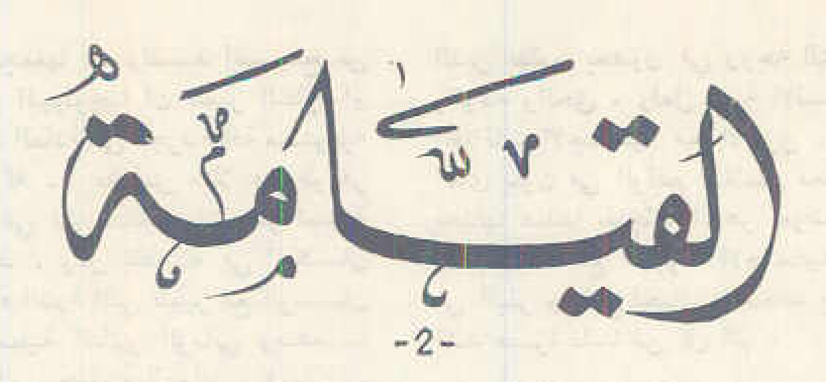
1) تثبيت فؤاد رسول الله (ص) وتقوية قلبه .
2) تيسير حفظ القرءان وفهمه على المسلمين .
3) بيان اعجاز القرءان وتحديه للعرب الفصحاء .
4) التشريع التدريجي المساير للحوادث ولمقتضيات الاحوال .
5) التدرج في تربية الامة الاسلامية من النواحي الدينية والخلقية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية .

القرءان الكريم ، كتاب الله المنزل ، هو اقدم كتاب سماوي ، نزل وبقي محفوظا في الصحف والصدور ، جيلا بعد جيل ، وعن طريق التواتر ، الذي هو طريقة علمية سليمة ، دون ان يصيبه اي تحريف بالزيادة والنقصان ، او بالتبديل والتغيير ، ودون ان تحط من قدره السامي أية معارضة يؤبه لها ، أو اي كلام بليغ آخر .

لقد تكفل الله ــ سبحانه ــ بحفظه ، ولم يشأ ان يكل حفظه الى غيره ، كما فعل في السابق ، حين استحفظ الربانيين والاحبار كتبا سماوية اخرى ، فلم يحسنوا حفظها وصيانتها ، لانهم اختلفوا فيما بينهم ، فبدلوا وغيروا حسب ما املته عليهم اهواؤهم . وصدق الله العظيم ، في قوله ووعده ، وقوله الصدق، ووعده الحق :

(انا نحن نزلنا الذكر ، وانا له لحافظون) .

د. عبد الله العمراني



-2-

للأستاذ الحسن السائح

— 2 —

قدمت في العدد الثالث صفحة من كتاب لمؤلفه العلم في مواجهة المادية وترجمة عماد الدين خليل (عالم الفكر ص 513 المجلد عشر سبتمبر) . وكان المراد من ذلك كله تقديم علمي لتفسير البعث والقيامة كما تظهر من خلال الدراسات العلمية .

ونود في القسم الثاني من البحث ان نعرض للبعث والقيامة كما هي في الاديان السماوية وفي الاسلام بصفة خاصة . فقد جاءت في القرءان الكريم آيات كثيرة تصف القيامة والبعث والنشور . ولعل اشد الجدال بين قريش وبين الاسلام تمحور في قضية البعث والنشور والقيامة ، بل لعل الصراع الدائم بين الماديين والدهريين من جهة وبين المؤمنين تمحور حول موضوع القيامة . والواقع ان الدين بصفة عامة بمفهومه الفلسفي يقيم تعادلية الحياة بين الدنيا والآخرة ، اي على (دار العمل) و (دار الجزاء) . فالموت في المفهوم الديني هي مرحلة انتقال وليست نهاية للانسان ، ولا نخوض في شرح مشكلة الموت واثر هذه المرحلة على شخصية الانسان في حياته الدنيوية ، والاسلام يقر ان الانسان كائن مبرمج يخضع للقدر والقضاء وانه التزم بالميثاق منذ الخلق الاول ، وظهوره في الدنيا هو مرحلة للابتلاء ، ثم يعاني الموت فينقل الى عالم آخر هو القيامة وهذا ما يفسر الآية الكريمة (وقال الذين كفروا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا) كما يصور الاسلام مرحلة الموت للانتقال الى القيامة بانها مرحلة يعانيها كل انسان وتشتد وطأتها او تقل حسب سعادته الدنيوية اما في الفلسفة الحديثة ، فان الفيلسوف الفرنسي فيكس جودانتيك (1869 — 1917) يذكر بان هذه المرحلة ليست مشكلة لو اراد الناس ان يتخذوا منها الموقف الذي يتخذه علماء الفيزياء ازاء ظواهر الطبيعة . ففي كتابه « مشكلة الموت والوعي الكلي » حيث يحدد تصوره للموت في الصورة الآتية التي نقلها الينا (جيم بينروبي) في كتابه « مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة في فرنسا » ، ويقول في تحديده لهذه الصورة ، يوسف يتوسف (ويتوسف مشتق من يوسف) أي يعيش بوصفه يوسف ، ويريد بذلك ان الكائنات التي ماتت لا تدخل في ظواهر العالم لان الموت هو تحطيم واختفاء جهاز آلي كانت له مدة محدودة وشخصيتنا الواعية المركبة من الذاتيات الجزئية لمختلف أجزاء جسمنا أي الجسم بروطوبلاسمي الذي يتحلل شيئا فشيئا اثناء الاحتضار . فهذا التحلل الجزئي من الشخصية الكبيرة الى جزئيات تتقاسم العبء الكلي للالم . فاللحظات الاخيرة للانسان لا تصاحبها الآلام التي لا تحتمل .

فالتجزؤ يساعد على تخفيف الالم بقدر ما يكون اكبر عددا . وهكذا يرى هذا الفيلسوف ان من لا يخشى أن يكون ميتا ينبغي ان لا يخشى الموت . فلقد كان يرى بعض المفكرين المعتزلين المسلمين ان الاقتناع بعدم تأثير الموت والخوف منها مما يعطي القوة على احتمالها . وفي الحديث (ان للموت سكرات) اي غيبوبة ، ولم يقل بان للموت آلاما .

وقد انصب تفكير الفلاسفة القدماء على محاولة تحليل عالم ما بعد الموت حيث تبدو القيامة كعالم الخلود للجزاء عن الاعمال الدنيوية والاستعاضة بعالم الحواس الناقص بعالم المثالية الكامل ... فالانسان روح ومادة . وهو في الحقيقة هيولي محايده في

فرديتها مترابطة في تجمعها .. ولقد أصبح من الواضح بعد تقدم علم البيولوجيا ان تتغير النظرة او الزاوية التي تحلل منها المادة الى مجرد طاقة مستوعبة للزمان والمكان والحركة .. فالكاس مثلا هي ظواهر منتشرة في المكان وهي في مادته ذرات متراكمة منتشرة في حيز فقط . وكل نقطة في المكان تستوعب جزءا من هذه الذرة التي تتغير مع الزمان نظرا لتغير الذرات بعملية التاثير الزماني وعندما تختلف نظرتنا الى الكاس حسب الزوايا . فمعنى ذلك ان الكاس ليس بمادة منفصلة بل هو شيء مادي متعين بالمكان ... فهو حدث ، والحدث يتحلل الى حوادث . او ما يعبر عنه بالظاهرة او المعطيات الحسية ، وكل حادثة تكون مع اخرى مجموع الحوادث التي هي (الكاس) .. فالاشعاع الذي ينبعث من الكاس هو ظاهرة حسية منتشرة في المكان وهو ذرة مادية يدخل في حسابها الزمان والمكان .

والعقل الانساني هو سلسلة من الصور الذهنية والحوادث الحسية .. ولذلك فان بقاءه واستمراره لا ينتهي بموت الجسم .

فالكاس الذرة الذي كان يظن انه كتلة مادية صلبة هو في الواقع سلسلة من لمعات ضوئية ولمسات اصابع وموجات صوتية عندما يرتطم بجسم آخر .

فالمادة اذا هي كهرب اشعاع وهي كهارب واشعاعات كهربائية .. فاذا شيئتها ، تحللت الى طاقات متفاعلة ... او ما يعبر عنه علماء الكلام بالحوادث .. ولهذا فالفلسفة الدينية ترى ان الاخلاص في العبادة تصفية للروح والسمو بها بالعبادة، حتى لا تكون الحياة في الدنيا سلبية تفقد المعاناة لتسمو وتتعالى . والسمو الروحي في الانسان يحتم ان يجد في عالم القيامة الجزاء مستعيضا عن عالم الحواس الناقص في مثاليته القيامة ..

ولهذا فالدين يسمو بالانسان باطنيا وجوانيا ويمنحه العضوية في المجتمع ليرتبط بالوحدة والتكامل ليتحقق وجوده في مرحلة العالم الدنيوي حيث تظهر اعماله مدى الاشراقة في روحه ومدى استعداده للخلود ، والحياة هي ابتلاء واختبار لتظهر مدى السمو الروحي في حياة الانسان . واذا كان الانسان يرتبط في دنياه بالمجتمع لتحقق ذاته وتجربته وتجربة اعماله ليجازى على ذلك له في القيامة ، فان المجتمع يظل وفيا للمخلصين الاتقياء الذين يظلون يجدون في روحه التوجيه الصادق والوفاء والحق . ولعل غربة الانسان دفعت به ليحكم العلاقات الاجتماعية مع الآخرين ... هذا الاحكام الذي يكون في الواقع سلاسل معنوية قوية تشعر بحدتها عندما يفاجئها الدهر بموت اليف فنشعر بالالم لاننا نقطع الخيوط الاجتماعية معه ... فالالم في البتر والقطع لحبال العلاقات يجعل الم الفراق اشد عسرا علينا من كل الم .

ولذلك فالحداد في التحليل النفساني تعبير عن الاسى ، هو التزام اجتماعي .. فالمراة التي تفقد زوجها لا تذرف دموع الحزن فقط اسفا لموته ، بل تحترم العادات الاجتماعية التي تعرب عن مدى التأثر الاجتماعي لقطع علاقاته بعضو من جماعته .

ويرى بعض علماء الاجتماع ان طقوس الموت هي عبادة سلبية لا ايجابية اي تفرض تحريم بعض الاشياء ولا توجب عملها وهو ما يعبر عنه في اصطلاح علم الاجتماع (بالطابو) .

ومن خلال التحليل الديني للقيامة تظهر الصورة الواقعية لفلسفة الحياة ، فاذا كان العلم يفسر الحياة فان الدين هو الذي يخلق الحياة . فالعلم محاولات متجددة للتفسير لا يتقدم . اما الدين فانه هو الحياة نفسها التي تتحرك ، منجذبة بقوة الايمان لتحرك التاريخ والعمل الانساني ... ولهذا فالقيامة هي الجزء الثاني من الحياة الانسانية التي تظهر في مرحلتين (الدنيا) و (الآخرة) .

لقد وجد (الابراهميون) بلسما لحل مشكلة الفراق للاموات بعودة الميت الى الظهور في جسم آخر ، اي (التناسخ) . فاذا مات الانسان ولم يعد فى اسرة الاحياء فهو ما يزال موجودا مثله مثل الحي .. لان الجثة الميتة والجسم الحي لا يفترقان في الجوهر .

اما الاسلام فلا يرى في الموت نهاية بل استمرار لشكل آخر من الوجود ، فهو اذ يقر خلود الروح والجسم والمادة والنفس ، (فالتناسخ) عودة الى الدنيا وامزاج الاحياء مع الاموات . اما الاسلام فالانسان لا يعود الى الدنيا وانما ينتظر الجزاء في عالم القيامة .

اما عن القيامة في الفلسفة الاسلامية ، فسأنقل في العدد المقبل آراء الفارابي وابن سينا وابن رشد .

الشروح المغربية لصحيح البخاري

للدكتور يوسف الكتاني

تمهيـــــد :

لعل المكتبة الاسلامية لا تعرف كتابا من كتب البشر الدينية اهتم به الباحثون والدارسون والعلماء ووقفوا جهودهم عليه مثلما تناولوا كتاب الجامع الصحيح لابن عبد الله البخاري بالشرح والتعليق والدراسة ، وذلك منذ العصور الاولى منذ الف هذا الكتاب وصدر عن صاحبه للناس .

وقد كانت هذه العناية والاهتمام من لدن الباحثين والدارسين هي التي احلت كتاب البخاري محل الصدارة بين الكتب المؤلفة في المكتبة الاسلامية وجعلته في مقدمتها على الدوام بفضل استمرار الاهتمام وتواصل العناية مما يعتبر مظهرا من مظاهر التقدير والاعتبار لهذا التراث العظيم الخالد الذي عم مشارق الارض ومغاربها .

وقد امتدت العناية به الى العلماء غير المسلمين حيث درس وترجم وكتبت حوله مئات المؤلفات من طرف الكتاب المستشرقين الاجانب في مختلف اصقاع العالم حتى وضع احد المستشرقين ختمة عليه سماها ختم البخاري (1) .

وبذلك كان كتاب الجامع الصحيح اعظم المؤلفات تقديرا واعلاها منزلة واكثرها شهرة (2) .

ولقد واكبت هذه العناية والاهتمام – من طرف العلماء والباحثين – الجامع الصحيح منذ تاليفه فقد ظهر اول شرح له – فيما نعلم – في منتصف القرن الرابع الهجري وهو المسمى « اعلام السنن » للامام الخطابي المتوفى سنة 388 هـ ثم توالت فيما بعد الشروح والحواشي والتعليقات متلاحقة متصلة ودون انقطاع طوال القرون العشرة التي تلت تأليفه الى اليوم حيث لم يتوقف اهتمام العلماء بصحيح البخاري او يفتر انتاجهم حوله اذ اخرجت لنا المطبعة في هذه السنة حاشية عليه للشيخ المرحوم الطاهر ابن عاشور (3) .

وقد ظهرت عناية العلماء والدارسين بالجامع الصحيح في هذا العدد الضخم من الكتب المؤلفة

---

(1) ختم البخاري لجولد تسيهر – تاريخ التراث العربي – المجلد الاول ، ص : 311 .

(2) الجامع الصحيح للامام البخاري – ابو الحسن الندوي – مجلة منار الاسلام – ع. 10 ؛ س. 3 – 1398 هـ – 1978 م .

(3) صدرت الطبعة الاولى من هذا الكتاب عن الدار العربية للكتاب ، تونس – 1399 هـ – 1979 م . تحت اسم : النظر الفسيح عند مضايف الانظار في الجامع الصحيح .

حوله شرحا وتعليقا وحاشية وغيرها حتى عد صاحب كشف الظنون منها اثنين وثمانين (4) واصل العدد الكانو هلوى في مقدمة اللامع الى نيف وثلاثين ومائة (5) الى غير ذلك مما ذكره طاش كبرى زادة في مفتاح السعادة وما ذكر في اتحاف النبلاء والديباج المذهب ونيل الابتهاج وغيرها .

الا اننا وجدنا بعد الاستقصاء والبحث في المكتبة المغربية وحدها ان هذا العدد لا يمثل الحقيقة وان ما كتبه المغاربة وحدهم حول الجامع الصحيح يفوق ذلك العدد بكثير مما اكتشفناه وعثرنا عليه من بين تراثنا الضخم المبثوث في خبايا وزوايا خزائننا العامة والخاصة حول هذا الكتاب الخالد .

اجل لقد شغل المغاربة بكتاب الجامع الصحيح لابي عبد الله البخاري منذ عرفوه ورووه ودرسوه فاهتموا به ايما اهتمام واعتنوا به اعظم عناية واحلوه بعد كتاب الله مكان الصدارة في حياتهم الدينية والفكرية والاجتماعية وآية ذلك ان ثاني شرح له ظهر في الدنيا – فيما نعلم – هو شرح مغربي يسمى « النصيحة » لابي جعفر احمد بن نصر الداودي المتوفى سنة 402 هـ اي بعد مدة يسيرة من ظهور اعلام السنن اول شروح البخاري على الاطلاق .

وقد استمرت عناية المغاربة واقبالهم على صحيح البخاري على الدوام وانصب اهتمامهم به من جميع النواحي والوجوه فوضعوا له الشروح وكتبوا عليه الحواشي وعلقوا على متونه واسانيده واختصروه، ولخصوه وجردوا متونه وبحثوا في مشكلاته والفاظه، ووضعوا له التكملات وبحثوا تراجمه وفقه ابوابه وعرفوا برجاله واسناده وكتبوا حوله الافتتاحيات والختمات ونظموا عشرات القصائد حول ترجمة صاحبه وفضائله ومزايا صحيحه وكتبه الى غير ذلك من مئات المؤلفات والكتب التي الفت حول البخاري والتي تزخر بها خزائن القرويين وابن يوسف ومكناس والرباط وغيرها وما تضمه المكتبات الخاصة كالكتانية والفاسية والناصرية والسودية والسوسية والتي تنتظر العناية والرعاية لإخراجها للناس بعد تحقيقها وطبعها كي يستفيد منها الناس وخاصة الجيل الحاضر ليعلم عظيم اهتمام اجداده وكبير عنايتهم بالجامع الصحيح مما يدحض دعاوي باطلة واقاويل ملفقة زائفة تزعم للناس أن المغاربة تركوا الاصول واهتموا بالفروع وانهم تركوا الكليات واشتغلوا بالجزئيات ، فلو نشر هذا التراث العظيم حول الجامع الصحيح وحده لعلم الناس جميعا ان المغاربة كانوا دوما في المقدمة في هذا الميدان والسباقين في هذا المجال وأن ما كتبوه والفوه حول البخاري قد يفوق بكثير ما وصفه غيرهم .

وان مسؤولية الوزارات المعنية كوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ووزارة الثقافة في هذا المجال لتعظم وتتضخم مع تقدم الايام وتكاثر الدارسين والباحثين وانشاء الجامعات وانتشارها في انحاء البلاد ، وانه ليعز على بلاد انتجت قرائح ابنائها ما لم ينتج عشرة غيرهم ان يلاقي هذا الانتاج العظيم اصالا واعراضا قد يؤدي الى الضياع للاندثار ، كما لا يجمل بالبلاد التي الف أبناؤها ثاني شرح للجامع في الدنيا الا تطبع بعض شروحه وتنشرها على الناس خاصة وقد عرف هذا القرن وحده في مفتتحه شرحين مغربيين للجامع يعتبران من اعظم واروع ما كتب حول صحيح البخاري وهما :

« النهار الجاري في شرح البخاري » للشيخ محمد سالم المتوفى سنة 1302 هـ ، في سبع مجلدات ضخام تخرج في عشرين جزءا لو طبعت .

« والفجر الساطع على الصحيح الجامع » للفضيل بن الفاطمي الشبيهي المتوفى سنة 1318هـ 1900 م في ست مجلدات .

كما تعتز خزائننا بملكيتها للنسخة السعادية من الجامع الصحيح المنقولة عن الاصل الصدفي الذي يعتبر نفسه ملكا للمغرب بالشراء الصحيح ولولا الموانع لكان الى جانب الرواية السعادية يحتل مكان الصدارة في خزائننا .

واني اتوجه هنا بالدعوة والرجاء الى امير المؤمنين ان يصدر امره الكريم بطبع الاصل السعادي مع احد الشرحين المذكورين ، وفي ذلك أحياء لتراثنا وحفظا له واداء لبعض الدين الذي طوق

(4) كشف الظنون ص : 545 – 554 .
(5) مقدمة اللامع ص : 126 وما بعدها .

جيدنا به اجدادنا العلماء اعترافا بفضلهم وتقديرا لجهودهم وكدهم ونشرا لعلمهم واظهارا لعبقريتهم المغربية التي ظلت حبيسة بين رفوف الخزائن وخبايا الزوايا .

التعريف ببعض الشروح المغربية

1 ــ النصيحة لابي جعفر الداودي

ابو جعفر احمد بن نصر (6) الداودي الاسدي المتوفى بتلمسان سنة 402 الموافق 1011 ، كان بطرابلس وبها اصل كتابه في الموطا ثم انتقل الى تلمسان واصله من المسيلة وقيل من بسكرة .

وهو من ائمة المالكية بالمغرب كان فقيها فاضلا متقنا متفننا مؤلفا مجيدا له حظ من اللسان والحديث والنظر (7) .

وكان درسه وحده لم يتفقه في اكثر علمه على امام مشهور وانما حصل بادراكه .

اخذ عنه الجم الكثير من اهل العلم منهم ابو عبد الله البوني وعليه تفقه ، وابو بكر بن الشيخ ابي محمد ابن ابي زيد وابو علي بن الوفاء وغيرهم .

وحدث القاضي عياض ان ابا جعفر كان ينكر على معاصريه من علماء القيروان سكناهم في مملكة بني عبيد وبقاءهم بين اظهرهم وانه كتب اليهم مرة بذلك فاجابوه . اسكت لا شيخ لك ، اي لان درسه كان وحده ولم يتفقه في اكثر علمه عن امام مشهور « وانما وصل الى ما وصل بادراكه ، ويشيرون انه لو كان له شيخ يفقهه حقيقة الفقه لعلم ان بقاءهم مع من هناك من عامة المسلمين تثبيت لهم على الاسلام وبقية صالحة للايمان وانه لو خرج العلماء عن افريقية لتشرد من بقي فيها من العامة الالاف فرجحوا خير الشرين والله اعلم » (8) .

ولابي جعفر الداودي كتب مهمة وتآليف نفيسة منها كتابه « النامي » في شرح الموطا « والواعي » في الفقه و « النصيحة » في شرح البخاري و « الايضاح » في الرد على القدرية وغير ذلك (9) .

على ان اعظم كتبه واهمها كتابه : النصيحة في شرح البخاري الذي يعتبر ثاني شرح البخاري ــ فيما نعلم ــ بعد اعلام السنن للخطابي وقد ذكرته امهات المصادر ونقل عنه الشراح كابن التين الذي نقل عنه في شرحه كثيرا (10) .

فقد اورده القسطلاني في مقدمة ارشاده التي خصها لذكر شراح البخاري وما كتب حوله من حواشي وتعليقات (11) واورده القاضي عياض وترجمه في « ترتيب المدارك » كما نقلنا آنفا عنه واورده صاحب « الديباج » وذكره صاحب « نفحات النسرين والريحان » (12) .

ونص عليه ونوه به في « تاريخ الجزائر العام » (13) كما عده من بين شروح البخاري حاجي خليفة في الكشف (14) ومعجم المؤلفين (15) ، هذا وان كتاب النصيحة لا يخرج وجوده عن احد احتمالين : اما انه موجود من بين كتب القرويين ومخطوطاتها وخرومها التي لم تفهرس بعد ، او انه استعير فيما استعير من مئات الكتب من نفس الخزانة وبقي عند المستعير الى الآن .

---

(6) سماه القسطلاني في الارشاد أحمد بن سعيد ص : 35 .
(7) ترتيب المدارك 4 / 623 طبعة لبنان . والديباج المذهب ص : 35 .
(8) ترتيب المدارك 4 / 624 .
(9) المصدر السابق 4 / 623 ــ الديباج ص : 35 ــ معجم المؤلفين 2 / 194 و 195 .
(10) الارشاد ص : 35 ــ مقدمة اللامع ص : 133.
(11) الارشاد ص : 35 .
(12) نفحات النسرين والريحان ص : 90 .
(13) تاريخ الجزائر العام 1 / 361 .
(14) كشف الظنون ص : 545 .
(15) معجم المؤلفين 2 / 194 و 195 .

وقد بذلت الجهد وما زلت للبحث عنه بأغلب الخزانات المغربية العامة والخاصة وكاتبت المشرفين عليها والقيمين ولكنني لم أعثر عليه الى الآن ، وحسبي انني نفضت الغبار عن هذا التراث العظيم وسلطت بعض الاضواء على صاحبه الى ان يوفق الله الى العثور عليه ونشره ليستفيد الدارسون والباحثون بنشره وتحقيقه ولله الامر من قبل ومن بعد .

2 ـ النهر الجاري في شرح البخاري

للشيخ محمد سالم المجلسي الحسني .

محمد بن محمد سالم المجلسي العلوي الفاطمي الحسني الادريسي المتوفى يوم الجمعة بعد الظهر آخر ذي الحجة عام 1302 للهجرة ، عاش تسعا وتسعين سنة (16) .

تربى يتيما وكانت امه بنت شريف كشف وكرامات ظاهرة فخرجت به بعيدا عن والدها ليتربى في حضنها حيث سكنت به مع رعاة وكانت تكتب له بينما يظل هو راعيا مؤاجرا فقيرا الى ان اتم تسع سنين ، وقد أصبح في ملكه نحو عشرين من الابل .

ثم بعثته امه نحو حامد بن عمرو الوارتلي وكان صاحب خدمة وقراءة فبقي بجانبه ستة أشهر ثم بعثه بعدها نحو « الكرار » حول العيون ليمتار له الشعير على ابل وحضه ان لا تعقل ولا تدلل ، فقام بالعمل وحمل عليها الشعير وهو يسير على قدميه مسافة طويلة فلما بلغ شيخه خاطبه قائلا : (اذهب الى امك وعندما تعلم بوصولنا الى (بجرك) آتني فثمة هناك سيكون الفتح عليك) .

فبقي الى جانب امه ينتظر وصول الشيخ ولما علم بنزوله على بجرك ذهب اليه فلما لقيه الشيخ ضربه براحته بين الكتفين والثديين .

وعن ذلك يقول الشيخ : « ولم ازل اجد برودتهما على قلبي وكنت كلما نظرت الى جهة رايت خليلا مكتوبا بمعناه وحتى انني انظرالورقة من الشجرة فيوسعها الله لحمل خليل ووقع لي هذا مع البخاري والقرءان » .

وقد صار هو الشيخ العام في موريطانيا والصحراء تضرب اليه أكباد الابل في العلم والعمل (17) ، حيث تفرغ للتاليف والتعليم واقبل عليه الناس يروون عنه ويتعلمون منه ويتربون بتربيته فكان كثير التلاميذ وحمل عنه خليل في الواح الخشب .

والف كتبا مهمة في اغلب الفنون في التفسير والحديث والفقه وكان يقول : « لم اؤلف كتابا الا بامر من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولما اشتهرت تآليفه وطار صيتها في الصحراء أتاه شيخه قائلا :

« انما جئت لانظر تآليفك في الحديث والقرءان والفقه فأجابه قائلا : « لم ارعف قلما في كراسة الا وقد أحضرت لما اكتب في الورقة جواب الملكين » . فقال له شيخه : « اعمل واعتمد فهذا اجتهاد حسن » .

(يتبع)

---

(16) اخذت هذه الترجمة عن ولد حفيد المترجم الشيخ العبدة بن الجيلالي بيمين احد علماء العيون وامام مسجدها ورئيس محكمة الداخلة حاليا .

(17) تبيين الراغبين في حياة آل محمد سالم المجلسي ص : 4 « مخطوط المؤلف » .

من نشاط أكاديمية المملكة المغربية :

الأستاذ أبو بكر القادري عضو الأكاديمية في كلمة تقديم للدكتور عبد الهادي التازي

●● جـرت العادة في الاكاديميات العلمية ان يقدم الاعضاء الجدد من طرف زملائهم . وهذه كلمة للدكتور عبد الهادي التازي في تقديم زميلـه في أكاديمية المملكة المغربية الاستـاذ الكبير ابو بكـر القادري :

بسم الله الرحمـن الرحيـم

السيد مدير الجلسات ، السادة الزملاء حضرات السـادة :

في الربع الاخير من القرن الخامس الهجـري ، ودع غلام بيته في اقليم جيلان ، جنوب بحر قزوين ، ليقصد طلب العلم ببغداد التي كانت تعيش بداية ايام خلافة الامام المستظهر بالله .

ولم يلبث هذا الغلام ان اصبح هو الشيخ عبـد القادر الجيلاني الذي طبقت شهرته الآفاق ، وكان من اقوى الجسور التي شدت المغرب الى المشرق عبر التاريـخ .

وان معظم الذين تحدثوا عن الامتداد الجغرافي للآثار الجيلانية وخاصة الاسرة القادرية التي تنتسب الى الشيخ ، معظمهم يذكر ان الاشراف القادريـين انتقلوا الى المغرب عبر الاندلس .

ولقد عرف المغرب من قديم باهتماماته بأمـر السند والنسب ، ومن ثمت وجدنا الدول المتعاقبـة على الحكم تشجع النـاس على التمسك بأصولهـا والحفاظ على انسابها ...

وان ملك المغرب السلطان ابا الحسن المريني (دفين شالة عام 752 هـ — 1351 م) هو الذي بعث قاضي عاصمته ، وسفيره في مهماته ، الشيخ ابراهيم التازي ، بعثه لسائر اطـراف المملكـة ليشرف على احصاء الناس واختبار انسابهم ...

وقد واصل السلطان ابو سالم (ت 762 هـ — 1361 م) عمل والده أبي الحسن ... فراعى وسائل المنتسبين وتعدهم بالعناية والمؤانسة ، بل وأحدث

من اجل هذا وظيفة في الدولة كانت هـي منصب النقيب الذي يشرف على ضبط العائلات ، ويراقب الوضعيات الاجتماعية . وكان المتولي لذلك في عهده ابو عبد الله محمد ابن عمران ، فحقق بذلـك المغرب اول مبادرة في التاريخ لوضـع سجلات الحالـة المدنيـة ...

نحن ايها السادة على يقين كل اليقين ان النزعة الصوفية الجيلانية التي تميز بها الشيخ عبد القادر ، عرفت طريقها الى الديار المغربية قبل دخول الاشراف القادريين بكثير .

وهكذا فبصرف النظر عما رواه بعض النسابة من صلات ، على جبل عرفات ، بين الشيخ عبد القادر وبين الشيخ ابي مدين الغوث الذي اخـذ عن رجالات فاس وكان استاذا للمولى عبـد السلام ابن مشيش دفين شمال المغرب .. وبصرف النظر عن صـلات الشيخ في بغداد بمعاصرة الشيخ علي بن ابي الذئاب في فاس ، واذن الاول لاربعين من تلامذته ان يزوروا الثاني في مدينته ، بصرف النظر عن ذلك ، نجد احد ملوك بني مرين — وهو السلطان ابو سالم — يرود جامعة القرويين في فاس ، بزاوية منذ عام 762 هـ — 1361 م ، عرفت الزاوية بخلوة مولاي عبـد القادر ، وحملت في الوثائق والرسوم اسم « الاسبوع » على نحو « الاسبوع » الذي شيد في جامع الشيخ ببغداد للمريدين الذي يختمون القرءان كل اسبوع ...

واذا كان الرحالة المغربي ابن بطوطة لم يتحدث في رحلته عن زاوية الشيخ عبد القادر بمناسبة زيارته لبغداد عام 727 هـ — 1327 م ، مع ما نعرفه عنه من حرص على قصد مثل تلك الاماكن ، فانما ذلك لما كانت تعيشه زاوية الشيخ من محنة في اعقاب هجمة التتر الذين خربوا ونهبوا رباط الشيخ الذي كان يعـرف باسم (برج العجمى) كما يقول المؤرخون .

ولقد توزع بعض الابناء العشرة للشيخ في شتى جهات العالم الاسلامي نتيجةلما اصابهم مـن قمـع واضطهاد ، وهكذا فان هجرة الادمغة — ان صح هذا التعبير — لم تكن وليدة هذه الازمان فحسـب ، ولكنها عرفت منذ القدم ...

واذا كانت بغداد تحتضن حفدة سيدي عبـد العزيز بن الشيخ عبد القادر فان المغرب يحتضن من الاشراف القادريين فصيلتين اثنتين :

الفصيلة الاولى : حفدة سيدي ابراهيـم بـن الشيخ عبد القادر ، وقد انتقلوا الى الكوفة كمرحلة اولى في الطريق الى الاندلس حيث سكنوا حصـن القامرة من سند وادي آش قبل ان يلتجئوا الى مدينة فاس اواخر القرن التاسع الهجري قبـل سقـوط غرناطـة عـام 897 هـ — 1492 م .

وقد كان القادم الاول على العاصمة العلمية من هؤلاء : سيدي محمد الحفيد الحادي عشر للشيـخ عبـد القـادر .

اما الفصيلة الثانية : فهم حفدة سيدي عبـد الرزاق بن الشيخ عبد القادر ...

وقد ظهر من هؤلاء في بعض الوثائق المغربيـة اسم سيدي احمد بن يوسف الحفيد الثاني عشر للشيخ الجيلاني والذي تفرع عنه ولداه سيدي عبـد القادر وسيدي علي اللذان اختارا المقام بمدينة سلا . وقد قضى بعض بنيهم ردحا من الزمان في مكنـاس وفي الجنوب المغربي ، كما تفرع عن يد احمد ولده سيدي عبد الله جد الشرفاء القادريين الذيـن استقـروا بالربـاط ...

ومن ابناء هؤلاء واولئك تولدت اسر كثيـرة ، وظهرت اعلام بارزة في التاريخ ، سواء على الصعيد العلمي والصوفي او النضالي والسياسي ، وقد ترجم معظمهم سواء في المجاميع المغربيـة أو الموسوعات العالميـة .

وكان من هؤلاء سيدي عبد السلام القادري الذي عرف بتآليفه وبحوثه وهو الذي هنـا السلطان مولاي اسماعيل بتحريره لمدينة المعمورة وطنجة والعرائش بقصيدة شعرية يخاطب فيها العاهل المذكور بقوله :

فسل عامري (معمورة) عن فتوحه
وسل طنجة من قبل فتح العرائش
لقد كان دينا فتحها فانقضى بـه
كذلك ما في الارض من كل هامش !

وكان من هؤلاء ايضا احمد بن عبد القادر ابن علي (ت 1133) الذي رحل للمشرق واقام بمصر حيث اخذ الطريقة القادرية عن شيخها السيد علي بن بدر الدين القادري ... قبل ان يقوم بنفس العمل الشيخ

الطاهر بن عبد السلام القادري (ت 1142) الذي اخذ الطريقة عن شيخها بالحرمين الشريفين عبد الرحمن ابن احمد القادري ...

والى جانب امثال هؤلاء ، هناك رجال دولة ، خدموا (المخزن) بما قدموه من الاعمال ، ويذكر من هؤلاء المنتسبين الى عبد القادر الجيلاني الاسحاقي الذي رافق الركب الاميري عام 1143 الى ديار المشرق ، كما نذكر منهم محمد القادري الذي عهد له السلطان سيدي محمد ابن عبد الله عام 1192 هـ - 1778 م بتسوية العلاقات بين المغرب وبين دوبروفنيك في اعقاب خرق القوانين الدولية الجاري بها العمل في الملاحة البحرية .

ومن هنا فاننا لا نستغرب توفر افراد هذه الاسرة الجليلة على عدد من الظهائر السلطانية والمراسيم الملكية التي تقضي بتوقيرهم واحترامهم ، حيث وجدنا انهم يحظون بضروب التكريم والتبجيل، ووجدنا السلطان مولاي اسماعيل يصدر بدوره ظهيرا بتاريخ 25 رجب عام 1130 يتضمن حصانتهم في شخص نقيبهم آنذاك سيدي عبد القادر بن احمد بن يوسف ؛ كما وجدنا السلطان مولاي عبد الله ابن اسماعيل يصدر أواسط ربيع الثاني عام 1153 ظهيرا بانشاء نظارة خاصة باوقاف الزوايا القادرية بالمملكة المغربية واسنادها للشريف مولاي الطيب بن علي بن احمد ابن يوسف .

ومن هنا اخذ الملوك يجددون ظهائر اجدادهم بالنسبة للاشراف القادريين ، حيث يتوفر الارشيف الوطني على عشرات المراسيم الملكية التي تضفي على الشرفاء القادريين صفات الرضى ؛ سواء من السلطان سيدي محمد بن عبد الله او مولاي عبد الرحمن او سيدي محمد بن عبد الرحمن او السلطان مولاي الحسن الاول ... وسواء فى ذلك الاشراف القادريون المقيمون بفاس او مكناس ، او سلا والرباط ، او الجديدة ومراكش وآسفي ، او طنجة وتطوان وشفشاون ...

وفي معظم سجلات الاوقاف المغربية نجد ان هناك نصيبا من المال مرصودا على المؤسسات القادرية ، ونذكر ان في فاس وحدها تسعة وعشرين عقارا في اهم موقع بالعاصمة ، يرجع ريعها لسير الحضرة القادرية ...

وقد عثرت في مكتبة الشيخ عبد القادر ببغداد على مخطوطة لتمهيد ابن عبد البر كتب على ظهرها النقيب عبد الرحمن المحض انه كان يتوق الى الحصول من المغرب على قطعة من التمهيد لابن عبد البر وعده بالبحث عنها زوار مغاربة لم يلبثوا ان اجابوه بأن النسخة في حكم المفقود ببلادنا .

ومن الطريف ان نجد الخزانة القادرية ، وقد ظفرت بالمخطوطة في جهة اخرى ، تقوم باهدائها الى جلالة الملك الحسن الثاني .. على نحو ما تشير اليه مقدمة المجلد الاول من التمهيد المطبوع ...

وهكذا فاننا لا نستغرب الجسور الممتدة باستمرار بين القادريين في المغرب والقادريين في المشرق ...

ايهاالسادة الزملاء :

هذه صفحات من تاريخ يتصل تمام الصلة بالاسرة التي ينتمي اليها الزميل العزيز الاستاذ أبو بكر القادري ، وانه بالرغم من اننا لسنا من الذين يرضون ان يعيشوا تحت عبء الماضي ولكنه لا مندوحة لنا من ان نبصر الغد بعيون الامس ، سيما والاستاذ القادري جزء بارز من ذلك الامس الجميل..

ان حياة الاستاذ أبي بكر القادري حياة حافلة بالعطاء في شتى الحقول : فهو حاضر في الحقل السياسي ، حاضر في الحقل الثقافي ، حاضر في الحقل الاجتماعي وعلى مختلف المستويات : على المستوى الاقليمي ، والمستوى الوطني ، والمستوى الدولي ... فكنا نجده في كل الميادين بحسه ومعناه .

كانت ظروف نشأته في منتهى الدقة بالنسبة لتاريخ المغرب السياسي ، ولذلك فقد كان السيد ابو بكر هدفا لامتحان وطني عسير ، ولكنه كان في كل المناسبات مثال الشاب الوفي لملكه ولوطنه ولدينه ، منذ اوائل الثلاثينات عندما تحمل حظه من مسؤولية مقاومة السياسة الاستعمارية التي كانت تهدف لضرب الوحدة الوطنية والتفرقة بين العرب والبربر الذين التحموا في بوتقة واحدة عبر السنين والقرون ...

ولم يكن غريبا علينا ان نجد اسم السيد أبو بكر القادري ضمن أسماء الوفد الذي رفع (مطالب

الشعب المغربي) عام 1353 هـ ــ 1934 م الى صاحب الجلالة الملك سيدي محمد بن يوسف رحمه الله ، باسم كتلة العمل الوطني.

ان علينا ان نستحضر تلك المرحلة لنعرف مدى الروح المخلصة التي تملكت أولئك الرجال العشرة الذين اقدموا على ذلك العمل الجريء في تلك الظروف العصيبة ...

لقد كان هناك شعور صوفي يميز الحركة الوطنية بالمغرب ويجعل منها صفا متراصا يقف وراء سيد البلاد الذي كان ، تغمده الله برحمته ، المثل القدوة في الاخلاص والصفاء والتوكل ، وانه لمن المطرف ان نجد أن معظم اولئك الاسماء العشرة ان لم اقل كلها تنتمي ، اصلا ، الى نوازع صوفية : عبد العزيز ابن ادريس ــ محمد الديوري ــ ابن الحسن الوزاني ــ محمد اليزيدي ــ المكي الناصري ــ عمر ابن عبد الجليل ــ علال الفاسي ــ أبو بكر القادري ــ محمد غازي ــ احمد الشرقاوي ...

لا بد ان نكتشف من هنا السر الذي كان يكمن وراء اطلاق اسم « الزاوية » ثم اسم « الطائفة » على الخلايا الوطنية الاولى التي انتسب اليها سيدي بوبكر ... ان ذلك كان يعكس الشعور من اعضاء الكتلة بذلك الماضي ...

وكأننا امام الزوايا التي اسلست قيادها قبل ثلاثة قرون ونصف لزعامة سيدي محمد بن الشريف ابن علي ، صاحب زاوية سجلماسة واول ملوك الدولة العلوية ، عندما هددت سيادة البلاد ووحدة التراب الوطني ...

لقد انطلق الركب الوطني فبرز فيه الاستاذ أبو بكر القادري ايما تبريز ، وهكذا وجدناه يقوم منذ عام 1933 م بانشاء مؤسسة وطنية لا يزال المغرب يقطف ثمارها الى الآن ... ويتعلق الامر بمدرسة النهضة التي شيدت جنب الزاوية القادرية والتي انجبت عددا كبيرا من رجال وسيدات ، الفكر والعلم والفن والسياسة والدبلوماسية ، ممن يعتز بهم المغرب اليوم ، نصف قرن في تثقيف الجيل !! لعمري ان هذا العمل وحده لدليل على ان القادري الحفيد يسير على نهج القادري الجد (ولان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها) كما يقول الحديث الشريف .

ولم يكن غريبا علينا ، ان نجد اسم الاستاذ ابي بكر القادري ضمن الموقعين الاولين على الوثيقة التي تطالب باستقلال المغرب عام 1944 ، تلك الوثيقة التي حضرت باتفاق تام وتنسيق محكم مع جلالة الملك المجاهد محمد الخامس نور الله ضريحه .

لقد كانت هذه العريضة تمثل منعرجا حاسما في تاريخ النضال الوطني ، ولذلك فان الذين وقعوها كانوا فعلا يتصورون انفسهم امام المنافي والمعتقلات، ولكنهم كانوا يرون ، بصادق بصيرتهم ، آفاق المستقبل .

ولقد تجاوز الشعور الوطني للاستاذ القادري الساحة المغربية ليشمل ساحة المغرب العربي ، وهكذا وجدناه عام 1952 يتحرك ليعلن التضامن مع تونس الشقيقة في اعقاب اغتيال ابنها البار فرحات حشاد ، وهنا يتعرض الاستاذ القادري للمحاكمات العسكرية التي اسلمته للاعمال الشاقة ، ولم يكن ليصرفه كل ذلك العذاب عن توجيه الحركة الوطنية من داخل غياهب السجن ! وقد عرف له كل ذلك جلالة الملك محمد الخامس ، بعد عودته الى أرض الوطن ، حيث وجدناه ينعم عليه بتعيينه عضوا بالمجلس الوطني الاستشاري ، وليضفي عليه من حلل التوقير ما جعله يتصدر المسؤولية ويتحملها في اخلاص .

وقد حظي بمثل هذا المركز المرموق عندما تسلم الامانة جلالة الملك الحسن الثاني اعزه الله ، حيث وجدنا السيد بوبكر يتحمل مسؤوليات اخرى ويصبح عضوا في مجلس الدستور ، وفي مجلس التخطيط ، وفي المجلس الاعلى لاصلاح التعليم ، ووجدناه يحظى بوسام رفيع من اوسمة الدولة تقديرا لتفانيه في نشر العلم وتوعية ابناء البلاد .

ولكن هل ان ممارسة السيد بوبكر لهذا النشاط كان يقتصر على ارض الوطن ؟

ان كل الذين خالطوا سيدي بوبكر كانوا يشعرون في مجالسه بانه عنصر حرك فعال ، وانه بالاضافة الى كل ذلك مخلص في قوله ، واضح في تفكيره مقرؤ في نواياه .

ومن ثمت حلق في الاجواء ... فشهدناه يمثل المغرب في عدد من المؤتمرات العالمية ، كان من بينها مؤتمرات القمة برئاسة جلالة الملك الحسن الثاني .

وجدنا الاستاذ القادري في اسطانبول وباندونغ وفي كراتشي واليابان وفي القارة الامريكية ... كما وجدناه حاضرا في سائر الاقطار العربية بكلمتـــه ، باصفائه ، باثرائه الآراء ، وجدناه يتولى مسؤوليـــات جسيمة في طائفة من المؤسسات الدوليـــة ، مثـــل المؤتمر الاسلامي الافريقي ، والصحافة الاسلاميـــة ، ومؤتمر العالم الاسلامي والسيرة النبوية ... ووجدناه يتمتع بعضوية عشرات الجمعيات والرابطـــات ... وبترؤسه للوفد الذي حمله صاحب الجلالة الملـــك الحسن الثاني رسائل خطية عام 1974 الى بعـــض ملوك ورؤساء الدول العربية حول قضية الصحراء .

وحتى يبرهن المغرب على تعلقه بقضيتنا الكبرى: قضية فلسطين ، رشح الاستاذ أبو بكر القادري ليكون الامين العام للجمعية المغربية لمسانـــدة الكفـــاح الفلسطيني التي ما انفكت تعمل جادة مخلصة بفضل حيوية الاستاذ القادري .

ولكن كل هذا لا ينسينا الحديث عن الانتـــاج الفكري والادبي والاجتماعـــي والسياسي للاستـــاذ القـــادري ...

لقد كان بالرغم من كل المعاكسات ، يستفيد من وقته ليتفرغ للدراسة ، وهكذا فبعد اخذه في مدرسة درب العلو من سلا ... لازم مجالس العلم بالمدينة ، حيث تكللت جهوده بأحراز الاجازات العلمية من عدد من الشيوخ الذين كانوا يقدرون عصاميته ، وأريحيته ومواظبته ومثابرته .

منذ نحو من عشرين سنة ، والاستاذ يطالعنـــا بمجلة تحمل اسم (الايمان) ، وهكذا كنا نقرأ كـــل شهر في المجلة المذكورة ما يعكس عقيـــدة الرجـــل ومثابرته ودأبه ...

والى جانب مجلة (الايمان) طالعتنا اسبوعيـــة لاحقة تحمل اسم (الرسالة) ، وهـــي بـــدون شك رسالة لكل الصرحاء الذين لا يترددون في مخاطبـــة الناس بالصادق من القول ...

والى جانب هذا ، هناك مؤلفات جيدة ، فيها ما يعالج بعض الجوانب التي تدخـــل في اهتماماتنـــا كأكاديميين وباحثين ...

هناك كتابه : (في سبيل وعي اسلامي) ، وكتابه (في سبيل بعث اسلامي) وهناك كتابه حول (عالمية رسالة الرسول) وكتابه (الدعـــوة الاسلاميـــة في افريقيا) ، وكتابه (حول التعليم الاولي في الاسلام) وكتابه بعنوان : « الخمر آفة خطيرة على المجتمع » !!

هذا الى مشروعه القيم الذي يهـــدف للتعرف برجالات العلم والسياسة من امثال الشيخ الجريري والاستاذ سعيد حجي ، والاستاذ محمد حصار ...

ايها السادة الزملاء ، ايها السادة المحترمون :

اذا كان لنا ما نتمناه ونحن نسعد اليوم باستقبال هذا الزميل العزيز ، فهو أن يـــزوده الله بالعافيـــة الدائمة ، وان يهب له من العمر ما يمكنه من مواصلة اداء رسالته التي اضطلع بها منذ البداية .

والسلام عليكم ورحمة الله .

د. عبد الهادي التـــازي



الفكر الدفاعي والحضارة

للأستاذ محمد حمادي العزيز

الدفاع الوطني عن الامة والوطن واجب مقدس لانه دفاع مشروع عن النفس، وعن الحرمات والمقدسات، وعن الحوزة والحياض والكرامة والسيادة.

وأثناء الصراعات والحروب يكون الدفاع في جوهره هو الدفاع لا يلحقه تبديل او تغيير في أي موقع من المواقع.. لكن وسائله وامكاناته تختلف عند المتصارعين والمتحاربين وتتفاوت باختلاف مستوياتهم الحضارية وتباين درجات رقيها.

وتتقرر مصائر الصراعات والحروب غالبا على رقي مستوى الحضارة اذا توفرت شروط اخرى تواكب مبادىء الحرب وتتطلبها المواقف السياسية والعسكرية.

والدفاع – قبل ان يكون عمليات وسائل اصطدام باخرى دفاعية متعارضة فيحرب لتقرير مصير صراع على نزاع معين – هو في حقيقة أمره فكر متخصص نابع من فكر حضاري شامل.

لذا كان من الضروري ان تعرف مكانة الفكر الدفاعي بالنسبة للحضارة، واهميته في تنميتها والدفاع عنه.

* * *

يرتبط الدفاع بالحضارة ارتباطا التحاميا متينا فكلما تقدمت اسبابها وارتقت مستوياتها تقدمت وسائله وارتقت.

فالحضارة المتقدمة تتيح للدفاع وسائل متقدمة تختلف عن تلك التي تقدمها الحضارة البدائية أو التي تسير في تدرجها نحو الارتقاء لدفاعها وتتفوق عليها، وتكتسحها، وتنتصر.

ان لمحة سريعة في تاريخ الحروب التي خاض غمارها جميع أبناء الانسان في كل مكان من الارض منذ بدئها حتى الآن تؤكد لنا هذا.

لم يكن الدفاع في يوم من الايام، وفي اي مكان من الارض جهازا مكتفيا بنفسه، مستقلا عن الاجهزة الاخرى في الامة ومستغنيا عنها وغير محتاج الى التكامل معها.. فالتاريخ يبين لنا ايضا انه يحتاج الى هذا التكامل ويتطلبه بل ويفرض الانفتاح على أمم اجنبية للتعامل معها في هذا الموضوع بحكم التعاون والتبادل وبضرورة التعامل والتكامل طبقا لاملاءات وشروط التعايش والتضامن.

انطلاقا من هذا الواقع الثابت الذي يقره التاريخ كقاعدة أساسية يتدعم عليها الدفاع نجد الفكر الدفاعي يتعاون تعاونا وثيقا مع الفكر السياسي، ومع الفكر الاقتصادي، ومع الفكر الدبلوماسي، ومع

الفكر الاجتماعي ، ومع الفكر الاداري ، ومع الفكر التشريعي ، ومع الفكر الديني والاخلاقي ، ومع الفكر الامني ، ومع الفكر المستقبلي ... وبالتالي مع مقومات ومعطيات حضارية بأسرها ، بل وبتنسق تكاملها وانفتاحها ليكون منها آلة دفاعية متكاملة موحدة متوليا ريادة توجيهها ومسؤولية قيادتها .

كلما ارتقت الحضارة ارتقى معها الذكاء والفهم والفكر المتخصص في سائر ميادين الحياة الانسانية، وارتقى معها الفكر الدفاعي ارتقاء ذاتيا .

ان التطور السريع المدهش الذي تعرفه التقنولوجية المتفوقة جدا في صناعات وسائل الدفاع يبرهن على هذا ، وينبهنا مسبقا الى توالي ارتقاء بحوثه العلمية ومبادراته التجريبية واتساعها بقصد صنع وسائل دفاعية اخرى اكثر تقدما من التي يشهدها عالمنا حاليا ، في الوقت الحاضر ، على ساحات الصراع والحروب في الفضاء والجو والبحر والبر .

هذا يعني أن الاكثر تفوقا في الحضارة هو الاقوى وتتاح امامه فرص كثيرة للتفوق في ميادين الدفاع والانتصار في الحرب .

أما الاقل حضارة فانه يظل باستمرار تحت رحمته ، ويستمد بقاءه من ظروف سياسية وأمنية ناتجة عن عوامل حضارية كثيرة منها تعارضات المصالح بين الاقوياء ، ومفاهيم التوازنات بين القوى، وسياسات الحفاظ على الدول العازلة ، واقامة اخرى بينها لنفس الفرض ، والصداقات والتحالفات العلنية او غير العلنية ، والاخلاقيات السياسية التي توجبها « الانسانية » ومبادئها والتي يصعب ضربها عرض الحائط في كل الظروف والاحوال ، ثم الاحتياط لضمان بقائها بعدم المغامرة في حروب خاسرة بالوقوف مواقف سياسية منطقية يقبلها الجميع ويستحسنها .

الحضارة بالدفاع ، والدفاع بالحضارة كما نرى .

والحضارة هي القوة التي اذا اصابها الوهن وزالت بقيت الحضارة مجرد اطلال وذكريات تحكي..

هكذا ما يقوله لنا التاريخ ويؤكده عبر عصوره وهو ما نشاهد في حاضرنا .

وطبقا لمقولته هاته نجد الفكر الدفاعي يتغلغل في صميم الحضارة تغلغلا شاملا بتوليه فيها مكانة الريادة فارضا عليها توجيهاته وتعاليمه الآمرة الناهية حتى يكاد يكون لها بمثابة العمود الفقري الذي يهيكلها هيكلة اساسية ..

اما عن تجلياته في نشاطاتها ومظاهرها فانها تكون مباشرة واضحة احيانا وخاصة فيما يتعلق باختصاصات الميادين الدفاعية بينما تظل غير مباشرة ولا ترى في غالب الميادين الاخرى وان كانت أدوارها ومهامها تترك ارتسامات بينة لدى الجميع بتكميلها للدفاع ووسائله باية كيفية ما من الكيفيات .

هذه الحقيقة الاسلامية للحضارة التي تختفي وراء زخارف مصطنعة من ضجيج الترف والمترفين ، وعبث الترفيه واللذة والميوعة، ودعة العيش وسهولته ، وترنحات المترددين في الحياة والمتمردين عليها لاسباب اجتماعية وشخصية شتى لتضليل الجاهلين والاغبياء والمغفلين واصطيادهم اجلب اهتماماتهم الى ميادين سلبية غير جادة لا خير فيها ، ولا تجدي نفعا ، تضيع فيها جهودهم هبا تخرها الامكانات الدفاعية التي تحرم منها اممهم فتظل ضعيفة ، عاجزة ، وفي مستوى ادنى من القوة لا تسمح لها بالتفوق ، ولا بالوقوف في صف الاقوياء، ولا بتحدي اية قوة حضارية متفوقة والصمود في مواجهتها طويلا ..

هذا التضليل الحضاري ضرب من الخداع تستخدمه الحضارة على مستويات متنوعة لفوائد عديدة منها فائدة الدفاع والامن ... ولقد صدق رسول الله في قوله : « الحرب خدعة » .

ثم ان الروح الاسبارطية في الحضارة ما تزال حية ، لكنها تزينت بأزياء أكثر اناقة ونعومة وشفافية تلائم العصر وروحه تختلف عن الازياء الخشنة التي كانت سائدة ايام نفوذ أسبارطة ، ويجري تطبيق تعاليمها بأساليب اوفر لباقة واقل تقشفا ، ووسط جو يسمح للحريات الشخصية بأن تروي ظمأها وتشفي غليلها بالاستمتاع بما اريد لها ان تستمتع به ..

الدول الآن في حاضرنا تسيطر على كل شيء ، وتراقب كل شيء وتوجه كل شيء ، ولها راي في كل شيء ، وتستطيع بسهولة أن تمد يدها الى كل شيء في اي وقت تشاء .. ولمصالحها العليا الاولوية والاسبقية دائما مهما كانت الظروف والاثمان لتسمر يدها علينا .

هذا يؤكد حياة الروح الاسبرطية وسريانها في حضارتنا الحاضره بأساليب وازياء أكثر نعومة ورقة.

فاذا كان تاليه الابطال قد اختفى ، وحل محله التوسيم والتنويه باعمالهم ومآثرهم والتقدير لشخصياتهم حينما تبين لنا الهدى ، ووصلنا الى هذا المبلغ الذي نشاهده من الوعي والرشد ، فان القوة ما تزال تمجد تمجيدا عظيما ، وما تنفك تزداد عن غير توقف ودون تنقل ، غايتها النفوذ الواسع والصدارة في العالم .. وهدفها الانتصار والتفوق واو بلغ ثمنهما ما بلغ .

للقوة المتفوقة دائما الكلمة المسموعة المرموقة، ولكل قوة اخرى دونها تفوقا الكلمة الدنيا ..

ولقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه : « اليد العليا خير من اليد السفلى » .

هذا منطق الواقع الذي تعيشه انسانيتنا في جميع حضاراتها القديمة والحديثة والمعاصرة منذ فجر وجودها حتى يومنا ، وربما ستعيشه ايضا حتى في المستقبل اذا لم تلغ الحرب الغاء نهائيا ، وتبدل بالتحكيم لدى المحاكم والهيآت الدولية لحل قضايا النزاع بين الدول وتوجيه الصراع بينها الى التعاون والتكامل والتوافق لقضاء مصالحها الخاصة والعامة عوض التعارض والتناقض والاختلاف .

ما يزال القوي يقهر الضعيف « كالسمك الكبير يأكل السمك الصغير » ، ومفهوم القوة ما انفك هو الآخر ينتظر فهما راشداً لتنظيمه وتقنينه وتوجيه استخداماته .

هذه روح حضارات عصرنا ، تقدمت كثيرا كما نرى لكنها رغم تقدمها وارتقائها ما تزال محافظة على جوهرها الاسبرطي الكامن .

في مثل هذا المناخ الحضاري الثقيل السائد في عالمنا يجب ان تكون الامة قوية لتتمكن من الدفاع عن حوزتها ، والحفاظ على استقلالها وكيانها والا فانها ستكون كريشة في مهب الرياح العاتية ، قد تعصف بها عصفا لا يذرها في مكانها ، وستذوب من جرائه وتندثر ، أو تدمج دمجا في كيان الاقوى ، ولا يبقى لها اي وجود بين الاقوياء .

هذا ما يقوله التاريخ ويؤكده منطق الواقع .

الغرض من الحضارة هو ادامة القوة وتطوير وسائلها المتنوعة للتمكن من الدفاع بها عنها ، وهو غرض الدفاع نفسه ، ويمارسه بالفكر الدفاعي ، وبواسطة التنسيق بين سائر نشاطات الحضارة والتكامل فيما بينها ، والانفتاح على الامم الاجنبية لتأمين نفس القصد لتلافي الحصار والانعزال وكسب الاصدقاء والانصار والحلفاء ..

الحرب ضرورة ، عندما تندلع نيرانها الحارقة المدمرة ، المبيدة ، والضرورات تبيح المحظورات .

* * *

الامة التي تريد أن تبقى وتستمر يجب عليها أن تكون قوية قادرة على الدفاع عن نفسها دائما في كل حين .

واذا ما ضعفت وسائل دفاعها ، او انعدمت ، او لم تكن في مستوى جيد وملائم ، فانها تكون في حالة خطيرة لا تسمح لها بالصمود في المواجهات العدوانية التي تفرض عليها .

ولاجل ان تدافع عن نفسها يجب أن تكون في مستوى حضاري لائق بالنسبة لمستويات الحضارة التي تعاصرها في كل زمان .

الحضارة بالنسبة للامة غاية انسانية رفيعة للاستقرار والعمران والازدهار والرفاه ، وهي كذلك وسيلتنا للدفاع عن كيانها وبقائها واستمرارها .

اذا كان رقي الحضارة في الامة ثمرة من نشاطات عقول ابنائها ، فان فكرها الدفاعي نتيجة من نتائجها ايضا .

هذا يبين لنا قيمة العقل في الامة واهميته في بناء الحضارة وتنمية الفكر الدفاعي فيها .

العقل يبني الحضارة ويدافع عنها ..

عند ما يضعف العقل تضعف الحضارة ، وتضعف بالتالي وسائل الدفاع عنها .

وبالعكس عندما يقوى فانه يكون سببا في ارتقاء الحضارة ، وفي زيادة قدرة دفاعها وامكاناته ..

وحيثما توجهنا بالبابنا وابصارنا وبصائرنا في العالم قديمه وحديثه ومعاصره نجد انفسنا وجها لوجه أمام هذه الحقيقة العالمية التي يؤكدها التاريخ، ويؤكدها الواقع الثابت .

هكذا يفهم الاقوياء والمتفوقون تقنولوجيا الحضارة .. انها عندهم مرادفة للقدرة الدفاعية المتفوقة من اجل النفوذ والسطوة والصداوة في العالم ..

لكن هناك الى جانبهم من يفهمها فهما آخر غير هذا يوقعهم في اوهام غريبة تدفعهم الى ارتكاب اخطاء كبيرة تسبب لهم الوهن والضعف يمنون من جرائها بالهزائم وبالتخلف والقعوس في مؤخرة الركب الحضاري العالمي .

* * *

على ضوء هذا نستطيع ان نفهم مسلكنا الحضاري بين المسالك الحضارية المعارضة ، وان نحدد موقفنا منها تحديدا منطقيا ، وان نسعى بجد للحصول على الموقع اللائق بحضارتنا في قائمة حضارات عصرنا .

ولن يتأتى لنا هذا الا اذا فهمنا الحضارة كما يفهمها الاقوياء والمتفوقون حضاريا وتقنولوجيا في اطار التمسك بروحانياتنا والحفاظ على مقدساتنا الاصيلة .

ولن تكون لنا سطوة ومكانة مرموقة وصدارة في العالم الا اذا جعلنا الدفاع الوطني عن امتنا صلب حضارتنا ، والفكر الدفاعي رائدها وقائدها .

ولنا من صميم حياتنا وواقعنا وماضينا وحضارتنا تجارب تاريخية عريقة وغنية تؤكد لنا هذه الحقيقة الضاربة .

كلنا على علم تام بما جرى لنا منذ غياب فكرنا الدفاعي عن ساحة حضارتنا ..

ليس بغريب او مدهش ان نطمح الى استرداد مكانتنا في صدارة العالم ، فقديما قال شاعرنا العربي :

ونحن اناس لا توسط عندنا
لنا الصدر دون العالمين او القبر

مسيرتنا الى غايتنا ما تزال طويلة .. وعلينا ان نقطعها مرحلة مرحلة بوعي وحكمة وتبصر وتفكر في العواقب ..

لكن مهما كان الامر فكل شيء يبدأ بالارادة والعزم وبالفهم السليم

آن الاوان لان تتبدل نظرتنا الى الحضارة تبدلا جذريا متوخية بعميمها في كل ربع من ربوع بلادنا وتوعية كل فرد في امتنا بمزاياها وخيرها وصلاحها، وتدعيمها بتعليم شامل تزول بفضله الامية وتمحي آثارها لئلا تظل السذاجة والغفلة والغباوة مخيمة في ارضنا ، ولكي يكون كل انسان فينا ، ذكرا وانثى ، فى خدمة فكرنا الدفاعي مستعدا الاداء واجبه الدفاعي الى جانب واجبه الحضاري في كل حين بفهم واع لحقيقة دور الدفاع في حضارتنا .

الرباط : محمد حمادي العزيز

عبقري عاش غريباً ومات غريباً

للأستاذ محمد بن تاويت

مات ابو الضابط (قائد) فانفردت امه بكفالته وتنشئته تنشئة تعليمية . فاسلمته الى « المسيد » حيث حفظ القرءان الكريم وبعض المتون التي كان الحافظ للقرءان يضمها الىحفظه كالاجرومية ومرشد ابن عاشر والالفية والسنوسية ومختصر خليل .

على حين بدا يحضر حلقات التعليم التي كانت تقام في المساجد والجوامع فاظهر نجابة فائقة وكان حاد المزاج حاضر الجواب ، قلت له مرة ان شيخك يثني عليك فلم يرد ان قال :

اذا رضيت على بنو قشيـر
لعمر الله اعجبني رضاهـا

ثم بدا له ان يترك حلقات التعليم وان يتجه الى المدارس الاسبانية ليتعلم لغتها وفعلا تعلم الاسبانية واجاد فيها اجادة حسنة في ظرف وجيز .

ولكنه لم يستقر على هذا الوضع او لم يستمر عليه في المدرسة بل تركه ليفتح دكانا بأحد شوارع تطوان .

فكان له دكان للبقالة لم يصرفه عن الاسبانية وقراءة كتبها ، بل استمر في دكانه مكبا على قراءة الكتب والنشرات الاسبانية . وكان في نفس الشارع طالب آخر يحضر حلقات التعليم في المساجد .

فصار يتردد عليه بدكانه ويقضي بعض الوقت واقفا بباب الدكان يحادثه . وتطورت الصلة فصار يدخل الى الدكان فيجالسه فيه . وهناك أغراه صاحبه بالاقبال على تعلم الاسبانية ، فانقلب هذا الطالب الى تعلمها والتحق باحدى مدارسها وكان اكبابه عليها منقطع النظير ، لدرجة انه كان عند الاستعداد للامتحان يدخل بيته ويحلق حاجبيه ليبئس نفسه من الخروج منه وينقطع الى المطالعة والتحصيل مدة شهر او يزيد .

ومضت بعض السنوات واذا به يحرز شهادة « الباكالوريا » فينال منحة من الحكومة الاسبانية تساعده على الالتحاق بجامعاتها ومتابعة دراسته فيها، وبذلك التحق بكلية الطب في غرناطة وكان موفق في دراسته فتخرج منها طبيب اشتهر بمهارته وهو الآن يزاولها بطنجة .

اما صاحبنا العبقري المجهول « سي احمد » ، فانه بدا له ان يعود الى حظيرة المساجد حيث يستأنف تعلمه العربي والديني في حلقاتها التعليمية .

وهكذا باع دكانه وما كان يحتويه من سلعة وتوجه الى فاس وهو يحمل معه من الاموال ما قدر انها ستكفيه للانفاق على نفسه طيلة مدة التعليم بالقرويين التي عرفت آنذاك « النظام » في تعليمها .

فالتحق بالسنة الاولى من الثانوي ، وربطت بيننا الزمالة الجديدة زيادة على القديمة . وصار يلقي علي ما يكتبه في مذكراته وكان يحتويها سفر كبير فكنت لا افهمها كما يجب .

وخيل الي انني استطيع ان اكتب كذلك فكتبت وقد قرصتني الغربة حقا فنفثت هذه الكلمة التي منها : « لا تعرف اللذات الا بعد فقدها ؛ فقد يكون الانسان في عيش عذب الموارد والمناهل ، بيد انه لا يعرف طعم لذاته حتى يسلبها . فاذا سلبها اصبح كالمفؤود يئن انين المتفجع الهائم ، ويزفر زفرات يكاد جنانه منها ينفطر ... » .

هذا ما بقي في ذاكرتي عن تلك الكلمة التي كانت اول محاولة لي في الكتابة والتي لما عرضتها عليه قال لي : « انك ستكون اديبا » فكان لها فعلها في نفسي ووقعها في مصيري ...

وكان هو يتابع كتابة مذكراته ويوجه بنسخة منها الى رجل كان بقالا في تطوان (ويقال انه كان عمه الحقيقي) فكان يعطف عليه لذلك . وكان هذا البقال على حظ من العلم كان يمكنه من فهم تلك المذكرات فيشجعه على الاستمرار فيها . ثم ترك هو نفسه البقالة واصبح ضمن عدول تطوان فيما بعد .

وكان صاحبنا العبقري قد وطن نفسه على طول المدة التي كان سيقضيها في التعلم بالقرويين (اي تسع سنوات) ولكنه فجأة وجدناه يعدل عن الاستمرار في التعلم بالقرويين فيجمع ما كان له من اثاث بسيط وآنية بيته ويعرضها على لشرائها بعد شهور قلائل ، ويعود الى تطوان ...

وفي تطوان يقبل على حلقات العلم بها ويكاتبني بتوفقه في دراسته ورضاه عن حلقات تعلمه على فقهائها .

واتيت الى تطوان لقضاء بعض الاعياد فيها ، فكان اول من جاء الى الدار ليسلم علي . ولكن في هذا القصد حصل ما لم يكن مترقب لا مني ولا منه .

حصل انه وجدني متلفعا في « سلهام » فلم يخف امتعاضه لهذه « الطفرة » وقال لي : لبست السلهام ؟ ! فكانت هذه الكلمة آخر كلمة وجهها الي ، كما كانت زيارته هذه اقبارا لتلك الصداقة التي جمعت بيننا . وقاطعني وقاطعته ...

وبعد سبع سنوات اجتمعنا في دار الاستاذ الشيخ محمد المكي الناصري ، وتكرر الاجتماع بها حيث كانت داره هذه ادارة للعمل الذي كان يصدر عنه جريدتان احداهما عربية والاخرى اسبانية . وكلتاهما تحمل اسم « الوحدة المغربية » وهو اسم الحزب الذي كان يتزعمه الاستاذ الناصري . ولم نكن نتحدث كما يتحدث الاصدقاء في ذلك الاجتماع المتكرر بل لا اذكر اننا زدنا على التحية التي كان يعقبها الصمت ويفرقها في الذكريات الماضية .

وقيل انه اثناء هذه السبع السنوات عاد الى الاسبانية وكانت الجمهورية فيها قد جنحت الى الشيوعية فتشيع معها ووظف في اذاعتها بسبتة ولكن اندفاعة منه جعلته يقصى عن عمله لقبلة – كما قيل – طبعها على مديعه او طبعتها هي عليه) .

فلما كانت الثورة التي قام بها فرانكو وجد العبقري نفسه في مأزق حرج وربما كان في غير مأمن من البطش به . لهذا ولحاجته الى العمل انضم الى الشيخ المكي وصار يعمل في كلتا الجريدتين اللتين كان يصدرهما باستمرار ...

وكان الشيخ المكي يقدره وكان يتحمل برودته تحملا لم يعهد فيه وكانت هذه البرودة كافية لان تطفىء احتداده كلما ثارت ثائرته فكانت تجعل جذوة غضبته تبرد في حينها بكلماته الباردة التي كانت تنصب عليها كقطع الثلج فتحيلها الى سيولة ...

وكان العبقري نشيطا عاملا فلم يكن عمله يقتصر على الصحافة بل وكل اليه تنظيم المكتبة التي اقتنيت للمعهد الخليفي . فكان عليه ان يفحص كتبها اولا وقد اشتريت من مخلفات بعض المستشرقين الالمان . ولم يكن هذا العمل سهلا ، لان المكتبة لو كانت كتبها قد اختيرت باديء ذي بدء لسهل الامر ، اما والكتب قد عرضت عليها بالجملة وفيها لغات عديدة حتى الفارسية التي ترجمت منها فيما بعد كتاب « زين الاخبار » فهذا عمل شاق لا يقوى عليه الا المتمرسون او الذين ينصبون ويصمدون .

هكذا تركت صاحبنا وتوجهت الى مصر سنة 1938 فلما عدت سنة 1949 وسألت عنه . قيل لي: انه يعمل باحدى الحافلات في طنجة بتقاضى من الركاب واجب التذاكر التي يوزعها عليهم ، فأسفت لهذا المصير الذي انتهى اليه ذلك العبقري المجهول (وان لم يكن هذا غريبا آنذاك فقد كان السيد الحلفاوي كالذي تولى مناصب سامية بعد ، عاملا هناك بمعمل « الكوكاكولا » ومن قبل مذيعا في اشبيلية) . لقد مضت بعد ذلك بضع سنوات واذا بي التقي مع صاحبنا ذات ليلة بتطوان وقد ورم عنقه ورما عظيما فلف عليه « قب » جلابته . ونظر كلانا الى صاحبه النظرة التي كانت الاخيرة في صمت رهيب منا معا ...

ولم تطل الايام بعد ذلك حتى قيل لي وقد سألت عنه بعض الرفقاء في شيوعيته :

مات المسكين ، مات « البوقري » ...

نعم : مات ذلك المسكين الذي لو كانت الظروف قد أتيحت له لاصبح من كبار الادباء لعهدنا او رجال الفلسفة ، ولكنها الظروف تعمل عملها وما أكثرها وأقساها ... رحمه الله رحمة واسعة .

تطوان : محمد بن تاويت



للدكتورة عائشة عبد الرحمن
(بنت الشاطئ)

في خزانتي كتاب عنوانه « الاسلام الصراط المستقيم » حملته من بغداد في شهر فبراير سنة 1965 ، هدية من زميل كريم من اعضاء المؤتمر الخامس للادباء العرب « الاستاذ نور الدين الواعظ ، المحامي ببغداد » وهو الذي راجع الترجمة العربية للكتاب عن طبعته الانجليزية الامريكية باشراف « كينيث مورغان : استاذ الاديان بجامعة كولجيت » وكتب فصوله تسعة من كبار الكتاب المسلمين : من مصر وفلسطين وتركيا وايران وباكستان والصين واندونيسيا . ونشرته مؤسسة « فرانكلين » على أوسع نطاق ، في نيويورك وبغداد وبيروت سنة 1961 .

ومن عادتي ان اقرا كل كتاب يصل الى يدي ، ثم تحدد قراءتي الاولى موقفي منه : فاما اكتفي بتدوين ملاحظاتي عليه في مفكرتي ثم أوجهه الى احد ابنائي طلاب التخصص او الى احدى المكتبات الاقليمية التي أزودها بما استغني عنه من كتب بعد مطالعتها ، واما احتفظت به في خزانتي تحت النظر والمراجعة ، لتعلقه بما يشغلنا من قضايا الفكر المعاصر .

في الموسم الماضي ، رجعت الى كتاب (الاسلام الصراط المستقيم) التماسا لما دونت عليه من ملاحظات احتاج اليها في قضية التفسير الديني لتاريخنا ، فوقفت طويلا عند الفصل الذي كتبه عن « الثقافة الاسلامية في البلاد العربية والافريقية » الاستاذ المعروف «اسحاق موسى الحسيني» من اعلام المفكرين الفلسطينيين ، واستاذ الادب العربي في معهد البحوث والدراسات العربية وفي الجامعة الامريكية ، بالقاهرة .

وقد حظيت زمانا بزمالته ، عندما كنت احاضر بمعهد الدراسات من سنة 1962 الى ان قطعت صلتي به سنة 1973 . والذي اعرفه لسيادته من القدر والمكانة ، هو ما يحملني على مراجعته في ملاحظات لي ، على الفصل الذي كتبه في « الاسلام الصراط المستقيم » من حيث اعرف ان ما يكتبه الاستاذ ، موضع ثقة وقبول من عامة المثقفين ...

والقضية ، من جانبها العام ، تتعلق بفكرة المشارقة المحدثين ـ بفتح الدال مخففة ـ عن

المغرب الاقصى الذي عرفه تاريخ امتنا رباطا لحماية الاسلام دينا ودولة ، ولسانا وعلما ، وحضارة وتراثا . .

وقد شغلتني هذه القضية من سبع سنين ، حين شرفت بالدعوة الملكية لاشغل منصب استاذة الدراسات العليا في جامعة القرويين ، فتنبهت وأنا آخذ مكاني في اعرق جامعة اسلامية ، الى ما يدين به طلاب المدرسة الاسلامية حيثما واينما كانوا ، للعلماء المغاربة الذين كانوا اساتذة الاجيال منا ، في عطاء تراثهم السخي الذي تزودنا منه على طول الطريق في دراستنا لعلوم الاسلام والعربية .

وكنت قبل رحلتي العلمية الى المغرب ، في غفلة من هذه المشيخة المغربية لطلاب المدرسة الاسلامية التي انتمي اليها . فمن الانصاف ان التمس العذر للكتاب المحدثين ، فيما يغيب عنهم من تاريخ المغرب الاسلامي ، وليس لجمهرتهم انتماء الى المدرسة الاسلامية التي انفردت ، من عصر صدر الاسلام الى جيل آبائنا ، بالقيادة التعليمية لابناء الامة ، موحدة المنهج والبرامج والكتب في كل انحاء العالم الاسلامي . وانما بدات ظاهرة العزلة الفكرية للمشارقة عن المغاربة ، مع الغزو الاستعماري الذي قطع الاواصر العلمية بين شعوب امتنا الواحدة ، وانتهى العهد بوحدة التعليم الاساسي الاصيل في المدرسة الاسلامية ، وتوزعت ابناء جيلنا شتى المدارس والثقافات ، فنحن فيما بيننا غرباء . .

وهذا ما يتوط بمعهد الدراسات ــ وهو من مؤسسات جامعة الدول العربية ــ دورا خطيرا في تصحيح ظاهرة العزلة ، ويعطي حديث الاستاذ اسحاق الحسيني عن « الثقافة الاسلامية في البلاد العربية والافريقية » اهمية خاصة في الفكر المعاصر .

* * *

يبدو لي ان الاستاذ المؤرخ للثقافة الاسلامية ، جرى قلمه عفوا بكلمات ومقولات رسخها الغزو الفكري في وجداننا . اذ بدا الحديث عن مصر وافريقية ، بقوله :

« غزا العرب مصر في اوائل القرن الاول الهجري . .

« غزا المسلمون شمالي افريقية عام 23 هـ ــ 62 م ، بعد ان انهى عمرو بن العاص احتلال مصر . ولكن الغزو الفعال حدث بعد حوالي أربعين عاما ، على يد الامويين الذين اسسوا حامية عربية اسلامية في القيروان » .

والتاريخلا يعرفغزوا عربيا واحتلالا اسلاميا لاقطار مصر وافريقية ، وانما يعرف « فتوحا اسلامية » ولا يهون علينا ان يقول كاتب عربي مسلم بغزو عربي واحتلال اسلامي ، على حين فرضت طبيعة الفتوح واقعها التاريخي على المحققين من علماء الفرنجة ، مثل « بتلر » في « فتح مصر » و « جوستاف لوبون» في تاريخه لحضارات البلاد التي فتحها الاسلام و « جويدي » في محاضراته عن الشرق والعمران ، و « فلهوزن » في تاريخ الدولة العربية . . .

وقول الاستاذ : ان الغزو الفعال ، حدث بتأسيس القيروان ، بعد اربعين عاما من احتلال مصر سنة 25 هـ ، يخالف المعروف تاريخيا من تأسيس « عقبة بن نافع الفهري » مدينة القيروان وبنائها ، سنة ثمان وخمسين ، بعد ستة من توجه « حسان بن نعمان الغساني » الى افريقية ، فصالحه اهلها على من يليهم من البربر . .

ويتابع الاستاذ اسحاق الحسيني تاريخه لغزو شمالي افريقية فيقول ما نصه : « وامتد ذلك الغزو بعزم وثبات صوب المغرب ، الى ان بلغ شواطىء المحيط الاطلسي ، وادخل في الاسلام جموعا غفيرة من البربر ، هم بقايا الرومان والوندال » .

ولا ادري من اين جاء بهذا الاصل الروماني والوندالي للبربر ، والمؤرخون وعلماء الانساب ، يرجعون في نسب البربر الى ما قرره « ابن حزم الاندلسي » في جمهرة الانساب ، من كونهم : من ولد كنعان بن حام . وقال ابن خلدون في المقدمة الاولى من كتابه (العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم البربر) : ان المحققين من نسابي البربر ، على انهم من ولد مازيغ بن كنعان ، بن حام .

وبه قال « ابن عبد البر : حافظ المغرب » و « ابو العباس الناصري : مؤرخ المغرب » في (الاستقصا) وهم بلا ريب أعلم بانساب قومهم وتاريخهم ، فالى من رجع الاستاذ الحسيني في قوله ان البربر المغاربة من بقايا الوندال والرومان ؟

ومثله في الغرابة ، قولـه في نسبة عـرب فلسطين : « وهم في الاغلب من نسل الحجاج والزوار واللاجئين الذين كانوا قد جاءوا الى الارض المقدسة بحثا عن ملجأ لهم ومأوى ، في موطـن الصخـرة والمسجد الاقصى الذي يقدسه المسلمون جميعا بعد الكعبة المشرفـة » !! ؟

* * *

ويتابع الاستاذ في حديثه عن المغرب ، قال :

«وفي القيروان بذلت جهود لنشر الاسلام واللغة العربية بين البربر . وفي سنة 100 هـ وضع الخليفة الاموي هناك بعثة تبشيرية - كذا ! - عرفـت باسم بعثة العلماء العشرة ، التي يعود اليها الفضـل في اقناع معظم قبائل البربر باعتناق الاسلام وتعلم اللغة العربيـة » .

يعني بعث امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز عشرة من فقهاء التابعين وقرائهـم ، الى الشمـال الافريقي الاسلامـي .

قبلها بعشرات سنين دخل الاسلام المغـرب ، ومعه العربية ، لغة الدين والدولة ، من أول الفتح .

وقبل « البعثة التبشيرية » بنحو عشر سنين، عبر القائد المغربي طارق بن زياد البربري الصنهاجي المضيق الى اسبانيا ، في اثنـي عشر الفـا مـن جنده ، فيهم عشرة الاف من المسلمين المغاربـة الامازيـغ !

وفي القرن الثاني - الذي بدات في مطلعـه الدروس الاولى للبعثة - كان من علماء المغرب فقهاء ورواة ، رحلوا الى المدينة المنورة واخذوا العلم عن « مالك بن انس » امام دار الهجرة ، وفي الطبقـة الاولى من اصحابه الذين كان لهم ظهور في العلم في مدة حياته « 93 - 179 هـ » تسعة عشر فقيها من اهل افريقية والاندلس ، وفي الطبقة التي تليها منهم عشرون . ومن علماء الطبقة الاولى « الذين انتهـى اليهم فقه مالك ، ممن لم يره ولم يسمع منه » سبعة وثلاثون فقيها من اقطار المغرب الكبير ، منهم « الامام سحنون » صاحب « المدونة » اكبر اصول الفقـه المالكي بعد الموطـا ...

ولم يات القرن الثالث ، حتى كان المغرب دار حديث وفقه وعربيـة .

وبهذا نرد ايضا قول الاستاذ الحسيني .

« وقد تأيد ولاءهم لعقائد اهل السنة والفقـه المالكي من نهاية العام الثالث الهجري ، عندما تأولوا الدولة الفاطمية في مصر » .

واقول : الدولة الفاطمية لم تبدا في مصر في نهاية القرن الثالث ، بل بعد منتصف القرن الرابع ، وعلى التحديد في شعبان من سنة 358 هجرية .

والمذهب المالكي لم يتأخر « ولاء المغاربة له » الى العصر الفاطمي ، بل ورسخ في المغرب قبله بزمن طويل . وكانت « مدونة سحنون » المرجع في القضاء والفتيا على المذهب . والمعروف من تاريخه بالمغرب، انه مر بازمة عصيبة في عصر الدولة الفاطميـة ، بسبب محاولتها حمل الناس قسرا على ترك مذهب الامام مالك الذي حملـه المغاربة ، الى المذهـب الشيعـي .

* * *

وتمضي مع الاستاذ اسحاق الحسينـي في تاريخه للمغرب ، الى ان قال :

« وفي نهاية القرن التاسع الهجري ، انهـار الحكم العربي في الاندلس أخيرا ، والتجات الطوائف - كذا ! - الاسلامية فيها الى المغرب ، واصبحت اجزاء من شمالي افريقيا تحت سيطـرة الاسبـان وظلوا يحكومنها الى أن جاء الاتراك العثمانيون فحرروا طرابلس وتونس والجزائر . اما مراكش فقد ظلت في منأى عن الحكم العثماني ، وظل يحكمها سلاطيـن الحقوا نسبهم بالنبي » صلى الله عليه وسلم ...

والذي في التاريخ ، ان دولة الاشراف العلويين التي خلفت الاشراف السعديين بعد القرن العاشر ، لم تلحق نسبها بالنبي صلى الله عليه وسلم ، بل هي في النسب الشريف من الصميم . وقد كان الاجيال من آبائها الاشراف ، يعيشون في المغـرب مـلء القلوب من عهد الدولة الادريسية التي اسسها سنة 172 هـ ، جدهم « ادريس بن عبد الله بـن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب » رضي الله عنهم . ولم يسع الاشراف العلويون الى الحكم ، بل نهضوا به تكليفا ، عندما تصدعت الدولة السعدية بعد موت السلطان « المنصور الذهبي » وصراع بنيه على الحكم « فضربت الحرب بينهم ، واهملوا الثغور

والرعية والجند ، وتمزقت الدولة بالفتنة ، بين الثوار من رؤساء القبائل ، فصاروا كملوك الطوائف بالاندلس . وخيف على الثغور المغربية من خطر الغزو الصليبي ، فلاذ الناس بسبط النبي صلى الله عليه وسلم : « المولى محمد بن الشريف علي » حفيد الشريف « الحسن الداخل » ، وقد خلفه اخوه : « المولى رشيد » سنة 1075 هـ ثم « المولى اسماعيل » سنة 1082 هـ ، الذي بقي الملك في عقبه الشريف ، الى اليوم ، ذرية نقية طيبة ، من آل بيت النبي ، صلى الله عليه وسلم .

* * *

وتحدث الاستاذ عن الطرق الصوفية التي « تعمل في تكايا ، هي بمثابة جماعات منظمة لنشر تعاليمها وطقوسها الصوفية .. والتعليم في شمال افريقيا متوفر بالمدارس الدينية الملحقة بالمساجد والتكايا . وتكايا الطرق الصوفية في مراكش ، اكثر منها في تونس .. وهذه التكايا ساعدت على نشر التعليم بين الشعوب الافريقية ، اذ كانت كل تكية مدرسة تعلم الناس القراءة والكتابة والقرءان الكريم »

واراه خلط هنا بين التكايا والكتاتيب التي يطلق عليها في المغرب والسودان : المسيد ـ لغة ق المسجد ـ بل اخشى أن يقع خلط بين التكايا التي نعرفها ماوى لضيافة الغرباء ، أو ملجأ خيريا لمن يطلق عليهم الشعب « تنابلة السلطان » .

وبين الزوايا المغربية التي عرف لها التاريخ من المائة الخامسة للهجرة ، دورها الخطير في السياسة والفكر والعلم والجهاد . ومنها تخرج قادة اعلام وعلماء ، كانوا ، نجوم الداجية والعلم الاسلامي ينحدر الى ظلمات ليل الاحتلال . فالى القرن الحادي عشر للهجرة ، كانت الزوايا المغربية دور رباط وعلم ، عامرة بالعلماء والطلاب وذخائر الكتب : الزاوية الدلائية مثلا ـ اسست في النصف الثاني من القرن العاشر ـ بلغت مساكن الطلبة الملحقة بها الفا واربعمائة مسكن ضاقت بهم على سعتها ، عدا دور الضيافة المعدة لاستقبال العلماء ممن كانوا يفدون على الزاوية للقاء شيوخها الدلائيين . وبلغ رصيد خزانتها اكثر من عشرة آلاف مخطوط ، من نفائس علوم العربية والاسلام . وكذلك كانت الزوايا الفاسية والعياشية ، من اكبر المراكز العلمية ق المغرب في القرن الحادي عشر ، وما تزال خزانتها شاهدة على عهدها الزاهر» عهد تكايا ، او كتاتيب اولية بدائية « لتعليم القراءة والكتابة والقرءان الكريم » .

* * *

وكتب الاستاذ عن التعليم الاسلامي بالمغرب المعاصر :

« ويدرس التعليم العالي في مراكش وفي جامعة القيروان في فاس ، وفي المسجد الكبير ق تطوان ، ومركز الدراسات العليا في تونس هو جامعة الزيتونة القديمة الشهيرة وفروعها . وقد الحق بجامعة القيروان بفاس ، مسجد كبير آخر ق عاصمة الجنوب ـ مراكش ـ يدعى مسجد ابن يوسف .. اما التعليم على مستوى عال في جامعة القيروان ، في مراكش ، فيشمل تدريب الاساتذة والاخصائيين في الفقه والادب . وفي جامعة الزيتونة كليات للشريعة والالهيات والادب والقرءان » .

وفي كل هذا ، وهم مستغرب من مثل الاستاذ الكبير :

فجامعة القيروان تحريف غليظ لجامعة القرويين اعرق جامعة اسلامية ، ذات الماضي المشهود في تاريخ العلم بالشرق والغرب ، والتي حملت منذ تأسيسها قبل منتصف القرن الثالث للهجرة ، منار علوم الاسلام على حافة بحر الظلمات . فاضاءت للغرب الاوربي ليل عصوره الوسطى .

وجامعة القرويين لا تدرب الاساتذة على الفقه والادب فحسب ، بل تخرج علماء راسخين في علوم الاسلام والعربية .

وجامعة القرويين لا تستقبل طلابها بتطوان وعاصمة الجنوب في الجوامع ، بل لها مع كلية الشريعة بفاس ، كلية اصول الدين بتطوان ، وكلية الدراسات العربية بمراكش ، ودار الحديث الحسنية بالرباط . ويتابع المتخرجون في هذه الكليات ، دراساتهم العليا الى درجة العالمية : دكتوراة الدولة في علوم الاسلام .

وتحدث الاستاذ الحسيني ، بعد كلامه عن جامعة القيروان بفاس والزيتونة بتونس والجامعة الاسلامية في بنغازي ، عن التعليم الاسلامي في السودان وتكاياه ، دون اشارة الى معاهده العالية التي كانت نواة لجامعة ام درمان الاسلامية ، المرجوة لان تكون منارا في قلب قارتنا الافريقية العريقة .

ثم كتب مقررا :

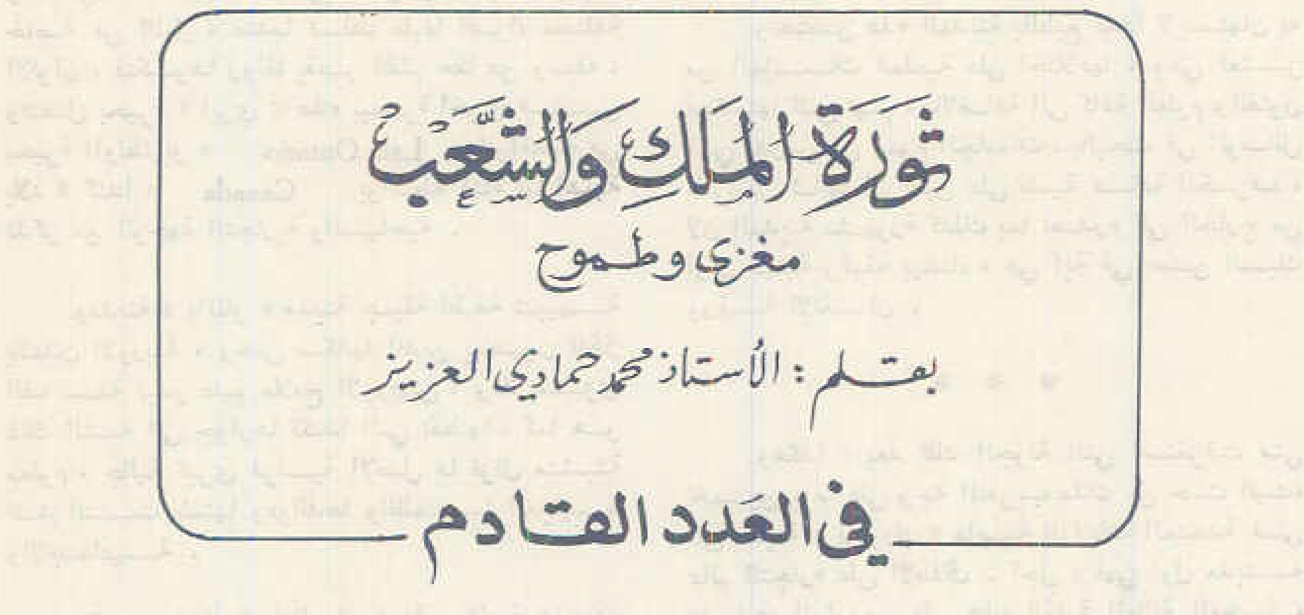
« ولا شك ان العقيدة الاسلامية بين الشعوب الافريقية ــ هكذا بالجملة ! ؟ ــ لم تكن تخلو من تأثير الشرك الخفي ، اذ لم تبلغ الافريقيين بحالتها الصحيحة التامة » ..

فماذا عساى أن اقول ، سوى أن أرجع بسيادته الى مقالي ليقراه من أوله ، وأن أستغفر الله لي وله؟!

« ذلك مبلغهم من العلم ان يتبعون الا الظن وأن الظن لا يغني من الحق شيئا » .

صدق الله العظيم .

الرباط : د. بنت الشاطيء



انطباعات قديمة وحقائق ثابتة عن بعض المدن الأمريكية

-3-

للأستاذ محمد محيي الدين المشرفي

اما مدينة « بافللو » Buffalo فتقع على ضفة بحيرة « ايري » Lac Eric ، ولا تبعد الا قليلا عن شلالات « نياكرا » Niagara Falls التي يحج اليها في كل عام ما يقرب من مليون نسمة؛ وتكتسي هذه الشلالات الفريدة من نوعها جمالا وروعة خاصة في الليل ، عندما تسلط عليها اضواء مختلفة الالوان ، فتكسوها رونقا يقصر القلم حقا عن وصفه ؛ وتتصل بحيرة « ايري » هذه ببحيرة اخرى تسمى بحيرة «اونطاريو» Lac Ontorio الواقعة في بلاد « كندا » Canada بواسطة قناة لها اهمية تذكر من الوجهة التجارية والسياحية .

ومدينة « بافللو » مدينة جميلة لطيفة شبيهة بالمدن الاوربية ، وحتى سكانها الذين يبلغون 589 الف نسمة تبدو عليم ملامح الاوربيين ، وقد يعزى ذلك الشبه الى جوارها لكندا التي تقطنها ، كما هو معلوم ، جالية كبرى فرنسية الاصل ما تزال متشبثة اشد التشبث بلغتها وعوائدها وانظمتها الدينية والاجتماعية .

وتعتبر مدينة « بافللو » مدينة صناعية هاجرت اليها اولى جالية انكليزية عام 1784 ، ولم تكن سوى قرية صغيرة سنة 1820 اذ لم يكن عدد سكانها اذ ذاك يتجاوز 000 2 من السكان ، ثم جعلت تكبر وتزدهر شأن المدن الامريكية كلها التي راحت تنمو بسرعة تدعو الى الدهشة نتيجة لحركة التصنيع التي ظهرت بوادرها بالولايات المتحدة في اوائل القرن التاسع عشر الميلادي كما هو معلوم .

و « بافللو » مدينة تجارية قبل كل شيء ، وبعد كل شيء ، اشتهرت بطاحوناتها العديدة الراقية . ومن اجل ذلك فهي تصدر كميات هائلة من الدقيق الى مختلف الولايات الامريكية الاخرى والى الخارج.

وتحتضن هذه المدينة بالطبع عددا لا يستهان به من المؤسسات العلمية على اختلافها ، وهي تعتز بجامعتها التي تهتم ، بالاضافة الى كافة العلوم والفنون التي تدرس في عموم الجامعات ، بالبحث في الوسائل التي من شأنها ان تعين على تنمية صناعة الخزف ، لان المدينة مشهورة كذلك بما تصدره الى الخارج من اوان طينية رقيقة بيضاء ، هي آية في حسن السبك ورقة الاتقان .

* * *

وهكذا ، بعد تلك الجولة التي استغرقت مني خمسين يوما على وجه التقريب عدت من حيث اتيت، الى مدينة « نيويورك » عاصمة الولايات المتحدة في عالم التجارة على الاطلاق . اجل ، فهي اول مدينة يشهدها الواردون على هذه القارة الهائلة العجيبة ، سواء عليهم دخلوها من جهة البحر او وصولها عن طريق الجو ، ولذلك فهي تبدو لهم كخلية نحل دائبة الحركة والنشاط . فنيويورك تعتبر بحق عالما بمفردها ، وهي تمتاز عن بقية المدن الامريكية بتمثال الحرية الذي ينبعث قائما نحو السماء على شاطىء المحيط كأنه عملاق يرحب بالوافدين على القارة الامريكية بقصد الاستجمام او الاستيطان .

اذا ذكرت نيويورك خطرت ببالك ناطحات السحاب التي هي عمارات ضخمة يتكون بعضها من 70 طبقة او تزيد ، كما تخطر ببالك قناطرها العجيبة وكذلك نهرها العتيد المدعو نهر « هدسون » Hudson River ، وشوارعها التي لا نهاية لها وتجارتها الضخمة وصناعاتها المختلفة المتعددة .

واذا ذكرت لك « نيويورك » خطر ببالك ايضا شارع « برودوي » Broadway وما ادراك ما شارع برودوي ؟ شارع فريد من نوعه حقا من العالم اجمع ؛ فمن اين له هذه الحركة الدائمة المستمرة في الليل وفي النهار ؟ ومن اين له هذه الانوار الساطعة المتلألئة الالوان والاشكال بحيث لو قطعت هذا الشارع ليلا لخيل اليك انك تمر به في وضح النهار ؟ و « برودوي » اجتمعت فيه كل الاجناس واصناف البشر ؛ وفيه من المقاهي والمطاعم ما لا يحصى عددا، تسمع فيه كل اللغات ؛ لافتات المسارح ودور الفرجة تتبدل وتتغير في كل حين ؛ اذا جاءت بك الاقدار ليلا الى شارع برودوي هذا حسبت انك في ليلة حفل بهيج . فالليالي في نويورك وخاصة في في شارع برودوي زاهية مرحة وبهية بهيجة . ومع ذلك فاذا نحن عدنا بالذاكرة الى ثلاثة قرون الى الوراء نرى ان هذه الساحة العريضة الواسعة التي تقع فوقها اعظم مدينة في العالم لم تكن تكسوها سوى مجموعة من الغابات والاحراش كان يسكنها الهنود المالكون الاولون لهذه الارض ، لكن عددهم كان قليلا، وان كانت الحكايات التي بلغتنا عنهم تغري السامعين بالانصات اليها : ويحكي لنا رواة التاريخ ان هؤلاء الهنود كانوا سمرا في وجوههم وشعرهم ؛ وكانوا كبقية البدائيين يرتدون لباسا يتخذونه من جلود الحيوانات التي كانوا يتغلبون عليها طلبا للقوت ؛ وكانت نساؤهم يهتممن بشؤون المنزل وتربية الصغار. اما اماكن سكناهم فهي عبارة عن اكواخ تقع على شكل نصف دائرة مسقفة باغصان الشجر ؛ وكانت القبيلة التي كان ينتسب اليها اولئك الهنود تسمى « الكونكان » Algonquins . هذا ، وفي سنة 1609 وصل اول رجل ابيض الى تلك البقعة التي بنيت عليها هذه المدينة ؛ ذلك ان سفينة تحمل طائفة من الهولنديين كانوا قد بلغوا الى تلك الناحية، باحثين عن اقصر طريق تؤديهم الى الصين والهند حيث يتزودون بالمواد التي كانوا يبحثون عنها كالابازير والحرير والذهب ؛ وكان ربان تلك السفينة يدعى « هدسن » Hudson ، وهو الذي اعطى اسمه للنهر الذي يخترق تلك المدينة العظيمة ؛ لكن اتضح لتلك الجماعة الهولندية انه لا سبيل الى الوصول الى بلاد الصين والهند عبر الولايات المتحدة فانهم قرروا الاقامة على ضفاف نهر الهدسن ، وراحوا يتاجرون في الافراء يبتاعونها من الهنود وتوجه على يدهم الى هولندا حيث تشتد حاجة السكان اليها نظرا لبرودة الطقس هناك ؛ وكانوا يبيعون للهنود جملة من البضائع كالسكاكين والبندقيات والكحول .

وبعد ذلك كثرت جماعة البيض واصبحوا يتعاملون مع جماعة اخرى من الهنود اسمهم « الايروكوا » Iroquois ؛ ثم جعلوا يبنون بعض الاكواخ في الجهة المعروفة اليوم عندهم بحي « منهاتن » Manhattan ؛ ولا بد من الاشارة في هذا المكان الى ان مختلف الاحياء الرئيسية التي تكونت منها مدينة نيويورك استعارت اسماءها ، منذ ذلك الحين ، من المهاجرين الهولنديين والانكليز الذين انضموا اليهم فيما بعد طلبا للربح وسعيا وراء الغنيمة . وقد سميت تلك الاحياء بادئ ذي بدء باسم « نيو امستردام » أي امستردام الجديدة تيمنا بالعاصمة الهولندية التي كانت تحمل هذا الاسم آنذاك ؛ وكانت « نيو امستردام » في اول عهدها قرية صغيرة تحتوي على 17 طريقا ، اهمها طريق من جنوب القرية الى خارج المدينة ، هو بالضبط شارع برودوي الشهير الذي سبق عنه الحديث ؛ وكان الناس يبنون منازلهم في غير نظام ، ولا يراعون في ذلك اي قانون حتى صدر امر من حاكم القرية بان من اراد ان يبني لنفسه منزلا وجب عليه ان يقيمه على قارعة الطريق بحسب نظام معروف، فجعلت من ثم امور القرية تنتظم شيئا فشيئا . وكانت للسكان طريقة غريبة للمحافظة على منازلهم من الحريق الذي كثيرا ما كان يشب هنا وهناك . كانت تلك الدور بسيطة ولكنها كانت مع ذلك مستوفية لشروط الحياة المنزلية على كل حال ، اذ كانت تشتمل على عدة غرف اهمها قاعة كبرى تتوسطها مدخنة عظيمة صنعت من الخشب ؛ ومن اجل ذلك فكثيرا ما كانت تلتهمها النيران بسهولة . وكان لاطفاء تلك الحرائق نظام وطريقة خاصة بالسكان ، اذ كانوا يعلقون فوق باب كل منزل قربة او دلو بحيث كانت هذه السلسلة من القرب تصل من النهر الى مختلف المنازل ؛ ومتى ما بلغ المسؤول اشارة بقيام حريق في منزل ما راح ينفخ في مزمار ، ايضا طلبا لعزائم السكان ؛ فيخرج

الناس مسرعين ويستلم كل واحد منهم قربة يمدها للآخر ، وهنا يسلمها الى رجل ثالث حتى تصل الى النهر ؛ فتملأ ماء ثم يسارع القوم في القيام بحركة عكسية غايتها ايصال القرب المملوء من يد الى يد اخرى حتى تصل الى الدار التي نشب فيها الحريق ؛ وكلما افرغت قربة سلمها صاحبها الى طفل يكون بجانبه واقفا ، فيقدمها الى طفل آخر حتى تصل الى ذلك الرجل الواقف قريبا من النهر فيملأها منه ، وتستمر هذه الحركة حتى يقضي على الحريق .

اما عن حياة اولئك النازحين الاولين من هولندا فقد كانت حياة تسير سيرها العادي بمعنى ان الرجال كانوا يعملون في الحقول او كانوا يهتمون بالتجارة بينما النساء كن يشتغلن في مساعدة ازواجهن بالاضافة الى قيامهن باعمال ترتيب البيت وشؤون الاطفال . وكانت هناك صناعة ناشئة كصنع الآجر اللازم لبناء البيوت . اما ما كان من قطع الاخشاب وحراثة الارض وغير ذلك من الاعمال الشاقة الصعبة فقد كانوا يكلفونها الى مجموعة من العبيد وقع استقدامهم خصيصا من اجل ذلك من جنوب افريقيا ، او الى طائفة من الاطفال الهولنديين الفقراء . ولم يكن في قرية « نيو امستردام » اذ ذاك اطباء بالمعنى الصحيح لمعالجة المرضى ؛ وانما كان هناك مجموعة من الحلاقين فقط ؛ هم الذين كانوا يباشرون اعمال التمريض ومعالجة اسنان المصابين ؛ ومع ذلك لم يكن هذا النقص في الاطباء ليضايق الهولنديين او يقلق راحتهم لانهم كانوا لحسن حظهم اصحاء الاجسام نظرا للحياة الريفية التي كانوا يحيونها اذ ذاك .

وشيء آخر كانت تمتاز به الحياة في تلك القرية هو المكانة التي كانت تحتلها الكنيسة البروسطنطينية في ذلك العهد ؛ وهنا ايضا معلم القرية الذي كان يتمتع خاصة بمركز محترم لدى كافة القرويين ، اذ هو الذي كان يسند اليه القيام باحياء الشعائر الدينية زيادة على اعمال التدريس ، اذ كان يصلي بالناس ويقرىء الصغار في آن واحد ؛ وكان يتقاضى مرتبه من شركة هولندية تسمى الشركة الغربية الهندية الهولندية (Deutch West India Company) واسكانه يقع على عاتق اهل القرية .

اما الدروس فكانت تعطى فى منزل المعلم بالمطبخ نظرا لعدم وجود بناية خاصة بالمدرسة ؛ وكان الصغار يتلقون تعليمهم في النهار ؛ اما كبار الاميين فكانوا يقصدون المدرسة ليلا . وكبار التلاميذ كانوا يجلسون بالقرب من المعلم بينما الصغار يجلسون في مكان ابعد منه ؛ اما البنات فكان المعلم يخصص لهن زاوية في المطبخ . هذا وكان الاطفال يتعلمون الكتابة والهجاء ومبادىء الدين من 8 الى 12 صباحا ثم من الواحدة الى 3 بعد الزوال ؛ يضاف الى ما تقدم أن المدرسة كانت تظل مفتوحة طيلة الاسبوع ما عدا يومي السبت والاحد وايام الاعياد طبعا . وكان النظام التربوي يقضي باستعمال العقوبات البدنية عند الاقتضاء ؛ ثم كانت مدارس حرة ؛ وبعد ذلك بقليل فتحت مدرسة لتعليم اللاتينية كان يحج اليها الطلبة من كل فج عميق .

اما عن الحياة البيتية فيمكن القول بانها اصبحت طيبة ناعمة بعدما اهتدى الهولنديون الى التفنن في بناء منازلهم وتزيينها ؛ وقد اصبحت هذه البيوت بعد ما كانت ضيقة متواضعة ، واسعة فخمة ؛ وكان صاحب المنزل بمجرد ما ينتهي العمال من بناء البيت ينقش السنة التي بنيت فيها الدار على واجهتها الاولى . ومما يلاحظ ان هذه المنازل رغم سعتها الا انها لم تكن تتوفر على نوافذ واسعة ، بل كانت نوافذها صغيرة جدا ، بدون زجاج نظرا لارتفاع ثمنه؛ وكنت ترى في كل زاوية من زوايا البيت براميل تتجمع فيها مياه الامطار الصالحة للشرب والتي كانوا يستعملونها ايضا في عملية الطبخ والتصبين ؛ وكان يوجد على الباب الرئيسي دقاقة ثقيلة . واعظم قاعة في المنزل هو المطبخ الذي كان اهل البيت يقضون فيه سحابة يومهم نظرا لشدة البرد كما انهم يستضيئون بلهيب النار المتصاعد من الكانون نظرا لقلة وجود الشمع . وكانت الاسرة تقضي معظم ليالي الشتاء في السمر ؛ فبينما الاب يدخن وهو يقص على ابنائه اساطير الهولنديين او الهنود . كانت الام تشتغل باعمال الابرة والتطريز ؛ وكانت حجرات تتوفر على عدة طاولات ومقاعد خشبية مغطاة بالجلد؛ وفي بعض المنازل كانت توجد مرايا تستعين بها النساء على اصلاح شؤونهن ؛ ولم يكن هناك من يملك شيئا من الكتب الا كتاب الانجيل الذي كنت تراه في زاوية خاصة من كل بيت .

وكان الهولنديون في ذلك الزمان ينامون على فراش من التبن مغطى بقطعة من الجلد ؛ وفي كل بيت يوجد مخزن تحتفظ فيه ربة البيت بالمواد الغذائية الضرورية كالقمح واللحم المقدد والشحم

والبطاطيس والجعة والكحول والجبن والفواكه اليابسة ؛ وكان بالبيت جناح خاص لتربية الدجاج والديكة الرومية . ولم يكن الهولنديون يشربون القهوة ولكنهم كانوا يشربون الشاي مع قليل من السكر .

اما النساء فكن يرتدين ملابس فضفاضة زاهية الالوان تتخذ من الحرير والملف ، ويضعن على رؤوسهن قبعات عريضة الاجنحة تصل احيانا حتى الى اكتافهن ؛ وكان الرجال يميلون كذلك الى الملابس الزاهية بينما كانت بذلة الموظفين سوداء ؛ وكان من عادة الرجال الا يخلعوا قبعاتهم الا اثناء الحفلات الدينية .

ومن عادة سكان « نيو امستردام » ان يستمتعوا باوقات الراحة وكانوا يقضونها في الصيد ، والرقص وطلب الراحة والاستجمام في البادية ، كما كانوا يميلون الى الالعاب المختلفة ؛ وكانوا في اوقات معينة يخرجون الى الاسواق حيث يقدم لهم سكان البوادي كمية من البضائع التي هم امس الحاجة اليها كالزبدة ، والبيض ، والافراخ ، والخضر ؛ واحيانا كان الهنود ياتونهم بالسمك كما ان النساء الهنديات كن يجلبن الافراء والاقفاف يقدمنها للهولنديات مقابل بضائع اخرى ؛ ولا يقبلن مقابل ذلك النقود التي كان الهولنديون يتعاملون بها ؛ وكان السوق لا ينفض الا بعد ان ياخذ القوم حظهم من الرقص والاستمتاع .

وبمناسبة الاعياد كان الهولنديون يغتنمونها فرصة لتقديم مراسيم التحية والتهاني لاخوانهم في الدين ؛ ومن معظم الاعياد عندهم عيد القديس « نيكولا » St Nicholas الذي كانوا يحتفلون به يوم السابع من دجنبر ؛ وبصورة عامة فقد كان هؤلاء المهاجرون يعملون كثيرا ويمرحون كثيرا ، كما انهم كانوا يقابلون ابناء جلدتهم الواردين عليهم من هولندا بالفرح والترحيب الحار .

هذا ورغم ان الهولنديين كانوا يعيشون في نوع من الاطمئنان ، الا ان تلك الحياة لم تصف كلها من الغيوم والكدر ؛ ذلك ان المشاكل كانت قائمة بينهم وبين حاكم المقاطعة من جهة ، وبين الملاكين والشركة الهولندية من جهة اخرى ؛ فالشركة المذكورة اصبحت تعتقد ان المعمرين يتمتعون بحقوق واسعة جدا ، بينما المعمرون يصرحون بان الشركة لا تتصور بالضبط مقدار المشاكل والصعوبات التي كانوا يتحملونها ، بغية المحافظة على الحركة التجارية التي كانت الشركة اول من ينتفع منها .

يضاف الى ما تقدم ان مطلق الناس كان يجد صعوبة ومشقة في الحصول على قطعة ارضية يرغب في استثمارها كما كان يفعل الهندليون انفسهم ؛ ومن ثم جعلوا يغادرون « نيو امستردام » ، قاصدين جهة اخرى على ضفة نهر « هدسن » ، كان الانكليز قد شرعوا في احتلالها وتعميرها ؛ ثم اختلت الاحوال عموما وتشعبت المشاكل وساءت العلاقات بين المعمرين والهنود الذين صاروا يهاجمون مساكنهم ، فيحرقونها كما كانوا يحملون على دوابهم ؛ فيسرقونها، واحيانا على نسائهم وابنائهم ، يلحقون بهم انواع العذاب والتنكيل . ولما علمت الشركة الغربية الهولندية ما اصبحت عليه المستعمرة من سوء المصير صممت على تدارك هذه الحالة ؛ فارسلت الى المستعمرة حاكما جديدا ليضبط البلاد ويعيد لها طمانينتها ، هو «بيتر ستيو فزنت» Peter Stuyvesent وكان هذا الحاكم قوي الارادة ، صلب العريكة ؛ فما ان استقرت قدمه بنيو امستردام حتى اضطر لمواجهة حملة شديدة من طرف الهنود ، كان من نتائجها ان قطعت ساقه ؛ فعرف منذ ذلك الحين عند اهل المستعمرة بالعجوز صاحب الساق القصبية ؛ وكان « ستيوفزنت » هذا شديد الطبع ، كما اسلفت ، يعامل الناس معاملة الملك المستبد بامره ، اذا تحدث الى احد ارغمه على ان يترك راسه عارية بينما كان يسمح لنفسه بالتحدث الى الناس وهو جالس، ورغم ان « ستيوفزنت » كان نزيها ومحبا للعدل والانصاف فقد اثقل على القوم بتصرفاته حتى راحوا يكرهونه ، ولو انه تمكن من ان يعيد الطمانينة الى البلاد بعد ما كانت القرية قد فقدت كل امل في الحياة ؛ ومع ذلك فقد اشتد الفقر بالسكان الى درجة ان الكثيرين منهم اصبحوا لا يفكرون الا في الارتحال الى بقعة اخرى تمكنهم من الحياة فيها حياة هادئة مطمئنة .

ولم يكن هذا الحاكم المستبد على استعداد بالطبع ليشاركه احد في الحكم ولم يكن مستعدا ليشاور احدهم في أمر من الامور ، بينما كان الناس يلحون عليه في ان يسمح لهم بالمساهمة في حل المشاكل التي تعترض القرية ؛ فلما احس بان الحالة تسير من سيء الى اسوا قبل بان يتخذ له بطانة تتكون من 9 اشخاص Nine Men تسموا بمجلس التسعة ؛ فكان يعود اليهم من حين الى حين قبل ان يتخذ اى قرار يتعلق بحل المشاكل التي عرفتها القرية ؛ واثر ذلك اصبحت الحياة تدب من جديد الى بلدة امستردام التي جعلت تكبر وتتعظم وتتسع على مر الايام .

وكانت طائفة من السويديين قد وصلوا في تلك الانثاء الى امريكا ، واستقروا جنوب «نيوامستردام» مهتمين بزراعة الارض في هدوء واطمئنـــان ؛ لكن الهولنديين لم يطب لهم العيش والجالية السويديـة بجانبهم كما ان الشركة الغربية الهولندية الآنفة الذكر لم ترضى هي الاخرى بوجود السويديـين هنـاك لاسباب تجارية محضة ؛ ومن اجل ذلك اشارت على الحاكم ان يعلن الحرب على تلك الطائفة من المعمرين لابعادهم عن المستعمرة الهولندية ؛ فلم يمض اسبوع حتى وضعت الجالية السويديـة السلاح معترفـة للهولنديين بحق السيادة على تلك البقاع جميعا ؛ لكن كان هناك الهنود ؛ معنى ذلك انه بمجرد ما انتهت قضية السويديين التفت الحاكم وجماعته لمقاتلتهم ؛ لكن الهنود عرفوا كيف يصلونهم نارا حامية من البنادق التي كانوا يبتاعونها من الهولنديين انفسهـم مقابـل الافراء التي كان هؤلاء يجتهدون في الحصول عليهـا بواسطة الهنود قصد تسويقها الى بلادهم . ثم تعقدت المشاكل حينما قام الانكليز من جهتهم في وجه الحاكم « ستيوفزنت » . ومعلوم ان هؤلاء الانكليز الذيـن كانوا يكونون مجموعة لا يستهان بها من السكان هناك كانوا قد نزحوا في وقت واحد مع الهولنديين الى تلك الناحية ؛ ومن ثم قاموا هم الآخرين يطالبون بملكيـة القطعة الواقعة على ضفة نهر الهدسن ؛ لكن الهولنديين لم يقبلوا شيئا من ذلك . وكان الملك في تلك الانثاء قد افضى في انكلترا الى ملك جديد اسمـه « شارل الثاني» ؛ وكان لهذا الملك اخ يلقب باسم «دوك يورك»؛ فاشار عليه الملك بالتوجه حالا الى القاره الجديـدة لحمل الهولنديين على مغادرة البقعة المتنازع فيهـا ، وهذا رغم ان العلاقات بين انكلترا وهولندا طيبة الى حـد بعيـد .

وهكذا ، فلم يمض الا زمن قصير حتى بلـغ الحاكم ان هناك اربع بواخر انكليزيـة تتوجـه في اصرار ونظام الى الحصن الذي كان يسكنه ؛ وكانت البواخر المذكورة قد سبق لها ان استولت على بعض الجزر التي كان الهولنديون ينسبونها اليهم . فجمع الحاكم مستشارية لاقناعهم بضرورة اعـلان الحرب على البواخر المذكورة ، وكان منهـم من ينتسب الى الجنسية الانكليزية ، فاشاروا عليه الا يفعل خاصـة ان الزاد الذي كان بيد الحاكم يقصره قليلا ، لا يسمن ولا يغني من جوع ؛ يضاف الى هـذا ان العشريـن مدفعا التي اعدها الحاكم للدفاع عن الحصن كانت قديمة بالية بالنسبة للاسلحة الانكليزية التي كانـت تفوقها عددا وعدة ؛ ومع ذلك فقد كان بنية الحاكم ان يدافع عن القلعة ، مقر قيادته ، حتى النفس الاخيرة، ولذلك لم يستطع احد من مستشاريه ان يحمله على الخضوع ؛ لكن بعد ما تقدم اليه ولده مصرحا بانه لا حاجة في الدفاع واراقة الدماء ما دامت قوة العـدو اشد واقوى خصوصا وان ارادة الهولنديين انفسهم تميل الى الخضوع والاستسلام اذ ذاك لانت قناعتـه وسلم الحصن للقوات الانكليزية ؛ وحينا بعـد ذلـك رفع العلم الانكليزي مكان العلم الهولنـدي ، كمـا تقتضيه الاعراف ؛ وهكذا انتهى الحكم الهولنـدي بانصراف الحاكم « ستيوفزنت » الى حال سبيلـه بصورة نهائية . كان ذلك الحدث الخطير عام 1664؛ ومنذ ذلك الوقت اصبحت « نيو امستردام » تسمى « نيوورك » تيمنا باسم الدوك الانكليزي « يـورك » الآنف الذكـر .

ثم صارت المدينة تعظم وتتسع يوما عن يـوم بسبب نزوح طائفة كبرى من المهاجرين اليهـا مـن مختلف انحاء العالم ، اذ رحل اليها الانكليز خاصـة والهولنديون ، والالمانيون ، والتشكيون ، والفرنسيون، والايطاليون ، والمسلمون من العـرب ، واليهـود ؛ فصارت كما صارت الولايات المتحدة الامريكية نفسها عبارة عن خليط من الاجناس والاديان . واذا كانت هذه الاجناس مختلفة في سحنتها ودياناتها ورغباتها فان القانون الذي يحميهم جميعا هو قانون واحد في بلاد موحدة في اخلاقها ، وتاريخهـا ، وعوائدهـا ، ونشاطها التجاري والصناعي ، واهتماماتها الادبيـة والعلميـــة .

ومن اجل ذلك تعتبر مدينة « نيويورك » اليوم من اعظم عواصم الدنيا ، ولا يكاد يصدق الانسان ما تحويه هذه القاعدة الضخمة من البشر ؛ فعدد سكانها اليوم يربو على 12 مليون نسمة ؛ كل يدب ويعـدو ، ويسعى ليلا ونهارا في حركة دائبة مستمرة لا تنقطع؛ واستطيع القول بانه يكون من العسير على شخـص تعود الراحة والاطمئنان ان يعيش في هذه المدينـة التي تبلغ بناياتها الشاهقة في بعض الاحيان مائـة طبقـة او تزيـد .

ونيويورك ، هذه الحاضرة الضخمة التي فاقت عواصم الدنيا علوا وانتشارا مقسمـة الـى خمسة اقسام ، او احياء كبرى اولها حـي « منهاتـن » Manhatton ، وهو الحي المشهور بناطحـات

السحاب وبناياته العملاقة اهمها قصر البلدية المسمى « امباير ستيت » Empire Stat الذي يشتمل على مائة وطبقتين بالضبط ؛ يسكن خارج مدينة نيويورك ما يقرب من مليون ساكن ، يتركون المدينة يوميا بعد العمل للعودة اليها مع الصباح الباكر ؛ ومنهم من يسكن على بعد 25 او 30 ميلا من العاصمة . وحي (منهاتن) هو حي الابناك والعمليات التجارية الضخمة والدكاكين التي يتصرف اصحابها يوميا في عشرات الملايين من الدولارات .

ثم هناك حي « البرونكس » The Bronx حيث توجد الجامعات على الاخص ؛ وهذا الحي يقطنه ما يقرب من مليونين من السكان ؛ به جامعة نيويورك الكبرى وجامعة « فوردام » Fordham University وكلية منهاتن Manhatton College وكذلك الاكاديمية البحرية لولاية نيويورك New York State Montine Academy وبهذا الحي توجد ايضا حديقة الحيوانات الكبرى .

اما ثالث هذه الاحياء فهو حي « بروكلين » Brooklyn الذي يعيش فيه ما يزيد على ثلاثة ملايين من السكان ؛ وهو عدد يفوق عدد سكان اي مدينة من المدن الامريكية ما عدا شيكاغو ؛ وحي بروكلين مشهور بعماراته الضخمة وكنائسه الرائعة : كان بروكلين في القديم يحتوي على ست مدن صغيرة، منها خمس هولندية وواحدة انكليزية ؛ فتكاثرت فيها اعمال البناء والتعمير حتى التحمت كل منها بالاخرى، واصبح الكل يكون مدينة كبرى واحدة . وبما ان هذا الحي وقع عليه اختيار الاغنياء وكبار المتمولين والتجار ليكون مقر سكناهم فقد اصبح مزينا بالحدائق الغناء ، والقبات الباسقة ، والطرقات المعبدة الجميلة ، تظللها الاشجار العالية من كل جوانبها . وبحي بروكلين توجد حديقة العلوم الطبيعية ، كما توجد به مصانع ضخمة تفرغ الاسواق كل يوم ملايين الاطنان من مختلف السلع والبضائع التي تستهلك العاصمة بعضها في الداخل بينما تصدر السلع الباقية الى الخارج . وتجدر الاشارة الى انه ما زالت بهذا الحي بعض المنازل القديمة التي شيدت على عهد الهولنديين الاولين ، وهي منازل في منتهى البساطة ، لا تلبث ان تثير في المرء الدهشة والاستغراب عندما ياخذ في تقدير السرعة التي طرات على نمو هذه المدينة الضخمة والتقدم البارع اللذين طبعا هذه العاصمة الوحيدة من نوعها بعد مدة قليلة من الزمان .

اما الحي الرابع في هذه العاصمة فيدعى « كوينز » Queens ؛ وقد احتفلت هذه المدينة بذكراها المائوية الثالثة سنة 1945 ؛ وهذا معناه ان الشروع في بناء هذا الحي يعود الى سنة 1645 ؛ ويكتنف هذا الحي الهائل اعظم مطار في العالم هو مطار « لاكوارديا » La Guoardia ، كما يوجد به ايضا مطار آخر اسمه مطار نيويورك العالمي وهذا المطار سائر في الاتساع والتضخم بحيث يمكن التنبؤ بانه سيفوق مطار « لاكوارديا » في المستقبل القريب ، اذ يستقبل كل يوم ما يزيد على 100 طائرة .

وقد اشتهر حي « كوينز » بعد ما انعقدت في رحابه لاول مرة جمعية الامم المتحدة وذلك سنة 1945 ، عقب الحرب العالمية الثانية ؛ اما الآن فيقع مقر هذه المنظمة الهائلة بحي « منهاتن » في بناية ضخمة تستاثر باعجاب الزائرين نظرا لدقتها وعلو هيكلها .

واخيرا هنا حي « ريتشموند » Richmond الذي بني فوق جزيرة لا يمكن الوصول اليها من بقية احياء نيويورك او من مقاطعة « نيوجرزى » New Jersey الا عن طريق سكة الحديد ؛ وحي « ريتشموند » حي صغير اذ قيس باحياء العاصمة التجارية الاخرى ، ومع ذلك فله اهمية كبرى من الوجهة الملاحية على الخصوص ؛ ذلك ان وجود هذا الحي على شاطىء المحيط جعله يتوفر على ميناء هائل ، ليستطيع عن طريق تلك المدينة ، تصدير كميات هائلة من السلع الى الخارج كما يعطيه الصلاحية لاختزان البضائع الواردة بكثرة من البلدان الاجنبية في مستودعات عظيمة قبل توزيعها على مختلف المدن الامريكية . ومن الملاحظ ان وجوده على باب المحيط الاطلسي حمل السلطات الامريكية على تشييد اكبر مستشفى هناك خلال الحرب العالمية الثانية بغية ايواء الجرحى والمعطوبين والعناية بهم فور وصولهم الى الولايات المتحدة .

* * *

بعد هذا الوصف الوجيز المتعلق ببعض المدن الامريكية التي قدرت لي زيارتها خلال هذه الرحلة

المفيدة الممتعة بقي علي ان اتعرض لبعض الاوصاف التي يمتاز بها الامريكيين على غيرهم من الشعوب ؛ فتجعل منهم شعبا متطورا متقدما ، يهوى الحياة ويعمل على دفع عجلتها الى الامام رغبة في اسعاد الامة الامريكية جمعاء .

واول خصلة تطبع الامريكي هو ما يتصف به من نشاط بالغ واقبال بكل جوارحه على العمل المفيد، لا يعتريه في سبيل تحقيق مقاصده كلل ولا ملل ؛ واحيانا قد يبعد المكان الذي يزاول فيه الامريكيين اعمالهم اليومية بعشرين او خمسة وعشرين ميلا عن مقر سكناهم ، ومع ذلك فلا يقعدهم ذلك البعد عن القيام بما يفرضه الواجب عليهم ؛ وغني عن التوضيح ان الامريكي لا يستسلم للكسل ابدا ولا يخلو للراحة الا في ايام السبوت والآحاد ؛ وحتى لو خرج للصيد او لمزاولة رياضة يهواها كالانزلاق على الماء مثلا ، فانك تراه يندفع الى المكان بمنتهى الجد والمثابرة ؛ ثم انه يقضي سحابة يومه في مزاولة الصيد او العبث كانه في يوم عمل سواء بسواء ؛ فاذا انقضى النهار عاد الى منزله منهوك القوى ، على استعداد تام ليستأنف عمله في صباح اليوم التالي ، ولا يخطر بباله ان يترك لنفسه الراحة بدعوى او العياء .

ويقال ان هذه الحركة المستمرة وهذا النشاط المتزايد يؤثران في حالة الامريكيين الصحية الى حد انهم يموتون قبل الاوان نتيجة ما تتحمله اعصابهم من الضغط والارهاق لمدة سنوات عديدة . ويتجلى هذا الصبر على المشاق والقوة على العمل المرهق خاصة في كل ما حققه الامريكيون في سائر الميادين الاقتصادية والصناعية والفلاحية على الاخص ؛ نلتمس مثالا على ما نقول في ذلك النجاح الباهر الذي احرزوه في مدينة « فينكس » Phoenix بولاية « اريزونا » Arizona التي انتزعوها انتزاعا من احضان الطبيعة الجافة ، فجعلوا منها جنة على وجه الارض رغم ان المدينة بضاحيتها لم تكن شيئا مذكورا قبل هذا التاريخ بنصف قرن على وجه التقريب . نعم ، كان من نصيب المهاجرين الى هذه الولاية التي تمتاز بهوائها الحار ، وشمسها الوهاجة المحرقة ان امكنهم بفضل سواعدهم وارادتهم القوية ان يعيدوا اليها الحياة ؛ وهكذا عمدوا الى النهر الذي يجري في تلك المقاطعة ، ويدعى « صوت ريفه » Solt Rive ؛ وشيدوا فوقه سدا هائلا كان مصدرا للقوة الكهربائية التي انارت المدينة كلما استعملوا الماء المتجمع في خزان ذلك السد لري الاراضي الواقعة بين مكان السد وعاصمة الولاية ، فراحت تعطي اكلها بغير حساب ؛ ذلك انها لم تلبث ان جادت بمنتوجاتها الطيبة من خضر وفواكه مغروسة وغير مغروسة ؛ وهكذا استطاع الامريكيون بفضل قوة ارادتهم ان يحولوا ارضا صحراء الى جنة نعيم .

وشيء آخر لا يفك ان يثير اعجاب الزائرين للقارة الامريكية هي تلك الروح التعاونية التي طبعت اعمالهم كلها ؛ وهذه الروح هي التي مكنت الامريكيين من تاسيس الجمعيات والنوادي المتعددة التي تهدف خاصة الى تقديم العون المادي والمعنوي لمن هم في حاجة اليه المعوزين وطلبة العلم ؛ ويكون ذلك عن طريق الشركات التجارية والصناعية الكبرى، وبيان ذلك ان الساهرين على تسيير هذه المؤسسات التجارية يخصصون مما يتوفر لهم من ارباح عريضة واسعة قسطا من تلك المداخل لصرفها في اوجه البر والاحسان ؛ ومعلوم ان هذه الاموال التي ينفقونها في اغراض اجتماعية وثقافية تكون ، بحسب القانون الامريكي ، معفية من الضرائب ؛ وبالتالي يمكن القول بأن الروح التعاونية السائدة بين افراد المجتمع الامريكي هي التي كانت السبب في خلق عدد كبير من المشاريع الاحسانية والثقافية في سائر انحاء الولايات المتحدة الامريكية .

يضاف الى هذا ان الامريكي كريم بطبعه ؛ يحب بلاده حبا متناهيا ، ويحرص على ان تترك مشاهدتها اطيب الاثر في نفوس الزائرين من الاجانب . وفلسفتهم في الحياة تتلخص في ضرورة العمل على استثمار اكثر ما يمكن مما تنتجه بلادهم حتى يستهلكوا اكثر ما يمكن من المنتوجات ؛ ونظام الحياة عندهم مبني على السلف والقرض لتحقيق اغراضهم وارضاء متطلبات الحياة ، وما اكثرها في الولايات المتحدة ! ومن ثم يمكن القول بان اعظم بلية يمكن ان يصاب بها الامريكيون هي التي قد تتجلى في ميلهم الى الاقتصاد على انفسهم او في تعودهم ما وصفه الجاحظ بعملية الجمع والمنع او تجميد ما تصل اليه ايديهم من اموال في مختلف المصارف والابناك .

الرباط محمد محي الدين المشرفي

في ذكرى 20 غشت : ثورة الملك والشعب

الشرارة الأولى

للشاعر الأستاذ محمد محمد العلمي

كنا ونبقى دائما احرارا ، ... نحمي الذمار ، فما رضينا العارا

ثرنا بغشت على الدخيل ورهطه، ... والمجد كان لمن يثور شعارا!

واذا تطاول غاصب مستعمر ... لم يلق في أوطاننا استقرارا!

نصليه نارا ليس يخمد جمرها ، ... ونشد نحو فدائنا الانظارا!

قد كان مغربنا العزيز بطبعه ... يهوى العلا ، ويبيد الاستعمارا!

في رمز امتنا (ابن يوسف) عبرة ... للثائرين ، تفتح الافكارا!

ان ابعدوه فقد تقرب في الحشا ؛ ... والرسم منه يزين الانظارا!

رمز التجرد والاصالة صادق ... قد رصع الاسماع والابصارا!

اذ كلما ذكر (ابن يوسف) بيننا ... صرنا نكبر ، ننثر الازهارا!!

لم يخل جو للذي خان الحمى ، ... بل كان يصلى رجفة ودمارا!

والشعب معتصم بعرش ماجد، ... ربى نفوسا في الوفاء كبارا!

قسما بهيبة تاجه وجلاله ؛ ... انا نؤيده ، ونحمي الدارا!

قد آثر النفي المرير على الخنا ، ... والحر يأبى ذلة وصغارا

والشعب لا ينسى له عرفانه ؛ ... بل راح يحمل قلبه التذكارا

انعم بتاج المحبة والهدى ؛ ... لا ما كان منه جوهرا ونضارا!

والمغرب الحر الابي بعرشه ... وبشعبه قد دوخ الامصارا

لم يخش بطشا او وعيدا ، بل غدا ... يلد الاسود ، وينشىء الثوارا!

في الاطلس الحصن الحصين ، وربفنا ... جيش على تحريرنا يتبارى

ايمانه بالحق لم يترك به ... جزعا ، ولا ندما ، ولا استهتارا

بل قام صفا واحدا متماسكا ، ... يرد الشهادة كوثرا مدرارا

لم يثنه قمع ، ولا سجن ، ولا ... ادهى عذاب ناله اطوارا !

بل كان في آلامه أمل له ... قد بات يملأ قلبه أنوارا

برز المليك الى النضال ، وكان في ... ظرف عسير ، يرقع الاقدارا!

قبض الزمام من الجهاد بحكمة، ... ومهارة لا ترهب الاوعارا ،

فاذا المغاربة الاباة بفضله ... سيف يبيد الغاصب الجبارا

وجنود ربك في الملاحم ان همو ... قد أقدموا ، لم يعرفوا الادبارا!

يحيا حياة الخلد في الاوطان من ... هم قدموا لفدائها الاعمارا !

ولقد تبين للبرية كلها ... انا اباة ، نرفض الغدارا

كنا ونبقى اوفياء لطبعنا ، ... شعبا عريقا ، للعدى قهارا!

قد قال : لا ! في قوة وصلابة ... وشجاعة ، ليحقق الاوطارا

وسلاحنا تلك المقاومة التي ... تستاهل الاعجاب والاكبارا

والحق عاد لاهله في عزة ... والعرش امسى للبلاد فخارا

وعرى المحبة في المليك وشعبه، ... زادت رسوخا في الحشا وقرارا!

بل زادها حفظ الكيان تعمقا ، ... والحق طبعا يكسب الانصارا!

ومع الامام ولاؤنا متبادل ، ... عبر العصور يخلد الآثارا!

حلقات أمجاد البلاد تواصلت ، ... وغدت لتاريخ الكفاح منارا!

فالنور في شرق البلاد وغربها ... وشمالها وجنوبها قد دارا

فاذا المسيرة جددت امجادنا، ... وبها أعدنا للكيان صحارى

سبت العوالم في نظام رائع ، ... وغدت لكل الباحثين مزارا!

والفرع عاد لاصله في حلة ... يغشى السلام جمالها استبشارا

في ذلك (الوادي) و (ساقية) لقد ... شكل الدخيل كيانه المنهارا!

فاذا (العيون) قريرة بعيوننا ، ... والعيد فيها داعب الاوتارا

وحقوقنا في الكون ثابتة لنا ... باتمها .. لا نرضى الاشطارا!

في (نيروبي) كشف الحوار سريرة ... قد اغضبت من لا يصون جوارا!

والشمس ظاهرة الضياء برغم من ... قد حاولوا لضيائها انكارا!

سقط القناع عن الطغاة فزلزلوا ... اذ قابلوا الاطهار والاخيارا!

بهتوا لاعظم حجة حسنية ... تغري النزاع ، وتحسم الاعصارا

و (المغرب العربي) مويل وجدة، ... يبقى لكل المخلصين مدارا !

سبحان من يبلو بمحنة فرقة ، وبالاتحاد يعالج الاضرارا !

لا عذر للماضين في نزواتهم ، فالحق يرفض منهم الاعذارا

في (لجنة الحكماء) سر باهر ، يجلو الغموض ، ويفضح الاشرارا

والكون اجمعه على علم بما كشف الضمير ، واوضح الاسرارا

يا ليت شعري ما الذي يرجوه من لزموا الضلال ، وحبذوا الاصرارا ؟ !!

فالمغرب الاقصى كما ترضى العلا، حذق الجهاد ، واتقن الادوارا :

صدقت فراسته ، وافلح سعيه ، والخبر منه يؤيد الاخبارا

* * *

في ثورة الملك الهمام وشعبه ، تلك الدروس تبلور الايثارا

سرنا على درب النضال يحثنا (الـ حسن) الشجاع ، لنقهر الاخطارا

وثمار تلك الثورة العظمى لقد كانت لخوض جهادنا معيارا

وترابنا الوطني حين توحدت اجزاؤه اضحى لنا استعبارا

والغاصبون تخاذلوا وتزلزلوا ، وغدوا كاوراق الخريف نثارا

والقارة السمراء كان خلاصها بخلاصنا حقا ، فليس يمارى

كم من قيود في الشعوب تحطمت ! فالبشر اصبح يغمر الاقطارا !

والمجد للبطل العظيم وشبله ، فمداهما في الباس ليس يجارى

ان (ابن يوسف) علم (الحسن) الذي قد صان من نفس الجهاد مسارا

والشعب لا ينسى ، ولن ينسى الذي قد كان فيه القائد المغوارا

قد فجر الانوار في وجداننا ، والروح تعشق ذكره المعطارا

والوالد البر الرحيم لقد رعى بحنانه أبناءه الابرارا

وهو النشيد لمهجتي ، فانا الذي رصعت في تمجيده الاشعارا

ولنحن دوما نقتدي بريادة مثلى ، وتدعو للثبات جهارا

نمضي على النهج القويم ، لاننا كنا ونبقى دائما احرارا !!!

الرباط. محمد بن محمد العلمي

جمال المغرب

للشاعر الأستاذ عبد الواحد أخريف

الحسن فوق اديم الارض منتشر ... يختال في حلل يرنو لها البصر

قد ابدعته يد الرحمان مكتملا ... هيهات يصنعه في فنه البشر

تناسقت منه الوان مزركشة ... على عروش بهاها توج الزهر

الياسمين تغني في حدائقه ... والورد قبله في خده الخفر

في كل صنف من الازهار بارقة ... رق الندى من شذاها وانتشى المطر

ان وزع الحسن في الدنيا على قطع ... ففوق « مغربنا » آياته غرر

سر في جوانبه تلقى مفاتنه ... خضراء حالمة ما مسها كدر

او فاركب الجو وانظر تحته بسطا ... من سندس هام فيه القلب والنظر

ودبانه قسمات تنثني طربا ... كما تثنى بفعل الراح مستعر

انهاره بكنوز الخير دافقة ... من غمرها يتساقى الزرع والشجر

مروجه ما اشتكت جدبا الم بها ... كأنها بالنعيم الفض تتزر

سهوله والمدى رحب بساحتها ... ينسد افق السما عنها وتنتشر

جباله لم تصافح كوكبا قلقا ... الا اطمأن اليها الكوكب الحذر

تعممت بالغمام الرطب هامتها ... ومن ذراها الثلوج البيض تنحدر

عذراء كالطهر لم يعلق بها دنس ... او كاللجين تشهى ذوبه النهر

شمس الاصيل على آفاقه ذهب ... على وداع سناها يطلع القمر

لله يوم ضياء الشمس زينته ... وليله بخيوط البدر يزدهر

مواكب النور في أعراسها صدحت — انشودة « المغرب الاقصى » لها سور

والفجر يبسم في اعطافه جذلا — كأنه مغرم قد بات ينتظر

اذا اطل على خضراء واحتنا — يهتز من فرح باسى له السحر

ما ذاك الا لان الفجر يخلفه — وهو الذي حظه في الوصل مختصر

والليل مسرح أفراح ينضضه — بدر السماء فيحلو عنده السمر

سكونه العذب ممزوج ببهجتها — وللاغاريد في احنائه أثر

بحاره الزاخرات الهادئات على — وجوهها من شعاع النور مدخر

تجري بها الفلك في امن وفي دعة — وفوقها السفر لم يزعجهم خطر

اعماقها بالعطاء الثر زاخرة — لم ينقطع فيضها يوما فتعتذر

غاباته والعناق المحض شيمتها — تمتد في السفح أو يزهو بها الحجر

ان زرتها وضياء الشمس كللها — حسبت ليلا بها قد شابه القمر

دنيا من السحر لاحت في بدائعها — جحود فتنتها كالكفر معتبر

وفي الحواضر من الوان بهجتها — ما لم يشاهده في احقابه العمر

زخارف رقصت فيها يد مهرت — وافتن فيها الحجا والذوق والفكر

آياتها بالجمال البكر ناطقة — والعين رفت على اهدابها الصور

والاهل من لطفهم رقت حضارتهم — فاصبحت وعليها الوشي والحبر

حضارة تكتب الامجاد رونقها — فتنحني مدنيات الورى الكثر

عاداتنا صقل الاسلام صفحتها — فاغفلت كل ما بالطبع يحتقر

ما في الخلال سوى ما لو تعشقه — من ليس منا لزكت عشقه السير

سل الثقافة عنوان الرقي يجب — رواؤها أنه ريان مفتخر

منازل من جنان الخلد نضرتها — وفي غلائل من فيها الشذى العطر

دروبنا ونقاد الوجه يطبعها — بيضاء لم تتسخ يوما فتنكسر

الكل مؤتمن منا على وطن — البدو يحفظه كالعرض والحضر

لحبه شامخا وفي الشموخ له — ماض ، وحاضره كالامس مزدهر

شعب تعاقبت العلياء في حقب — عليه ، وانتعشت في ظله العصر

لا غرو ان يتسامى في معارجه — والعاهل « الحسن » المحبوب مقتدر

تطوان : عبد الواحد اخريف

من زوايا تاريخ المغرب في البرتغال

للأستاذ محمد قشتيليو

كانت العلاقة وثيقة بين فيلب الثاني ملك اسبانيا وسيبسطيان ملك البرتغال نظراً للرابطة العائلية التي تجمعهما ، فقد كان سيبسطيان لا يتوفر على خبرة كافية ودراية بشؤون الملك لصغر سنه وحداثة عهده بالقضايا السياسية ، فكان خاله فيلب الثاني ملك اسبانيا هو ملجأه في كل شيء ومستشاره في كل الولمات وما يعرض له من مشاكل ، فقد كانت بينهما اتصالات مستمرة لا تنقطع وخاصة في قضايا الحروب الصليبية التي كان يدبرها ويريد ان يشنها سيبسطيان على المسلمين وخاصة على المغرب ، كما كان خاله فيلب ايضا لا يفتر عن محاربة المسلمين فى اسبانيا ونعني بهم المدعوون بالموريسكوس (1) . كانت اتصالات واستشارات سيبسطيان لفيلب تدور احيانا بينهما اما بالمراسلة او بالاتصال الشخصي الذي جرى مرة بينهما بطلب من سيبسطيان ، وكان ذلك بمكان يدعى (كوادالوبي) بناحية (استريمادورا) بشرقا سبانيا باحدى اديار هذه الناحية ، وذلك في عام 1576 .

يقول مانويل ساندوفال ذي ريو في كتابه : « بورطفوليو ذي استوريا ذي اسبانيا » صفحة 210 مع نشر صورة للفاطلين : « ان ملك المغرب مولاي محمد طلب اعانة من فيلب الثاني ملك اسبانيا لازاحة اخيه عن الملك ، ولكن هذا (اى فيلب) رفض ذلك فحول طلبه الى ملك البرتغال ضون سيبسطيان فلبى رغبته رغم معارضة الجميع ومنهم فيلب لكنه كان يحتاج الى مساندته فطلب مقابلته شخصيا بواسطة سفيره مع طلب يد ابنته الكبرى ايضا ، وفي 12 دسمبر من عام 1576 تمت المقابلة بالمكان الذي اشرنا اليه سلفا ، ولكن هذه المقابلة لم تكن مجدية ، لكن ملك اسبانيا - يقول صاحب الكتاب المذكور - قدم لسيبسطيان نحو خمسة آلاف رجل وخمسون مركبا حربيا في حدود خاصة ، الشيء الذي لم يرق الملك البرتغالي ، كما حدد فيلب لسيبسطيان شروطا منها أن لا يتعدى في حملته العرائش مع شروط اخرى مقننة - يقول الكاتب - لكن سيبسطيان لم يقف عند هذا ، فجهز حملة من اسبان وطليان والمان وبرتغاليين ونزل باصيلا وتابع سيره الى ان وصل الى سهول القصر الكبير اين كان مصيره المحتوم » ا هـ.

كان سفير فيلب الثاني خوان ذي سيلفا يطلع ملكه على خطوات سيبسطيان اليومية ، وقد بعث له برسالة من اصيلا (يظهر ان السفير الاسباني كان يرافق سيبسطيان في الحملة) قبل المعركة الفاصلة بيوم او يومين يقول فيها : « علمت الآن من الشريف (يظهر هذا من عيون البرتغاليين في الناحية) الذي بعث يطلبه بأن لا يتحرك - أي من أصيلا - مبينا له

(1) انظر كتاب « محنة الموريسكوس في اسبانيا » لكاتب المقال .

الخطر الذي هو مهدد به في هذا المكان وانهـم في حاجة الى الزاد ، ويطلب منـه ان يسلم الجنـود القشتاليون الذين اتوا من الاندلس لعدم توفـره على السلاح لامدادهم به ـ وتضيف الرسالة ـ ولا يوجد اي قطر في الوقت الحاضر له رغبة في البحث عـن الخطر . ثم يضيف رسالة بعدها وهي الاخيـره : « بانه سيقلع من هذا المكان الذي لا يتوفر على الماء وسيحل غدا بقنطرة القصر الكبير » .

كانت هذه آخر رسالة (من الجزء الثاني مـن كتاب « يوميات الملك ضون سيبسطيان » للأكاديمي خواكين فيريسيموسيرا) اصدرته أكاديمية التاريـخ البرتغاليـة .

كان سيبسطيان يرى ان خاله فيليب الثانـي ملك اسبانيا له المام ودراية بحرب المسلمين ، وله اطلاع واسع على شؤونهم ، لانهم متساكنون معـه بالاندلس ويعدون من رعاياه لذا كان ملجاه في ذلـك اى في شؤون حرب المسلمين ، ولكن رغم هذا كان فيليب لا يشجعه على محاربة المسلمين بالغرب نظرا لاختلاف الوضع ، ففيليب كان يحـارب مسلمـي الاندلس (الموريسكوس) لانهم يوجدون معا بمملكته ويعدون من رعاياه ، بينما مسلمي المغرب الذين يريد سيبسطيان محاربتهم بعيدون عنه ، يفصل بينهم وبينه البحر ، وفي قطر له كيان ودولة قائمة ، الشيء الذي هو معلوم عند مسلمي الاندلس ، لـذا كان فيليـب يحذره من مغبة المجازفة في هذه الحرب .

وعلى كل حال فان الشخصيات التي تصنـع التاريخ لا بد وان يكون لدورها ومواقفها تأثيـر في تاريخ الامة ، فاذا كان سيبسطيان بتهوره وغروره قد جر على بلاده الويلات بأشنع هزيمة عرفتها البرتغال وضيعت استقلالها السياسي بدخولها تحت سيطرة عرش اسبانيا (2) فانها حققت مكسبا ادبيا لا يستهان به ، ذلك ان موقعة وادي المخازن أثرت في الثقافـة البرتغالية واعطت روحـا جديـدة للغـة والادب البرتغاليين ، فصار للغة البرتغالية شخصية قائمـة الذات بين اللغات الحية الاوربية المشتقة من اللاتينية اذ ذاك ، فقد خلقت المدرسة السيبسطيانية نبغاء في الادب والقصة والشعر امثال لويس ذي كامـوليس صاحب ديوان : « اوس لوسياداس » الـذي يعـد بمثابة ثرفانطس صاحب كتاب ضون كيخوطـي ذي لامانشا » عند الاسبان ، فكامويس هذا له يوم خاص باسمه يحتفلون به سنويا في البرتغال ، كان هـذا الشخص فقيرا ومغامرا فقد قضى سنوات عديدة في الهند منفيا ، فهناك تفتحت مواهبه وفاضت قريحته وكتب عدة قصائد شعرية ثم عاد الى البرتغال وساهم في الحرب ضد المغاربة في ضواحي سبتة التي كانت دائما محل معارك بين المغاربة والبرتغاليـين ، وفي سبتة ضيع عينه اليمنى ، وكانت القواعد البرتغالية بالمغرب في ذلك العصر ميدانا للشهامة والبطولـة عند شباب البرتغال كما يقول امانويل باولو راموس في كتابه : لونياداس للويس كامويس ص 23 وهـو استاذ جامعي بجامعة كويمبرا ، ويقول ايضا : جوان ذي باروس في كتابه : لوس لوتيـداس ص 202 : « ان لويس ذي كامويس » قد شارك في معارك عدة دفاعا عن سبتة من غارات المغاربـة الى ان ضيـع عينـه » .

ومن غرائب الاشياء فان الكاتبيـن ثرفانطس الاسباني وكامويس البرتغالي لهما قاسم مشتـرك ، فالاول حارب ضد المسلمين في الموقعة البحريـة لبانطو فاخذ اسيرا من طرف الاتراك الى الجزائـر وضيع يده ، وفي الاسر كتب كتابه الشهير « ضون كيخوطي ذي لا مانشا » فاصبح من ائمة الادب عنـد قومه . وكامويس البرتغالي حارب ضد المسلميـن بسبتة وضيع عينه وألف ديوانه الذي أصبح ايضا من عيون الادب في لغته ومن ائمة الادباء عند قومه .

لقد لعبت المدرسة السيبسطيانية دورا فعالا في اثراء الادب واللغة البرتغاليين وملأت وقتـا لا يستهان به من حياة الشعب ، ونبغوا شعراء وكتب وابتكرت تنبؤات من طـرف مشعوذيـن وانصـار سيبسطيان الهالك فاكتسب بهذا اثراء وغنى للغة لـم تكن تصلها بجانب اخواتها اللاتينية لولا هذه الموقعة وهذا التحول الذي طرا على حياة شعب لوثيطانيا ، وقد كتب والف في هذا الموضوع الكثير والمجال لا يتسع لكل ما كتب في هذه الحقبة ، فمن أهم ما وصل لدينا « ضون سيبسطيان المقنع » لانطونيو ماشاضو نشره المركز العلمي بلشبونـة مؤسسة كولبنكيـان

---

(2) انظر مقالا لنفس الكاتب في عدد (دعوة الحق) رقم 4 تاريخ يوليوز 1980 تحت عنوان : « صدى تأثير موقعة وادي المخازن في نفـوس البرتغالييـن » .

الدولية ، وهذا الكتاب من الحجم الكبير ويقـع في 450 صفحة ويعد من اهم المراجـع في العصـر السبسطياني وما قيل فيه من شعر ونثر .

وهكذا نرى ان موقعة وادي المخازن لم تحقق للمغرب انتصارا عسكريا وتوسعا ماديا في افريقيا فحسب ، بل حولت اتجاه الامة المهزومة في الحياة وصنعت لها تاريخا وحققت لها اهدافا ذلـك انها اصبحت من الناحية الادبية في صف امـم أوروبـا الغربية اذ ذاك كما قدمنا .

لقد دام استعمار البرتغال لبعض نواحي المغرب ما يزيد على القرن ومع ذلك فلا نعلم عنه شيئا ، وكل ما نقوله لابنائنا ، أن البرتغال انهزم في معركة وادي المخازن ، يجب ان ندرس لابنائنا كل شيء عن بلدهم ونزودهم بكل المعلومات عن مساوىء هذا الاستعمار حتى يكون ابناؤنا على بينة من تاريخ بلادهم ، كنا نلوم الاسبان على انهم يلقنون ابناءهم تاريـخ الوجـود الاسلامي في اسبانيا في بضع صفحات مع ان هناك فرقا بين الوجود الاسلامي في اسبانيا والوجـود البرتغالي في المغرب ، فالمسلمون تركوا باسبانيـا آثارا تدل على حضارة عظيمة وازدهار وعمران لـم يسبق لاسبانيا ان عاشته خلال الرومـان والقـوط وغيرهما من الامم التي تعاقبت على اسبانيا قبـل الفتح الاسلامي ، بينما لم يترك البرتغال بالمغـرب الا آثارا لبعض أسوار وابراج ان دلت على شيء فانها تدل على الحرب والدمار وروح الهيمنة والاستعباد ، افلا نلقن ابناءنا كل ما كانت تنم عليه روح الغرب من الضغينة والحقد للاسلام حتى يبقى دائما متيقظـا حذرا ولينخذ من ذلك عبرة وموعظة وذكرى ؟ ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب .

الرباط : محمد قشتيليو

القراءات القرآنية واللهجات العربية

● تحت هذا العنوان يواصل الدكتور التهـامي الراجي الهاشمي نشر سلسلة أبحاثه القرآنية التي نشر منها سبعة بحوث .

● المقال الثامن في العدد القادم ..

نزاع الأطياف

رثاء الشاعر الكبير المرحوم إدريس الجائي

للشاعر الأستاذ محمد البوعناني

الليل مات ، فوجه الافق معكوس — وكل خيط من الانوار منكوس

وافرغت ضفة الوادي مرارتها — وعمم الشمس كلف ، ثم تعبيس

وفي الحدائق لا ورد ، ولا نغم — ولا ثمار على عش ... وطاووس !

فالنهر ملتهب ، والزهر مكتئب — والشعر مغترب ، والقبر عريس (1)

والبدر يعرج لا ينهي استدارته — جبينه في ظلام الطين مغموس

وكم نحرنا على الاجفان دمعتها — فضاع في جفنة القربان قسيس

اليوم لا موعد تنسي الديار به — خلالها ليباح اللمس والبوس !

واليوم لا نكتة عجلى تدغدغنا — ولا قواف اميرات ، وتخميس (2) ...

* * *

اني لاذكر افراح (السنابل) في — جوانب (السين) ترويها الاحاسيس (3)

ووجهك الضاحك الغماز يرسمه — على موائدنا الحمراء رمسيس (4)

تخال بسمته الهيام كل فم — وتحت اطراقه تبكي فراديس

---

(1) مسواى الاسد .

(2) التخميس في الشعر اضافة ثلاثة اشطر لشطري البيت .

(3) السنابل مجلة كان يصدرها بباريس الاخ احمد عويدات ، والسين هو النهر الذي يقطع باريس .

(4) رمسيس يونان صديقنا الفنان المصري الفقيد.

فللماسي مواويل ومدفأة ... وللصبيحة تهليل ، وتدريس
وجردت حولنا الايام منقبة ... لم تبتدعها نفرتيتي وبلقيس

* * *

الليل مات وكانت بعض انجمه ... يضيء فيها على الخلان ادريس
ادريس يازارع الاطياف في بلد ... تعنتت في مغانيه الابالسيس !
تبكيك فاس وتطوان الشباب كما ... تبكي الرباط ويبكي الريف والسوس
غلفت للصاعدين الفجر في قبل ... لا يعتري لونها ضعف وتدليس
والقدس في كل شعر تاج ملحمة ... والقدس تفقأ عينيه المدانيس
حتى المساجد قد ضاقت بمئذنة ... حتى الكنائس سجتها النواقيس
وجيش صهيون مختال بغطرسة ... وفي المعاهد تقتيل ، وتدنيس
فلا خطيب سعيد فوق منبره ... ولا فقيه ، ولا قس ، وقديس .

* * *

ادريس ، كنت نشيد الحق في فمنا ... والحق في حفرة الازبال مدسوس
تقوم للدين لا تلهو بحرمته ... وفي قصيدك للاسلام تكريس
والمغرب العربي عهد يؤكده ... ابطالنا ، وابن خلدون وباديس (5)
وللعروبة تتويج ، ومكرمة ... وللمغاربة الابرار تقديس
من يحرس المنهل الشعري في غدنا ؟ ... وليته بكبار الاهل محروس !
لله قلبك - والآيات شاهدة ... بان قلبك بالاحباب مفروس
اضحى سخاؤك عنوانا لاكرمنا ... وليس خلفك أملاك ولا كيس
خيالك الرحب رد المستحيل الى ... حقيقة وهو كالياقوت ملموس
فكان وجهك بالايمان مروحة ... وليس تحصر عينيه المقاييس

* * *

الحزن يصرع دنيانا ، يؤرقنا ! ... وان غفا الحزن لا تغفو الوساويس
والموت اكبر من كل الحقائق ما ... في الله شك ، وما في الموت تلبيس
فلتنشد فاس وتطوان ، وخلفهما ... شدت بصوتك مدريد وباريس

(5) الزعيم الجزائري المصلح عبد الحميد بن باديس .

تقويم اللسانين مستقيم والطعن فيه سقيم 2

للدكتور محمد تقي الدين الهلالي الحسيني

السادس : قوله ان قولي « بواسطة رئيسنا » ص 8 لحن والصواب « بوساطة رئيسنا » .

اقول لم يات على تخطئته بدليل لجهله بقواعد النحو وقد اختلف النحاة في ذلك ، قال ابن مالك في الخلاصة :

ولا يضاف اسم لما به اتحد
معنى واول موهما اذا ورد

قال الاشموني في شرحه للالفية : اذا جاء من كلام العرب ما يوهم جواز ذلك وجب تأويله فمما اوهم اضافة الشيء الى مرادفه قولهم : « جاءني سعيد كرز » وتأويله ان يراد بالاول المسمى . وبالثاني الاسم اي جاءني مسمى هذا الاسم ، ومما اوهم اضافة الموصوف الى صفته قولهم « حبة الحمقاء ، وصلاة الاولى ، ومسجد الجامع » وتأويله ان يقدر موصوف اي حبة البقلة الحمقاء وصلاة الساعة الاولى ومسجد المكان الجامع ، ومما اوهم اضافة الصفة الى الموصوف قولهم « جرد قطيفة ، وسحق عمامة » اي شيء جرد من جنس القطيفة ، وشيء سحق من جنس العمامة .

تنبيه : اجاز الفراء اضافة الشيء الى ما بمعناه لاختلاف اللفظين ووافقه ابن الطراوة وغيره ، ونقله في النهاية عن الكوفيين وجعلوا من ذلك نحو « ولدار الآخرة » و « حق اليقين » و « حبل الوريد » و « حب الحصيد » وظاهر التسهيل وشرحه موافقته ـ ا هـ .

فانت ترى ايها القارىء الكريم ان هذه المسالة خلافية والائمة الذين قالوا بجواز هذه الاضافة لا يمكن الاستخفاف بآرائهم وهم الفراء وابن الطراوة ، والكوفيون ، وظاهر التسهيل لابن مالك وشرحه للدماميني الموافقة على ذلك ، واستشهدوا بشواهد لا يمكن ردها من كلام الله تعالى ومن كلام العرب وبهذا تصير تخطئته خطأ واعتراضه مردودا .

السابع : قوله ان قولي « البحوث العلمية » ص 8 خطأ والصواب بزعمه « بحوث العلم » الى آخر كلامه . وهو تحكم لم يات عليه بدليل ورايه لا قيمة له ولا يوافقه عليه أحد الا من كان مثله في الجهل .

الثامن : ادعى أني ضممت تاء « تشين » وهي مفتوحة لان فعلها ثلاثي . فاين ادعاؤه انني جهبذ وفطحل وهذه لا تخفى على احد من أهل العلم ، وانما ضم التاء المصحح او الطابع لانني أنا لا اشكل الكلمات ولم انصص عليها ولم اقل بضم التاء حتى ينسب ذلك الي ولا علم لي به فاعتراضه ساقط .

التاسع : قوله وقال : « اداء لما للغة الضاد » ص 10 وفي العبارة فساد والصحيح بادعائه « اداء لما للغة الضاد علي من واجب » .

يا عجبا لهذا المتهور يصوب ويخطىء أدعياء وتحكما كأنه يخاطب اطفالا مبتدئين ، وما الدليل على ان عبارتك صحيحة وعبارتي خطأ ؟ هـذا من جنس ما تقدم ولا يستحق الجواب وقد ذكرني هـذا الاعتراض السخيف بحكاية يحكونها عن شخص جاهل بالنحو ساله رجل قائلا ما فعل أبوك بالحمار ؟ فأجابه باعيه يعني باعه فقال له هذ خطأ فأجاب الجاهل باؤك تجروباني لا تجر . ولهذا كنت عازما على عدم الرد عليه لان اكثر ما انتقده لا يستحق الرد .

العاشر : قوله ان قولي « بدون تبصر » ص 10 وهو لحن والصواب بادعائه « بلا تبصر » أو « بغير تبصر » لان « دون » معناها « اقل » .

اقول في جوابه :

وقل لمن يدعي بالعلم معرفة
علمت شيئا وغابت عنك اشياء

هلا نظرت في كتب اللغة وفي القرءان العظيم قبل ان تخطىء غيرك .

ولكن الغرور الذي ابتليت به وحمية الجاهلية التي دفعتك الى كتابة هذا المقال يمنعانك من ذلك . فاسمع ما قاله علماء اللغة وما قاله الله تعالى في القرءان العظيم .

وقال ابن منظور فى لسان العرب فى هذه المادة . « دون » بالضم نقيض فوق ويكون ظرفا ، وبمعنى امام ووراء وفوق ضد وبمعنى غير .

وقا ابن منذور في لسان العرب في هذه المادة . قال الفراء في قوله تعالى : « ويعملون عملا دون ذلك » دون الغوص يريد سوى الغوص .

وقال تعالى في سورة العنكبوت : « انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا » .

قال ابن كثير : اي ثم اخبر تعالى أن الاصنام التي يعبدونها لا تضر ولا تنفع وانما اختلقتم انتم لها أسماء فسميتموها آلهة وانما هي مخلوقة مثلكم هكذا رواه العوفي عن ابن عباس . فدون هنا معناها غير .

وقال تعالى في سورة المائدة : « أ انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله » قال الراغب في غريب القرءان أي غير الله .

وقال تعالى في سورة الشورى : « أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي » واعداد بلفظ « من دونه » هنا هو بعينه المراد في آية المائدة .

ومثل هذا التعبير كثير في القرءان ، وقد تبين بما لا شك فيه ان « دون » تأتي بمعنى « غير » في لغة العرب .

وانا لا انكر أن (دون) تستعمل بمعنى اقل ، بل كلامي لا يأباه لان « دون » هو الاقل منها ، أي ناقص عنها ، ولكن ضلاله كان في حصره معنى « دون » في اقل ، وجهله انها تكون بمعنى (غير) .

الحادي عشر : ادعى ان قولي « ان تمروا على ما اكتب مرور الكرام » ص 10 و « على » خطأ والصواب « ان تمر بما اكتب » ف « على » « للمشارة » و آل « باء » « للملاصقة » وهذا جهل منه .

أما معاني « باء » الجر فقد تقدمت . واما معاني « على » فقال ابن مالك في الخلاصة .

على للاستعلاء ومعنى في وعن
بعن تجاوزا على من قد فطن
وقد تجيء على الحرفية لمعان عشرة
كما على موضع عن قد جعلا

قال الاشموني في شرحه للخلاصة ما نصه :

أي تجيء على الحرفية لمعان عشرة : ذكر منها هنا ثلاثة :

الاول : الاستعلاء وهو الاصل فيها ، ويكون حقيقة ومجازا نحو « وعليها وعلى الفلك تحملون » ونحو « فضلنا بعضهم على بعض » .

الثاني : الظرفية : ك « في » نحو « على حين غفلة » .

الثالث : المجاوزة : ك « عن » كقولـــه .

اذا رضيت علي بنو قشيـــر
لعمر الله اعجبني رضاهـــا

الرابع : التعليل : ك « اللام » نحو « ولتكبروا الله على ما هداكم » .

الخامس : المصاحبة : ك « مع » نحو « وآتي المال على حبه » و « ان ربك لذو مغفرة للنـاس على ظلمهـــم » .

السادس : موافقة « من » « اذا اكتالـوا على الناس يستوفون » .

السابع : موافقة الباء : نحو « حقيق على ان لا اقول » وقد قرا ابي بالباء .

الثامن : الزيادة للتعويض من اخرى محذوفة ، كقـولـــه :

ان الكريم وابيـك يعتمـل
ان لم يجد يوما على من يتكل

اي من يتكل عليـــه .

التاسع : الزيادة لغير تعويض ، وهو قليـل كقولـــــه :

ابى الله الا ان سرحة مالـك
على كل افنان العضاه تروق (1)

وفيـــه نظـــر .

العاشر : الاستدراك والاضراب كقوله :

بكل تداوينا فلم يشف ما بنا
على ان قرب الدار خير من البعد
على أن قرب الدار ليس بنافع
اذا كان من تهواه ليس بذي ود

وها انذا أسوق البرهان القاطع من كـلام الله تعالى ومن كلام العرب الذين يحتج بكلامهـــم على ان الفعل « مر » يتعدى بعلى . قال تعالـــى في سورة الصافات « وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليـــل افلا تعقلون » وقال سبحانه في سورة يوسف « وكأي من آية في السماوات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضـــــون » .

وقال الشاعر :

امر على الديار ديـار ليلـــي
اقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبـي
ولكن حب من سكن الديـارا

وقال الشاعر ايضـــا :

ولقد امر على اللئيم يسبنـي
فمضيت ثمت قلت لا يعنيني

وقد تهدم بهذا كل ما بناه المعترض على شفـا جـــرف هـــار .

الثاني عشر : ادعى ان قولي : « وان تدعـوه لغيركم الذين يقدرونه حق قدره » ص 10 فيه فساد والصحيح بزعمه « وان تدعوه للذين ... » بحـذف « لغيركم » فان كلمة « غيركم » لا توصف .

الجواب : هذا مردود من وجهين : الاول انـه لم يات عليه بدليل صحيح ، والثاني ان الصفة ليست « لغيركم » لان « غيركم » نفسها صفة بل الصفـة للاسم الموصوف بغيركم ، والدليل على ان «غيركم» صفة قول الله تعالى : « اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم... » فغير صفة للذين .

فالذين في كلامي صفة للموصوف « بغيركم » تقديره لقوم غيركم . وبهذا يعلم بطلان اعتراضه .

الثالث عشر : ادعى ان قولي : « اما تسميتها دخيلة فلا اشكال فيه » ص 10 خطـا والصـواب « فيها » لان الضمير يعود الى تسميتها وهي مؤنثة.

(1) السرحة هي العضاهة ، والعضاهـة : الشجرة العظيمة وجمعها عضاه بكسر العيـن في المفـرد والجمـــع .

اقول في جوابه مرة اخرى :

وقل لمن يدعي بالعلم معرفة
علمت شيئا وغابت عنك اشياء

قال الاشموني في شرح قول ابن مالك في الخلاصة :

وكلها يلزم بعده صلة
على ضمير لائق مشتملة

تنبيه : الموصول اذا طابق لفظه معناه فلا اشكال فيه . وفي العائد وجهان : مراعاة اللفظ وهو الاكثر ، ومراعاة المعنى كما سبقت الاشارة اليه .

فقولي فلا اشكال فيه ، الضمير يعود على معنى التسمية لا على لفظها اي فلا اشكال في هذا التعبير او في هذا الكلام .

الرابع عشر : ادعى ان قولي « الانشاء العربي الذي قبل هذا الزمان » ص 10 فيه فساد والصحيح بزعمه « الذي كان قبل هذا الزمان » فلا بد لظرف الزمان من فعل ماض يعتمده في السياق » .

اقول ، ليس فيه فساد وانما الفساد في فهمك المبني على الخيال بلا علم ولا دليل كأنك تخاطب الصبيان في مدرسة ابتدائية .

قال ابن مالك في الخلاصة :

وجملة او شبهها الذي وصل
به كمن عندي الذي ابنه كفل

قال الاشموني في شرحه هذا البيت : فعندي ظرف تام صله « من » و « ابنه كفل » جملة اسمية صلة الذي وانما كان الظرف والمجرور التامان شبيهين بالجملة ؛ لانهما يعطيان معناها لوجوب كونهما هنا متعلقين بفعل مسند الى ضمير الموصول، تقديره الذي استقر في الدار والذي استقر عندك اهـ .

وقال تعالى في سورة الزمر : « ولقد أوحي اليك والذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ... » فقوله تعالى : « من قبلك » جار ومجرور هو صلة للموصول يتعلق بمحذوف اي الذين كانوا من قبلك .

وقال تعالى في سورة الحاقة : « وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة » « فقبله » ظرف زمان وهو صلة الموصول متعلق بمحذوف تقديره ومن كان قبله . فهل كلام الله ايضا خطأ ؟ ولكن الامر كما قال الشاعر :

اذا لم تخش عاقبة الليالي
ولم تستحي فاصنع ما تشاء
فلا والله ما في الدين خير
ولا الدنيا اذا ذهب الحياء

الخامس عشر : ادعى ان قولي « استعمارية » و « استعمار » ص 10 من كلام العامة اذ «لا استعمار» في لغة العرب يقال « استعمره في المكان استعمارا» ان جعله يعمره ، ورد في القرءان « واستعمركم فيها» اي جعلكم عمارها . اهـ .

اقول هذا اعتراض سخيف لا يلجأ اليه الا المفلس فان كلمة « استعمار » و « مستعمرين » و « مستعمرات » الفاظ اصطلح عليها كتاب هذا العصر ولا مشاحة في الاصطلاح ، وكان عليه ان يخبرنا بالصواب وبلغته الخاصة عنده ، على ان معناه في اللغة صحيح ، فكل ارض ضعف اهلها على استعمارها واستخراج ما فيها من الكنوز والمنافع يسلط الله عليهم دولة قوية يستعمرها الله في تلك البلاد فتخرج ما فيها من الكنوز والمنافع التي يعم نفعها الغزاة والمغزوين ، اقول هذا وانا من المحاربين للاستعمار الاجنبي وقد نفاني الفرنسيون نفيا مؤبدا من المغرب والجزائر وتونس لما اسمعتهم من اذاعة برلين ما ازعجهم ، وحبسني الاسبانيون ، وان كان هذا التعبير لغة العامة وجب عليه أن يقبله لانه نفسه من العامة . (يتبع)

قصة قصيرة :

طبق الأصل

للأستاذ محمد الخضر الريسوني

لست ادري كيف يحدث للانسان في لحظات خاصة من حياته ان يستعيد ذكريات موغلة في القدم فتصبح امامه كصور زاهية في منتهى الوضوح .

وهذا هو ما حدث لي بالضبط وانا ازور القرية الشاطئية الجميلة القريبة من مدينة سبتة .. فهناك ومنذ عشر سنوات تقريبا كانت حفلة كبيرة اقامها قائد القبيلة . بمناسبة زفاف ولده البكر . وقد تسالونني : ومن تكون « العروس » التي زفت الى ابن القائد ... ؟

اني اذكر شيئا واحدا ظل مع الايام ، يحفر ثغرات عميقة في نفسي ، لقد شاهدت موكبها البهيج وهو يشق شوارع تطوان ... بينما اصوات البارود تنطلق وتعلو في الفضاء ، وفرق (اكناوة) بطبولهم الكبيرة وهم يضربون عليها بشدة وكانهم يمعنون في تعذيب قلب تائه معذب وقف صاحبه بين الآلاف المشاهدين الواقفين على جانبي الشارع ... كانت اصوات المزامير وايقاع الموسيقى البلدية والجبلية .. كل هذه الاشياء جعلتني اشعر ان شيئا عزيزا انفصل عني الى الابد ..

عادت بي الذكريات فجاة الى الماضي ... وانا ارقب القمر المتشح بغلالة حمراء وكان على مقربة من الافق ، وكانه يتاهب للاختفاء .

عرفتها طفلة تسير في الصف الطويل الذي كان يبدا جولته في (حي العيون) وينتهي في مدرسة البنات بباب العقلة .. وكن فتيات مرحات ، يملان الشوارع التي يمررن بها بهجة وسعادة . كنت آنذاك طالبا في معهد المعلمين ، ثم عرفتها فتاة ناضجة جمعني واياها دور تمثيلي نظمته نيابة التعليم في مناسبة وطنية .. كانت تقف امامي بوجهها الصبوح الملائكي وهي تردد مقتطفات من المسرحية التي كان لي فيها دور البطل .. كانت تؤدي دور شهرزاد في قصة الف ليلة وليلة .. وكنت البطل .. « شهريار » بيد انني لم اكن قاسيا كما كان يتطلب مني .

كنت اشعر ان الكلمات ومقاطع الحروف تتلاشى بسرعة بين شفتي .. كانت تطول عنقها العاجي الصغير بالجوهر « الحر » بينما اسلاك وسبائك من الذهب تزين راسها الجميل . .

منذ ذلك اليوم ربطت حياتي بشهرزادي ، ولن اصدق قط روعة شهرزاد التي صورها الكتاب والفنانون والشعراء بقدر ما اصدق ان « شهرزاد » الحقيقية هي التي عشت الى جوارها فترة من الزمن .. وكان ذلك بمثابة تحول جذري لحياتي او عاطفتي كلها من الاساس فالدنيا بدونها مظلمة رغم نور الشمس ، والموسيقى لا تهز مشاعري رغم رقة الحانها ، والجدول الرقاق لا يبعث في نفسي اي احساس رغم صفاوة مائه ، وحتى البلابل الصغيرة التي تغرد في الفجر وفي المساء لم يعد لتغريدها اي معنى بالنسبة الي . كنت فقط ارنو اليها ، واتعذب صامتا من اجلها ، وصدقوني اذا قلت لكم : اني بعثت لها ذات مساء بورقة صغيرة قلت فيها :

شهرزادي الجميلة ..

اذا كنت انت حقا شهرزادي .. فانا لست شهريار الحقيقي ، ولو كانت لي قوته وارادته لكنت بجواري الآن .. لكنه التمثيل الذي يصور للناس اشياء هي اقرب الى الخيال ، بيد انه مع ذلك ستبقين انت في جنينة الاحلام التي وضعتك بين ورودها وزهورها .

وصدقوني اذا قلت لكم ايضا : باني لم اعد اعرف للنوم راحة ولا للطعام مذاقا منذ استقر حبها في سويداء قلبي .. كان يخيل الي ان همسها اسمعه في كل وقت .. وسمعتها ذات ليلة تخاطبني :

شهرزادي .. لم تعد تعرف السعادة .. لان شهريارها ضعيف الارادة .. خائر العزيمة ..

وقمت مذعورا من نومي وانا اتساءل عن سر الهمس الذي سمعته :

ما ذا جرى ؟ .. اين تكون الآن .. ؟

واكدت الايام التالية صدق همسها فلقد خطبها من ابويها القائد مسعود ذو السلطة الواسعة والجاه العريض في قبيلة « انجرة » خطبها لولده لقاء صداق خيالي .. ووعود مغرية جدا ، وعند ما كان وفد القائد يغادر منزل ابويها .. كان وفد صغير يتركب من والد اشيب ، وام مرهقة بالتعب والعناء ، واخت معذبة يطرق نفس الباب الذي طرقه الوفد الكبير ..

لا ، والدي وامي واختي يحملون بين اكفهم قلبا خافقا وعلى ملامحهم امل كبير .. وجاء والدها ليعلن الى عائلتي الصغيرة بصوت اجش مبحوح :

ــ « انتهينا واعطينا بنتنا لولد القائد مسعود والحمد لله » .

الا قبح الله الفقر .. هذا الفقر الذي يتحكم في مصائر الناس وسعادتهم .. فمن يكون والدي امام جناب القائد المحترم ؟ .. انه صانع وحداد في شارع الحدادين .. ان النار تلهبه وتمتص دمه يوما بعد آخر .. انه يشقى طول يومه من اجل دراهم قليلة هي خبزنا الذي به نعيش .. وامي التي زاغت نظراتها وتقوس ظهرها لانحنائها الدائم على ماكينة الخياطة وهي ترتق الاقمصة او تخيط ملابس لاطفال الجيران .. واختي العانس التي لم يخطبها احد اصبحت هيكلا آدميا .

هذه المشاهد لم يكن بد منها ما دامت تتمم المشهد الحقيقي لقصتي .. فانا شهريار المزيف لم يكن عندي حول ولا طول لان المال يعوزني وكان بمنتهى السهولة واليسر ان اظفر بشهرزادي لو اني دفعت مبلغا مهما جدا لوالدها ..

ثم لم اعد اعرف ماذا حدث بعد ذلك .. ما دام كل شيء قد انتهى بالنسبة الي في تلك اللحظات الرهيبة من حياتي .. ولم اعد اهتم بالتفاصيل .. او الاجراءات التي تلت حفلات الزفاف التي اهتزت لها مدينتي الصغيرة ، وسافرت الى مدينة نائية بالجنوب لعلني انسى .. ولم افكر يومذاك في الزواج .. بل جعلت اعيش لاسرتي التي تالمت كثيرا من اجلي فاتقاسم واياها اجرتي التي كانت بمثابة مورد واحد يعيشنا ..

ثم لست اعلم او ادري كيف حدث ان سافرت بعد عشر سنوات الى القرية التي استقرت بها شهرزادي .. وكل ما اذكره ان زميلا قديما سبق له ان مثل معي دورا ثانويا في المسرحية الخالدة بعث الي برسالة يلح علي فيها بالحضور الى القرية التي سيحتفل فيها بزفافه ..

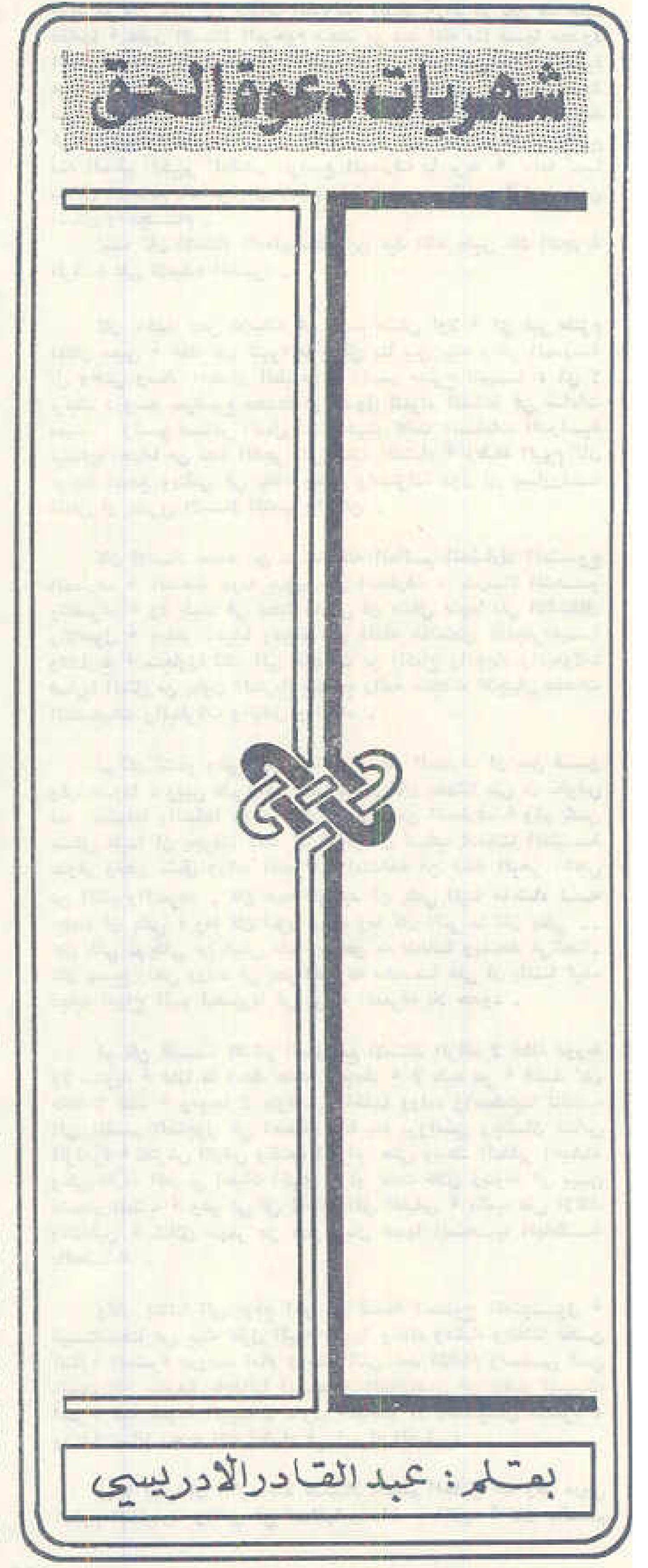
وسافرت .. وفي الطريق الى القرية ــ كان كل شيء يكبر ويعظم امامي .. فالصور الجميلة القديمة تعيد رواءها ، وحبي ينتعش كمارد جبار والهمسات والزفرات والآهات العميقة تتحول فجأة الى الحان رقيقة عذبة تمتزج بهدير البحر وصخبه وهو يقذف الصخور بامواجه في قسوة ..

كانت القرية تعيش يوما آخر من ايامها الزاهية .. كانت تشهد حفلا ساهرا من سهراتها .. حضرت الى جانب اعيانها وكبار القوم فيها .. كان يقف الى جواري شخص بدت على ملامحه وهيأته آثار النعمة واليسار .. ورايت بنتا صغيرة جميلة شقراء تسرع اليه وتعانقه ، كان وجهها .. وملامحها .. وجدائل شعرها .. وطريقة همسها وحديثها .. هذه الاشياء كلها جعلتني ارتد بسرعة الى الماضي ..

وكم كانت دهشتي عندما اقترب مني صديقي العريس وقال لي وهو يقدم لي وجيه القرية :

ــ اسمح لي ان اقدم لك « ولد القايد مسعود » ولم ارد ان اساله او اقول له : ومن تكون هذه الحسناء الصغيرة .. ؟ ذلك لان الملامح كانت صورة طبق الاصل ، الملامح شهرزادي .

محمد الخضر الريسوني



في ذكرى وفاة الأستاذ الكبير محمد بن عبد الله .

●● في الحفل التابيني الذي اقيم بفاس بمناسبة الذكرى الاربعين لوفاة المعلم الكبير والاستاذ المجاهد الرائد محمد بن عبد الله القى الاستاذ عبد الهادي بوطالب كلمة مؤثرة تحدث فيها عن مكانة الفقيد العزيز . وفيما يلي نصها :

عندما علمت بخبر حفل التابين الذي يقام في ذكرى الاربعين لوفاة معلمي الاستاذ الرائد محمد بن عبد الله ، حرصت على المشاركة والتحدث فيه لا لاسمعكم ما يمكن ان يوصف بادب الرثاء، لان الرثاء اولا لا يعدو ان يكون تنفيسا عن كربة القلب ، واستدرارا لدمعة حبيسة في الاحداق ، ولانني ثانيا لا احب لفقيدنا العزيز ان يرانا حزانى باكين وهو الذي علمنا الجلد في الملمات والتغلب على الحزن والكرب ، وثالثا لان ذكرى الاربعين ليست الا بدعة مستحسنة ، اذ لا عزاء بعد ثلاث .

على العكس منذ ذلك نحن هنا ، في الحقيقة ، على موعد آخر مع الاستاذ ـ المعلم الثائر الذي لم نفقده الا ماديا ، اذ ان موعدنا اليوم مع روحه الطاهرة في غياب جسد لم ترهقه الحركة ولا وهن في طريق النضال الطويل على مدى اكثر من خمسين سنة ربى فيها وعلم وراد .

اننا هنا على موعد مع رسالته العلمية والثقافية الخالدة .

وعلى موعد مع المثل المتجددة التي زرعها في قلوبنا وافكارنا

وعلى موعد مع أثره وتاثيره البالغين في الاجيال التي تتعاقب وتتلاحق .

وعلى موعد بعد هذا وقبله مع الوفاء له ولكل الرموز والدلالات التي يمثلها كرائد من رواد الفكر والعلم والتربية والوطنية والتضحية والنضال .

ولاننا هنا في لقاء مع جميع تلك المواعد فان ذلك سبب آخر يجعل المناسبة اسمى من ان توصف بحفل التابين او الرثاء . وأضف الى ما سلف أيضا عاملا اخر ، فاعترف لكم انني لا احب ان اكون في موقف الرثاء ، بل انني لا احسن ادبه ولا امتلك بيانه، وان كنت اذكر انني وقفت راثيا في حياتي مرتين لا غير : الاولى ، وكنت يافعا في سن الخامسة عشرة ، حينما رثيت المرحوم الثائر الصريح في الحق عبد الرحمن بن القرشي ، وكنا اذ ذاك شبابا نستغل كل مناسبة للاتصال بالجماهير وتوعيتها ، وكان رثائي له شعرا ، ولم البث ، لشدة ما اصبحت اعايش الحقائق ، ان انصرفت عن صياغة القريض وودعت الاهتمام بالشعر ، الا اذا استوقفني منه في مطالعاتي الرائع المثير .

اما المناسبة الثانية فقد رثيت فيها المرحوم الشيخ المكي الكتاني في كلمة قصيرة ، اذ اتاحت لي فرصة عملي كسفير

بدمشق سنة 1962 التعرف على شخصيته والاحتكاك به فرايت لزاما علي ان اوفي له جزاء ما قدم لبلاده من عمل صامت طيلة عهد الحماية فوق ارض دمشق التي جعل منها بلاد الهجرة عن الاستعمار مختارا مكافحته في المشرق .

واذ يقال لا اثنان بدون ثلاثة فقد شاءت الاقدار ان تكون الثالثة هي ان اقف اليوم هنا في ذكرى الاربعين لوفاة معلمي واستاذي محمد بن عبد الله تغمده الله بواسع رحمته ، وهكذا سعيت الى فاس لحضور هذا الحفل بعد ان عاقني مانع قاصر عن تشييع جثمانه ، عسى ان اوفي بفضله الكبير في تعليمي تعليما وتوجيها في فترة من عمر الانسان ينهل فيها من المعارف ما يملا بها مخزونه لرحلة العلم والمعرفة التي لا تعرف التوقف عند الحدود والمسافات، وتصقل فيها مواهبه وتتكون فيها شخصيته ، وتتحدد معالم اتجاهاته وسلوكه في خضم العمل والعطاء ومعترك الحياة .

وساحاول ان اقدم الفقيد من زاوية خاصة ، وهي صورة من عرفه عن قرب ، وتعلم منه ، وتكون في مدرسته ، وغرف من منهاجيته ، وتاثر به ، ومن ثم فهي صفات معيشة من حياة جيل قيض الله له في فترة عصيبة من التحديات رجالا من بينهم فقيدنا العزيز كانت افكارهم نبراسا ، وحياتهم مثالا ، وجهادهم حدا بين الحق والباطل ، والفضيلة والرذيلة ، والخير والشر .

كان عمري عشر سنوات حينما استظهرت القرءان الكريم وتلوته سلكة بلا تلعثم ولا خطا امام الفقيه ابن عطية في ذلك الكتاب القرآني الذي كان يلقن الى جانب حفظ القرءان الكريم حفظ بعض المتون فاعتبر بذلك كتابا عصريا بالمقارنة مع الكتاتيب التقليدية وفي سن العاشرة ، درجت الى المدرسة الخضراء التي كان يديرها المرحوم محمد بن عبد الله وكان يلقي بها مبادىء المعرفة كل من اخي محمد بوطالب وهو ايضا معلم وأستاذ أجيال ، والمرحوم الحسين بن البشير الذي اختطفته المتون وهو في اوج عطائه بعد ان بذل بسخاء في تعليم الاجيال .

وفي العشرين سنة من عمري ، تخرجت من القرويين موشحا بشهادة العالمية التي كانت بغية كل مريد من مريدي تلك الجامعة من المغرب والعالم الاسلامي .

وهكذا طويت المراحل بهذه السرعة ، وانهيت الاتجاه الاول من دراساتي العربية في عقد واحد من عمري وكان ذلك مبعث التساؤل .

فكيف تم ذلك ؟

لقد كان معلمنا العربي الاستاذ الرائد محمد بن عبد الله من امهر المكتشفين والمنقبين في صدور ابنائه عن جواهر النباهة يصقلها ويجلوها ويشذب في نفوس تلامذته شجرة الاجتهاد والتحصيل والمعرفة فتوتي ثمارها شهية في حديقة الحياة والمعرفة. وكان برنامج التعليم بالقرويين يقضي بان يمضي طلبتها في ظلالها متحلقين حول اساتذتها وعلمائها الاجلاء اثنتي عشرة سنة متصلة بلا انقطاع ولا اعادة قبل الحصول على شهادة العالمية منها . ولكن الاستاذ محمد بن عبد الله بمساعدة الاستاذين السالفي الذكر اختصرا من تلك المدة أزيد من عامين اثنين ، لم يقتطعهما قسرا ولا قفزا ، وانما جعلنا نقطع المراحل بالتحصيل والتفوق والجهد والاجتهاد ، ولم تقتصر الفائدة التي كسبناها نحن تلامذة الاستاذ محمد بن عبد الله على اختصار تلك المدة ، بل اننا حينما التحقنا بالتعليم العالي في جامعة القرويين ، كانت حصيلتنا من المعارف اوسع مما كانت تضمه المواد التقليدية التي كان يتلقاها طلبة الجامعة العريقة ويمتلكها ويتحكم فيها اساتذتها المختصون .

لقد تلقينا في المدرسة الخضراء وعلى حداثة سننا ، بالاضافة الى مواد الفقه والتوحيد وعلوم اللغة ، علوم الهندسة والحساب والمعادلة الجبرية والتاريخ والجغرافيا وغيرها ، وهي مواد لم تكن تلقى في حلقات القرويين آنذاك ، اذ لم يكن قد جدد نظامها ، فكون الاستاذ المرحوم محمد بن عبد الله منا قسما محدود العدد من التلاميذ لا يتجاوز العشرة ، وفي غمرة شبابه ، وبقوة عزمه ، وفي تضلع لا ينقطع الى الابداع ، أخذ يجري علينا تجربة نموذجية قوامها ما انتهت اليه اليوم التجربة البيداغوجية الحديثة في التربية والتعليم ، من ان الطفل قابل في حداثة سنه ان يصنع منه المعلم الخبير المقتدر الواسع المعارف ما يريد ، تماما كما بامكان الاصابع الماهرة أن تصنع بقطعة عجينة طيعة ما تريد من أشكال واحجـام .

كيف كان الاستاذ المعلم محمد بن عبد الله يطبق تلك التجربة الرائدة على تلاميذه العشرة .

كان ياخذنا نحن تلاميذه في قسم متنقل اولا ، اي غير ملتزم بمكان معين ، فقد كان كثيرا ما يتنقل بنا بين بيته ومقر المدرسة بل وحتى وسط أحضان الطبيعة . وقسم مفتوح ثانيا ، اي لا ترتبط دروسه بموضوع محددة او جدول للمواد الملقنة في ساعات معينة . وقسم مستمر العمل ثالثا حيث كانت الساعات الدراسية تبتدىء احيانا من مدة الفجر الى صلاة العشاء ، وطيلة اليوم كان فوجنا يسمع ويتلقى في يقظة وتطلع واستزادة دون ان يساورنا الملل او يعتري الاستاذ التعب والوهن .

كان الاستاذ محمد بن عبد الله العالم المشارك المتنوع المعارف ، الباحث دوما بدوره عن المعارف ، يدرسنا النحو والصرف ، ولا يلبث في بحث عارض ان ينتقل منهما الى الاشتقاق والاصول ، ويقفز احيانا وفجاة الى الفقه فالمنطق فالجغرافيا والتاريخ ، متجاوزا ذلك الى الحديث عن الكفاح والجهاد والبطولات ضاربا المثل من بطون التاريخ بنماذج رائعة سجلت للاجيال صفحات التضحيات والبطولات والبذل والعطاء .

لم نكن نشعر وهو يحلق بنا في سماء المعارف ان بين فن وفن حدودا ، وبين علم وآخر مسافات . كان يحملنا على ان نخوض معه استماعا وانتباها هذا التيار الجارف من المعارف ، ولم يكن يشفق علينا ان يجرفنا ذلك التيار او ان تصاب ادمغتنا الفتية بدوار ونحن نشق وراءه الغمرات المتدفقة من ذلك البحر اللجي من العلم والمعرفة . كان همه الوحيد ان يلقي الينا ما شاء له جهده ان يلقي ، وما كان اغزر جهده وما كان أكثر ما كان يلقي .. كان يلقي ثم يلقي من فيض علمه يشحن به أذهاننا ويشحذ قرائحنا. كان يسبح ونحن وراءه في بحر المعرفة مخصصا على ان يلقننا كيف نجابه أمواج اليم ليصهرنا في بوتقة المعرفة بلا حدود .

لم تكن لقسمنا الدائم العمل مع الاستاذ الرائد لا عطلة دورية ولا سنوية ، فاذا ما لاحظ علينا الاجهاد ، لا عليه هو ، فقد كان طاقة لا تنفد ، وموجا لا يتوقف ، أخذنا وراءه واصطحبنا لنذهب الى القسم المتجول في أحضان الطبيعة بروابي وجنان فاس الزاهرة ، نفترش الارض ونتقعد التراب حتى وسط المقابر احيانا، وعلى قارعة الطريق احيانا أخرى ، او تحت ظلال زيتونة او بين اشجار العنب ، وهو في كل لحظة دافق الفيض ، دائب على الالقاء والتلقين ، شلال منهمر من قمم جبال تعمها السحب الهاطلة بالعطـاء .

وكان ينقلنا الى موقع آخر من قسمه المفتوح المتجول ، فيستضيفنا في بيته طول اليوم فطورا وغداء وعشاء ويلقننا نحن أبناؤه العشرة دروسه امام زوجته التي تعد الطعام وتسعى في البيت كام سعيدة باطفالها السجدين المجتهدين في وقت كانت المراة فيه قعيدة البيت لا تخرق حجابا الا لاستقبال الاسرة ، وهكذا تبنانا رحمه الله اعضاء في أسرته الصغيرة .

ومما يجب ان اذكره هنا للاستاذ المعلم الجليل انه وقد درس العلوم التقليدية وغاص في اعماقها واحاط بدقائقها ، كان دائم

البحث عن المزيد من المعارف ، مواظبا على تكوين نفسه وتوسيع مداركه ، مطبقا ما يسمى اليوم بمراجعة التكوين ، فكان يتردد ليلا على مجالس بعض الاساتذة ليتلقى ما عندهم من مزيد من العلوم والمعارف ، واذكر أنه كان يتلقى دروسا في الحساب لدى السيد الحسن بنجلون الذي كان احد تجار المغرب في انجلترا حيث تلقى نبذة من علم الحساب بحكم عمله في مانشستر . والمثير حقا انه يلقننا نحن تلامذته في الصباح ما كان يتدراسه هو في الليل .

وعندما وصلنا الى المراحل الاخيرة من الدراسة العالية في القرويين ، كان خزان المعلومات المتنوعة الذي غمر به صدورنا أكبر معين لنا على اجتياز تلك المراحل بيسر وارتياح . كانت آذاننا وهي تسمع أساتذة التعليم العالي بالقرويين يحاضرون في الاصول والتفسير والخلاف العالي تردد صدى استاذنا الذي لقننا شيئا من ذلك في حداثة سننا فنستعيد ذكرى تلك الايام التي قضيناها في مدرسته وتحت رعايته كما لو كنا نجتر المعلومات والمعارف التي شحن بها اذهاننا . وهذه احدى فضائل تلك التجربة الرائعة الرائدة التي ابتدعها هو قبل ان يصبح البيداغوجيون المحدثون اليوم يناقشون جدواها وفعاليتها .

وجدير بنا ونحن نلتقي في هذا المهرجان لنتذكر ونتذكر ان نستخلص من حياة وتجربة الفقيد التربوية ما يعيننا على تخطيط الطريق الافضل لرسالة وهدف ومهمة تعليم اجيال مغرب الغد وتربيتها .

هذه المنهجية التربوية الثورية بكل ما تدل عليه هذه الكلمة من معنى ، هي التي جعلت من محمد بن عبد الله الرجل الثائر على الاستعمار وعلى الرجعية الفكرية وعلى كل ما كان يفل أرجل المغاربة او يحد من عزمهم وعزيمتهم ، وجعلت منه رجل الطليعة في وقت كانت التقدمية جريمة لا تغتفر .

فاذا كان قد علمنا فأحسن تعليمنا ، فانه رحمه الله ، قد جعل منا بمنهجيته تلك رجال افكار ومبادىء ورسالة ، ونمى فينا غريزة النقد وأخصب فينا ملكة الجدل العلمي وزرع في نفوسنا شيم الثورة البناءة ، فكنا في حداثة سننا ثائرين على الاستعمار وعلى الجمود والتخلف متطلعين الى المساهمة على صغرنا في اصلاح الفاسد وتقويم المعوج لان العلم ثورة على الظلم والطغيان والتخلف.

واذا كانت لنا مواقف ثائرة فلان الاستاذ محمد بن عبد الله كون بعلمه وسلوكه في نفوسنا النزوع الى الاستقلال الفكري وربانا على الاعتزاز بالشخصية والتشبث بالكرامة . لقد علمنا ان لا تنضبط بالمقاييس العادية المألوفة لمجرد أنها في الاتجاه العام او العادي ، وأن نسلك من المواقف والمبادرات السلوك الذي يترجم استقلال شخصيتنا لا لمجرد المخالفة للمخالفة ، ولكن للدفاع عما نعتقد انه حق وعدل وخير .

ومن منطلق الفكر الثوري هذا ، كان المرحوم الرجل الاول الذي خلع الجلابة ولم ينذر سلهام تقليدي ليلبس بدلهما ما يعرف بالدراعة ، وينتحل أحيانا الحذاء الاوربي بدل البلغة . وكان لباسه هذا هو الزي الموحد لنا .

وكان حين يمشي في أزقة ودروب فاس ، ونحن وراءه ، مرتديا ذلك اللباس ، معمما رأسه بشال مخطط بالاصفر « شارا شاكر » يبدو كداعية يهز بدعوته أركان مجتمع خلد زمنا طويلا الى السكون والتبعية والاجترار . كما كان يشخص التحدي ويرمز الى الثورة .

وكان لا بد ان يثير سلوكه هذا ، فضلا عن مدرسته الثورية، استفزاز الاستعمار والقوى الرجعية عميلة الاستعمار المطمئنة الى خمول الاذهان وفتور العزائم . وكان التحالف القائم بين الاستعمار والرجعية يقوم على قاعدة ابقاء ما كان على ما كان ، فعلى التخدير والتجهيل باسم المحافظة يلتقيان ، وعلى تدجيل الرجعية وشعوذتها يوطد الاستعمار اسسه ويقيم أركانه ، وهكذا حرك الاستعمار دمى الرجعية لتشن حملة وشاية وتحريض ضد مدرسة الاستاذ محمد بن عبد الله ، مطالبة باغلاقها ، لانها في زعم الرجعية تزيغ عقول الاطفال ، وتعمل على اذكاء نار الفتنة . ورفعت الرجعية كعادتها شعار تكفير المدرسة مديرا وأساتذة وتلاميذ في قمة حملتها لاستعداء الناس البسطاء على ما كانت تمثله مدرسة فقيدنا العزيز، ولتبرير أي تدبير زجر تتخذه سلطات الحماية ضد التعليم الحر الذي كان يربي الاجيال على مبادىء السلفية الصالحة والاصالة ويذكي في رواده جذوة الثورة على الظلم والاستعباد .

ولكن كل ذلك لم يثن استاذنا او يخيفه أو يفتنه عن دوره ورسالته ، فكان رده على الرجعية ان فتح اقساما خاصة بالفتيات، محافظا على عدم الاختلاط ، وهو تصرف يدل على الحكمة التي بدونها لا يمكن لثورة أصيلة أن تشق طريقها وسط التحديات والمؤامرات .

ولكن الحملة اشتدت ضده في صخب وانفعال ادت الى اقفال الاقسام المخصصة للبنات وطرد التلميذات ، وسرعان ما فتحت ادارة الحماية بعد ذلك مدرسة للبنات بباب الحديد قبلت في اقسامها الفتيات اللاتي حرمن من غشيان مدرسة الاستاذ محمد بن عبدالله.

وهكذا تبين ان الحملة التي قامت ضده لم تكن تهدف في الحقيقة الا منع الفتيات من التوجيه الذي كانت مدرسة الاستاذ محمد بن عبد الله رمزا له .

ولم تتوقف الرجعية مدعومة من الاستعمار عن هجومها ، بل عبأت كل وسائلها مواصلة اتهام مدرسة الاستاذ محمد بن عبد الله بتلقين الالحاد والخروج عن تعاليم الدين الحنيف ، وهي التي تحتطي الشعوذة والتدجيل والخيانة لخدمة أهداف الحماية مما اضطر معه المعلم الثائر الحكيم ، من باب التقية ، أن يحدث شقا في صف الرجعية باستدعاء أحد اقطابها لاختبارنا نحن تلامذته في عقيدتنا اختبارا انتهى الى التسليم بسلامة عقيدتنا من كل زيغ وانحراف ، بحيث أرضت مناورة الاستاذ محمد بن عبد الله الذكية غرور الرجعية وكبرياءها اذ وجدت فيها ترضية لم تكن تنتظرها فسالمته الى حين .

ماذا بقي في جبة الرجعية ـ حليفة الاستعمار من سهام توجهها للمعلم الوطني الثائر .

هاهن البنات وقد صرفهن من مدرسته .

وهؤلاء هم الاولاد وقد اقر لهم كبير اقطاب الرجعية بشهادة الاسلام الصحيح ، لذلك لم تمض الا ثلاثة أشهر حتى فاجأ الرجعية بضربة قاتلة عندما استدعى المرحوم الاستاذ الزعيم علال الفاسي ليشرف على امتحاناتنا ، وبالضبط على امتحان الشهادة الابتدائية، وكان ذلك صفعة للاستعمار وأركانه من الرجعية المتدثرة بالدين ، فسقطت منها اوراق لعبتها ولم تلبث ان تجاوزتها الاحداث ، اذ أخذ الاستعمار ومعه الرجعية يتلقيان الضربات المتتالية من قواعد المدارس والشارع والتنظيمات السياسية الوطنية في مسيرة شعب للاستقلال والحرية ، وفي هذه المسيرة لم يتخلف فقيدنا عن ركب المناضلين والمضحين فتحمل ضمن الصفوة التي اختارت طريق الكفاح والسجون والمضايقات نصيبه وأدى واجبه اعظم واشرف ما يكون الاداء .

وجاء الاستقلال فلم يتحمل الاستاذ محمد بن عبد الله في كنفه اية مسؤولية تبعده عن مدرسته ورسالته التربوية والوطنية الا مسؤولية المعلم ومهمة المربي ، ولعله كان يحس آنذاك بالرضى العميق ، فقد رأى الزهرات التي تعمدها والاجيال التي علمها وكونها تقتعد مقاعد المسؤولية وتبني الوطن ، وكان بامكانه أن يتقرب الى

ابنائه وهم في مواقع المسؤولية لينال ما يريد من امتيازات وحظوة ، ولكن نفسه الكريمة استنكفت ذلك ، فاذا ما اضطر الى الاتصال باحد ابنائه على راس المسؤولية فانما ليدافع عن حق معلم او ترقية يستحقها آخر او اعارة معلمين لمساعدته في مدرسته، او لتعزيز طلب منحة لاحد طلابه القدامى يعلم سلفا تأهله لنيلها .

هذا هو المربي الصالح محمد بن عبد الله .

وهذا هو الثائر الذي امتزج عمله بسلوكه ، فكان مثالا حيا للمجاهدين الصابرين الصامدين ، خمسون سنة ظل فيها معلمنا على نهجه ، لم يستهوه منصب ، ولا استكان الى دعة الحياة ، لم يغير منهجه ، ولم يتوقف عن اداء رسالته ، ظل داعية يبث دعوة العلم والايمان والتربية الصحيحة وسط الاجيال في وطن تعاقبت في مسيرته النضالية الاجيال ، وتلاقحت فيه الافكار تضيء بنفس المشعل ، وتلاحقت فيه المراحل في المحطات التي تستوقف التاريخ ، من مقاومة الظهير البربري الى المطالبة بالاستقلال ، الى ثورة الملك والشعب ، الى المسيرة الخضراء . وستستمر المسيرة يحمل فيها المشعل جيل عن جيل ويتسلمه احياء من اموات غرسوا فاكلنا ونغرس فياكلون .

ولم يمت الاستاذ محمد بن عبد الله ، لان الاجيال التي رباها لم تتلق منه قواعد العلم فحسب ، بل تلقت كيف يكون هذا العلم عقيدة في القلب وسمة في السلوك ومزجا بين الفكرة وانعكاسا في الممارسات اليومية .

هكذا حرصت ، أيها الاخوة والاخوات ، على ان تكون مساهمتي في هذا الحفل التابيني لفقيدنا العظيم ابرازا لجوانب خفية من حياته وكفاحه ، جوانب عاشها فوج من تلامذته في تجربة كانت فريدة من نوعها لم تتكرر بعد لانه انصرف بعدها لتكوين الاجيال في آفاق اوسع وأرحب من تجربته الاولى الرائدة ، وهكذا رايتم معي ان رجلا في هذا الحجم هو اكبر من الرثاء . انه حي بيننا وفينا ، فلنكتف اذا بتقديم صادق العزاء لاهله وذويه ونحن في طليعة أهله وذويـــــه .

وشكرا للاخوة اعضاء حزب الاستقلال الذين أبوا الا ان يكرموا الفقيد العزيز بهذا الحفل الكبير ، وان يجمعوا حول روحه كل من عرفه واستفاد من علمه ورسالته ، وان يدعوا تلامذته ومريديه، وانا واحد منهم ، للحضور والمساهمة . ان هذه لمبادرة كريمة جمعت مرة اخرى على درب النضال الواحد أجيال الوطنية الذين لا يمكن ان تقوم بينهم حواجز لانهم تحت راية واحدة هي راية الوطن المفدى، ويعملون لهدف واحد هو خدمة هذا الوطن العظيم الحبيب .

رحم الله الفقيد رحمة واسعة ، واسكنه فسيح جناتـه ، واثابه عن سابق افضاله علينا وعلى الاجيال التي علمها ورباها ورعاهـــا .

ولله مـا اعطى ولله ما اخـذ .

وما المال والاهلون الا ودائعــــــة
ولا بـد يوما ان تـرد الـودائــع

وانا لله وانا اليه راجعــون . والسلام عليكم ورحمة الله .

● **المغرب :**

◆ صدر عن المطبعة الملكية بالرباط كتاب (الحسبة)الذي امر بتصنيفه امير المؤمنين صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله يقع الكتاب الذي اعده واشرف عليه الاستاذ عبد الوهاب بن منصور مؤرخ المملكة في 47 صفحة من القطع الكبير ويتضمن تعريفا شاملا لوظيفة الحسبة في الاسلام وشروطها واحكامها مع نبذة عن تطورها عبر مراحل تاريخ المغرب من خلال اقتباسات من امهات كتب الفقه والتاريخ .

◆ نظم بمدينة تطوان المخيم الاول للشباب الافريقي المسلم في الفترة ما بين 25 يوليوز الى 3 غشت 1982 ، وقد وجهت الدعوة الى 24 دولة افريقية لاختيار 102 شاب قصد المشاركة في المخيم الدولي .

وينظم المخيم جمعية الثقافة الاسلامية بتطوان بتعاون مع الندوة العالمية للشباب الاسلامي ومنظمة المؤتمر الاسلامي وصندوق التضامن الاسلامي .

ويهدف هذا المخيم الذي ينعقد تحت شعار (الاخوة الاسلامية) الى نشر الوعي الاسلامي بين الشباب الافريقي وخلق ارضية للحوار الجاد والهادف وربط اواصر الاخوة بين ابناء الامة الواحدة .

ومن المنتظر ان يحاضر طوال ايام المخيم مجموعة من العلماء والمفكرين حول قضايا اسلامية تتصل بواقع العالم الاسلامي .

◆ جرت بكلية الآداب والعلوم الانسانية التابعة لجامعة محمد الخامس بالرباط ، رسالة حضرها السيد مشروح عمر لنيل دبلوم الدراسات العليا في اللغة العربية وآدابها تحت اشراف الاستاذ عباس الجراري في موضوع : «الشخصية الفلسطينية بين النزوح والعودة من خلال اعمال غسان كنفاني» (الروائية والقصصية) .

وذلك يوم الجمعة 21 ماي 1982 على الساعة 3 بمدرج الشريف الادريسي بالكلية .

وكانت لجنة المناقشة تتكون من السادة :

الاستاذ امجد الطرابلسي : رئيسا .

الاستاذ عباس الجراري : مقررا .

الاستاذ محمد برادة: عضوا .

كما جرت بكلية الآداب والعلوم الانسانية التابعة لجامعة محمد الخامس بالرباط ، مناقشة رسالة حضرها السيد شقور عبد السلام لنيل دبلوم الدراسات العليا في اللغة العربية وآدابها تحت اشراف الاستاذ محمد بنتاويت في موضوع : « القاضي عياض الاديب » ، يوم الجمعة 14 ماي 1982 على الساعة 3 بمدرج الشريف الادريسي بالكلية .

وكانت لجنة المناقشة تتكون من السادة :

الاستاذ محمد بنشريفة : رئيسا .

الاستاذ محمد بنتاويت : مقررا .

الاستاذ محمد بنشقرون : عضوا .

● **تونس :**

◆ « التفكير اللساني في الحضارة العربية » عنوان الكتاب الجديد ، الذي صدر مؤخرا ، للباحث التونسي عبد السلام المسدي ، عن الدار العربية للكتاب في تونس ، وهو قراءة عربية جديدة في عالم اللسانيات .

يقول المؤلف عن كتابه :

« لقد اتى هذا الكتاب متوجا فترة من الاهتمام باللسانيات الحديثة ، بوصفها علما معاصرا ، نشأ ضمن العلوم الانسانية الاجتماعية ، لكنه سرعان ما ازدهر ، فغزا جل حقول المعارف البشرية ، وكان اهتمامنا

بهذا العلم اهتماما متفرغا لمضمونه ، كما تبلور عند اهله في الغرب ، ثم حصلت لنا حيرة اولى ، تمثلت في التساؤل عن مدى ما تفيده اللغة العربية وابناؤها من ثمار هذا العلم ، سواء في اعادة وصف ابنيتها ، أم في تيسير نظامها النحوي والتعليمي ، مما قد يشمل تلقين لغة الضاد لأبناء العرب وغير العرب .

على أن اهتمامنا في نطاق اللسانيات قد تنوع بحكم مشارب التدريس الجامعي والبحث الاكاديمي فانصب تخصصنا في فترة من الفترات على علاقة علم اللسان بنقد الادب ، وانتابتنا – بعد ذلك – حيرة عندما رأينا ان علماء اللسان قد عادوا الى التراث الانساني – في شأن التراث العربي ، الذي ظل منسيا من رواد العلم الحديث ، هكذا تكاثرت الحوافز التي دفعتنا الى العودة بمنظار اللسانيات المعاصرة صوب التراث الفكري العربي » .

◆ اصدر الاستاذ الدكتور محمد التومي ، على نفقته كتابا جديدا ضمن سلسلة «دراسات قرآنية » وهو ، في نفس الوقت ، الكتاب الرابع لصاحب هذه الدراسة ، لانه كان قد نشر كتابا آخر ، هو الاول فى سلسلة ، تحمل عنوان (علوم القرءان) وسماه « المحكم والمتشابه » .

اما هذه السلسلة فقد صدر اول كتاب فيها سنة 1979 ، بعنوان « نحو سيكولوجية اسلامية » (العقد النفسية وموقف الاسلام منها) ، وصدر الكتاب الثاني من هذه السلسلة بعنوان « الجديد في القرءان الكريم ، فعاليته فى بناء العقلية الاسلامية» وذلك سنة 1400 هـ – 1980 م .

● مصر :

◆ تمت مؤخرا ، في كلية اصول الدين بجامعة الازهر ، مناقشة الرسالة العلمية العالية، المقدمة الى الكلية من الاستاذ محمد عوض الكريم الشيخ ، لنيل درجة « الماجستير » في الكتاب والسنة ، وموضوعها (المسند للامام احمد بن حنبل) .

ناقشت الرسالة لجنة مؤلفة من السادة

1) الدكتور احمد عمر هاشم ، المشرف على الرسالة : رئيسا .

2) الدكتور محمد شوقي خضر : عضوا .

3) الدكتور ابو العلا علي ابو العلا : عضوا .

● العراق :

◆ بتعاون وزارة الثقافة والاعلام العراقية صدر ، فى بغداد ، مؤخرا كتاب جديد ، عن (الدراسات اللغوية في العراق ، في النصف الاول من القرن العشرين) للاستاذ عبد الجبار وهيب القزاز .

يقع الكتاب فى ثلاثمائة واربع واربعين صفحة من القطع الكبير موزعة على اربعة فصول ، يتناول اولها الدراسات المعجمية في العراق في النصف الاول من القرن العشرين، ويتناول الثاني الدراسات العامة في التصحيح في المجتمع ولغة التاليف الادبي والشعر والنصوص المحققة ، ويتناول الفصل الثالث جهود الباحثين فى تيسير النحو والصرف والكتابة العربية ، ويتناول الرابع وسائل اغناء اللغة وترقيتها عند الباحثين اللغويين في العراق ، في النصف الاول من القرن العشرين .

● لبنان :

◆ في مائة وثمانين صفحة من القطع المتوسط صدر ، في بيروت ، حديثا – عن دار النهار للنشر والتوزيع – كتاب جديد، للاستاذ بطرس البستاني، عن (الشعر الجاهلي) .

◆ في بيروت أصدرت دار الشروق ، مؤخرا ، الاعمال الرياضية لبهاء الدين العاملي بتحقيق

الاستاذ الدكتور جلال شوقي ، وهي تضم آثار الشيخ بهاء الدين العاملي في الرياضيات ، مثل كتابة (خلاصة الحساب) وكتابه (الكشكول) .

◆ في نحو الف وثلاثمائة وعشرين صفحة من القطع الكبير صدر ، حديثا ، في بيروت — عن دار الندرة للطباعة والنشر — للدكتورة سعاد الحكيم ، استاذة الادب العربي في الجامعة اللبنانية (المعجم الصوفي) .

يتناول المعجم سبعمائة وستة مصطلحات صوفية في قسمين ، أولهما ما يعبر منها عن السلوك الصوفي ، والثاني ما يهتم منها بالمعرفة الصوفية السلوكية .

◆ في طبعة جديدة فريدة ومحققة صدر في بيروت ، مؤخرا عن دار الشروق كتاب (التشبيهات من اشعار اهل الاندلس) لابي عبد الله محمد ابن الكتاني الطبيب — بتحقيق الاستاذ الدكتور احسان عباس .

والمعروف ان الكتاب كان قد صدر ، في طبعته الاولى ، سنة 1966 م ، ونفد من المكتبات ، وأن مؤلفه ، وهو من ادباء القرن الخامس الهجري ، قد اوفى فيه على الغاية في الترجمة لشعراء عصر بني أمية والعامريين .

◆ (أمثال المراة عند العرب ، ما قالته المراة العربية وما قيل فيها) هذا هو عنوان الكتاب الجديد ، الذي صدر ، مؤخرا ، في بيروت ، للاستاذ الدكتور صلاح الدين المنجد ، محقق التراث المعروف ، عن دار الكتاب الجديد للطباعة والنشر .

يتضمن الكتاب ثلاثمائة وسبعة عشر مثلا من أمثال المراة عند العرب، ما قالته المراة العربية وما قيل فيها ، مما يلقي اضواء على حياتها ، وفكرها ، وسماتها ، ونظرة المجتمع اليها .

وقد شرح الدكتور المنجد بعض هذه الامثال ، ووضح معانيها ومقاصدها ، واردف كل مثل بالمصادر التي ذكرته ، وقدم للكتاب بكلمة ضافية في فكرة الكتاب ، وفي تراث الامثال عند العرب ، وكثرته ، واهميته ، والحق بهذا كله فهارس فنية متنوعة للكتاب .

● اسبانيا :

◆ يقوم فريق من المستشرقين الاسبان هذه الايام بترجمة بعض اعمال الفيلسوف العربي المسلم « ابن رشد » وقد انتهى هذا الفريق من ترجمة بعض هذه الاعمال ، لتظهر في الاسواق الاسبانية ، مع بداية العام القادم .

من الكتب التي انتهت ترجمتها كتاب « تهافت التهافت » الذي يرد فيه « ابن رشد »على كتاب الغزالي « تهافت الفلاسفة » .

والمعروف أن « ابن رشد » فيلسوف وطبيب وعالم وفقيه عربي اندلسي ، ولد بقرطبة عام 1126 ، وتوفي عام 1198 م ، عمل في بداية حياته بالقضاء في اشبيلية ، ثم اتجه لدراسة الفلسفة ، التي برع فيها ، وله مؤلفات قيمة — في هذا المجال — منها « تهافت التهافت » و « فصل المقال » وعني بشرح كتب « أرسطو » حتى لقب بالشارح الاكبر .

● فرنسا :

◆ «مناقب العارفين» للعفلكي ، كتاب ممتع ، صدر حديثا عن دار سندباد الباريسية، التي تهتم بنقل التراث العربي والاسلامي الى الفرنسية.

والكتاب هو اعادة طبع مصور لترجمة عن الفارسية قام بها ، في اول هذا القرن ، المستشرق « كليمن هيوراث » في جزءين ، تزيد صفحاتهما عن ثمانمائة وخمسين صفحة من الحجم المتوسط .

فهرس العـــدد 224

رؤيةٌ أولى

للأستاذ الشاعر أحمد شوقي

رأيتُ النَّاسَ تطمعُ في البقا ... وتَبْنيه ولكن بالرَّجاءِ

وتطمحُ للمعالي وهي دُودٌ ... تمشّى في العروقِ وفي الدِّماءِ

تُريدُ لها مُقامًا في الخلودِ ... وتأبى فِعْلَه سُنَنُ القضاءِ

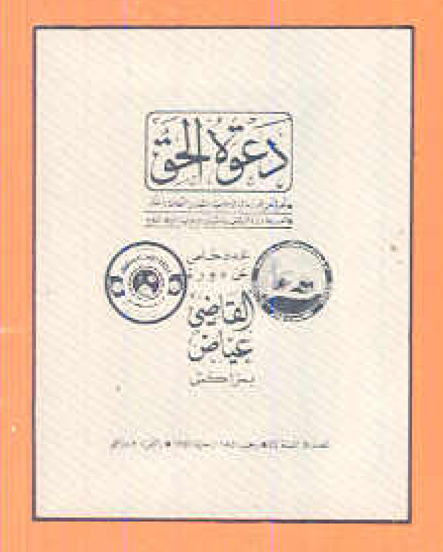
لِكُلِّ سَنًى شُحوبٌ وانطفاءٌ ... وحشرجةٌ تَرَدَّدُ في الخفاءِ

لِكُلِّ جَنًى ذُبولٌ واندِثارٌ ... لِكُلِّ شَذًى زَفيرٌ في الهَباءِ

نُمَنّي النَّفسَ آمالاً عِظامًا ... ونَغْذوها بأحلامٍ وِضاءِ

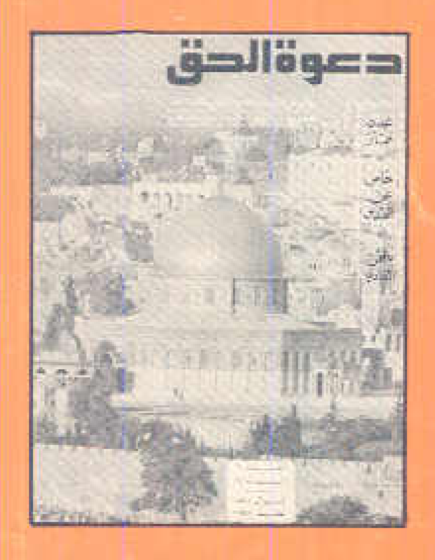
سَيُدْرِكُنا الزَّوالُ على وِصالٍ ... ويُدْرِكُنا الفِراقُ على لِقاءِ

فهذا الدَّهْرُ مِن وَصَبٍ سُداه ... ولُحمتُه فَناءٌ في فَناءِ





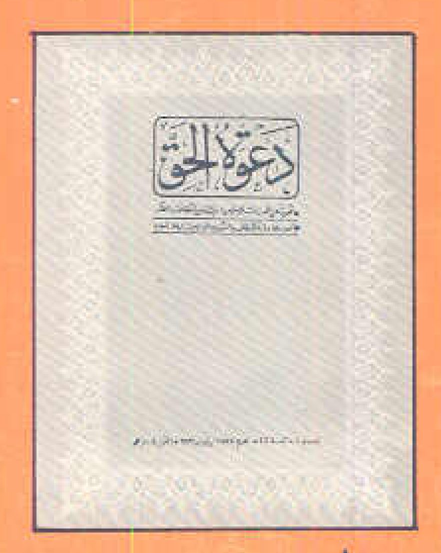














صدر العدد الأول في يوليوز سنة 1957